نفسانيات المجلة العربية
مجلة محكمة في علوم وطب النفس
75
ربيع صيف 2022
ملحق خاص
باليوم السنوي لسباق اللياقة النفسانية

نحو مدرسة عربية في علوم و طب النفس

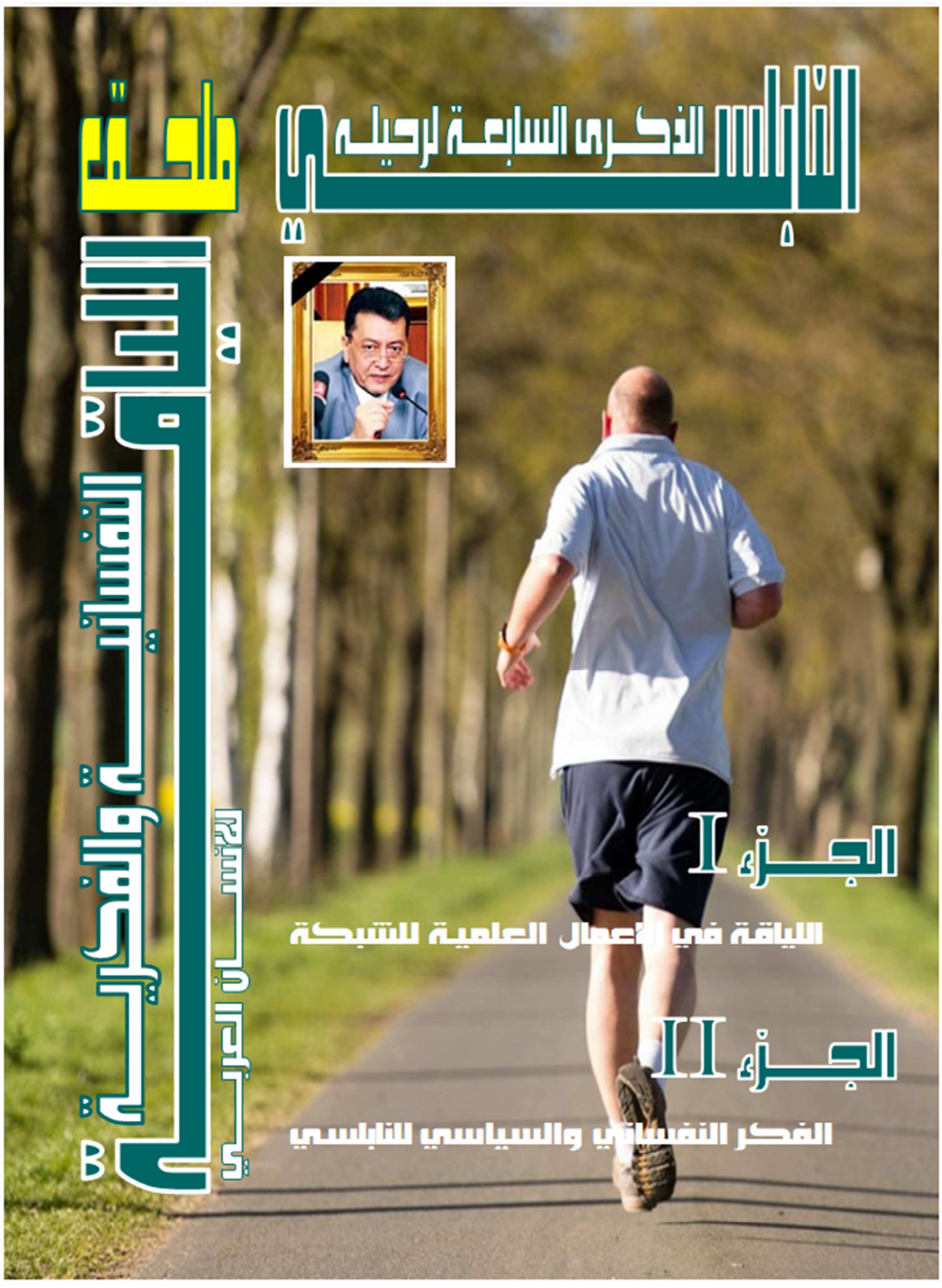

Edited by ArabPsyFound All rights reserved - Copyright (c) 2022 – arabpsynet@gmail.com

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

اللهم صلي و سلم على سيدنا محمد

سنريهم اياتنا

في الآفاق و في أنفسهم

حتى يتبين لهم أنه

الحق

المجلة العربية للعلوم النفسانية

نحو مدرسة عربية للعلوم النفسية

مجلة فصلية محكمة في علم النفس

الرئيس

جمال التركي [الطب النفساني / تونس]

الرئيس الفخري

أحمد عكاشة [الطب النفساني / مصر]

الرئيس الشرفي

يحيى الرخاوي [الطب النفساني / مصر]

مستشار الرئيس

محمد أبو صالح [الطب النفساني / إنكلترا]

المستشار الفخري في الطب النفساني

عبد الرحمان ابراهيم [الطب النفسي/ سوريا]

المستشار الشرفي في الطب النفساني

قتيبة الجلبي [الطب النفساني/ العراق - أمريكا]

المستشار الفخري في علم النفس

الفالي أمرشاو [علم النفس / المغرب]

المستشار الشرفي في علم النفس

بشير معمرية [علم النفس / الجزائر]

الهيئة الإستشارية (ترتيب أبجدي)

شارل بدورة [الطب النفساني / لبنان]

صادق السامرائي [الطب النفساني / العراق]

قاسم حسين صالح [علم النفس / العراق]

محمد أديب العسالي [الطب النفساني / سوريا]

مصطفى العشوي [علم النفس / الجزائر - الكويت]

نزار عيون السود [علم النفس / سوريا]

الهيئة العلمية المحكمة (ترتيب أبجدي)

إبراهيم الفضيل [الطب النفساني/ السعودية]

أحمد العش [الطب النفساني/ تونس-فرنسا]

إفراص حسن عشرية [علم النفس / السودان]

حسنين الطيار [الطب النفساني - العراق / إنكلترا]

خالد الخفراني [علم النفس / مصر]

خالد عبد السلام [علم النفس / الجزائر]

فولة أبو بكر [علم النفس / عكا]

رمضان زعطوط [علم النفس / الجزائر]

زبير بن مبارك [الطب النفساني/ الجزائر]

الزين عباس عمارة [الطب النفساني - السودان]

سارة الصفدي [علم النفس - الأردن / الإمارات]

سامر جميل رضوان [علم النفس / سوريا - عمان]

سامية بكري علي عبد العاطي [علم النفس - مصر]

سداد جواد التميمي [الطب النفساني/ العراق - بريطانيا]

السيد فهمي علي [علم النفس / مصر]

صالح بن إبراهيم الصنيع [علم النفس / السعودية]

عبد الحافظ الغامري [علم النفس / اليمن]

عبد الحكيم محمد بن بريك [علم النفس - اليمن]

عبد الفتاح دويدار [علم النفس / مصر]

عبد الناصر السباعي [علم النفس / المغرب]

علي إسماعيل عبد الرحمن [الطب النفساني/ مصر]

كامل حسن كتلو [علم النفس / فلسطين]

ماجد الياسري [الطب النفساني/ العراق - إنكلترا]

محمد الميز [علم النفس / المغرب]

محمد سعيد أبو حلاوة [علم النفس / مصر]

محمد عثمان المحيسي [علم النفس / السودان]

معن عبد الباري قاسم صالح [علم النفس / اليمن - السعودية]

وائل أبو هندي [الطب النفساني/ مصر]

وليد خالد عبد الحميد [الطب النفساني/ العراق - بريطانيا]

المديرة التنفيذية للمؤسسة: إيمان الفقي

سكرتيرية الشبكة: سلوى الورتاني

إصدار مؤسسة العلوم النفسية العربية – تونس

ملحـــق العـــدد 75: ربيـــع & صيـــف 2022

ملحق العدد 75 من مجلة "نفسانيات" - « اللياقـة النفسانيـة والفكريـة للانسـان العربـي»

الافتتاحية..وما زلنا نكدح معا تحقيقا للياقة نفسانية وفكرية أرقى للإنسان العربي 5

جمـــــال التركـــــي

الجـــــــزء I

"اللياقـــة النفسانيـــة والفكريـــة للإنســـان العربـــي" 7

الاعمـــال العلميـــة لشبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

فهرسة الدوريات والمجلات الخاصة باللياقة النفسانية والفكرية 8

فهرسة الاصدارات المكتبية الخاصة باللياقة النفسانية والفكرية 24

إعداد: جمـــال التركـــي

الجـــــــزء I I

قـراءات في الفكـر السيكولوجـي والسياسـي النابلسـي 67

نحـــــــو سيكولوجيـــــــا عربيـــــــة 68

عبـد الرحمـن العيسوي

حـــول مستقبـل العلـوم الإنسانيـــة فـــي الوطـــن العربـــي 71

الشخصيـــة العربيـــة و الوفـــرة الاقتصاديـــة 74

النفـــس المقهـــورة 80

الآثـار النفسيـة لممارسـات الإحتـلال علـى الجمهـور العراقـي 88

قـــراءة نفسيـــة فـــي الفكـــر الاستشراقـــي 94

سيكولوجيـــة الشائعـــة 101

الصدمـــة النفسيـــة (علـــم نفـس الحـــروب و الكـــوارث) 107

نحـو رؤيـة تكامليـة لموضـوع المخـدرات فـي الوطـن العربـي 111

سيكولوجيـــة التظاهـــر 115

قـــراءات موجـــزة 119

سيكولوجيـــة السياســـة 119

الهـــاربة الى ضـــوء الشمـــوع 120

الإنتخابـــات وبرمجـــة العقـــول 123

العناية بضحايا العنـف: السياسـة وأخلاقيـات الطـب النفسـي 124

الإســـلام والطـــب النفســـي الوقائـــي 126

ملامـــح الشخصيـــة العربيـــة 128

محـمد أحمـد النابلسـي

العـــلاج النفســـي للأســـرى وضحايـــا العـــدوان 129

محمد عبد الظاهر الطيب

الفـــهـــــرس

رسالة رئيس مؤسسة العلوم النفسية العربية

الافتتاحية..وما زلنا نكدح معا تحقيقا للياقة نفسانية وفكرية أرقى للإنسان العربي

الذكرى السنوية السابعة لرحيل العالم النفساني العربي البروفيسور محمد احمد النابلسي

د. جمال التركي – شبكة العلوم النفسانية العربية (الطب النفساني، تونس)

arabpsynet@gmail.com

تم التاسيس لهذا اليوم السنوي لـ " اللياقة النفسانية والفكرية للانسان العربي " (06 أكتوبر من كل عام) تخليدا لذكرى الراحل البروفيسور محمد احمد النابلسي، تقديرا لاعماله الاصيلة في رقي علوم وطب النفس في الوطن العربي

نختفل اليوم 6 اكتوبر 2022، في "**مؤسسة العلوم النفسية العربية** "بـ" **اليوم السنوي السادس: اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي** "، من خلال عرض الدوريات والمجلات الإصدارات المكتبية الخاصة باللياقة النفسانية الصادرة عن شبكة العلوم النفسية العربية وتقديم قراءة للفكر السيكولوجي و السياسي للبروفيسور النابلسي من خلال عرض بعض اعماله و دراساته الفكرية

نختفل اليوم 6 اكتوبر 2022، في "مؤسسة العلوم النفسية العربية "بـ" اليوم السنوي السادس: اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي "، من خلال عرض الدوريات والمجلات الإصدارات المكتبية الخاصة باللياقة النفسانية الصادرة عن شبكة العلوم النفسية العربية

كان بروفيسور النابلسي يردد دوما ، أنه من الظلم أن نعتقل الاختصاص ونسجنه داخل أسوار العيادات النفسانية. مضيفا أن العلوم النفسية تفقد كل قيمة لها إن هي عزلت عن المجتمع الإنساني وحركته المتمثلة بالنشاطات الإنسانية سواء كانت ايجابية أم سلبية. فالطب النفساني معني بالجريمة كما برعاية ضحايا الظلم الانساني على ألوانه.

من الظلم أن نعتقل الاختصاص ونسجنه داخل أسوار العيادات النفسانية. مضيفا أن العلوم النفسية تفقد كل قيمة لها إن هي عزلت عن المجتمع الإنساني وحركته

إنطلاقا" من هذه الرؤية يجد النابلسي أن الإختصاص لا يكامل صفته العلمية بدون مشاركته للانثروبولوجيا. وعليه فانه يخوض في الهموم العربية محاولا تسخير الطب النفساني لمصلحة المجتمع العربي. تنوعت كتابات النابلسي لتغطي مجالات الطب النفساني والاختلاف الحضاري والتطبيقات السياسية والاجتماعية واللغوية للاختصاص.

يجد النابلسي أن الإختصاص لا يكامل صفته العلمية بدون مشاركته للانثروبولوجيا

جمع النابلسي بين العمل العيادي والتدريس الجامعي والتأليف والصحافة العلمية النفسانية والقراءات السياسية المستقبلية. وهو جمع تكاملي يساعد على تكوين رؤية شمولية للموضوع. ومع حضوره الملفت في المؤسسات والجمعيات العلمية العربية والاجنبية فإنه من الطبيعي أن يكون لصاحب هذا الموقع حضوره على مواقع مختلفة على شبكة الانترنت.

تنوعت كتابات النابلسي لتغطي مجالات الطب النفساني والاختلاف الحضاري والتطبيقات السياسية والاجتماعية واللغوية للاختصاص

وتبقى الدعوة قائمة لتكريم البروفيسور النابلسي لبنانيا و عربيا

كنا وجهنا في السنوات الماضية، في مثل هذه المناسبة ، الدعوة الى المجتمع المدني اللبناني والى الهيئات العلمية اللبنانية والعربية (ومازالت الدعوة قائمة)، لتكريم البروفيسور النابلسي، باطلاق اسمه على بعض المعالم العلمية والثقافية والجوائز العلمية اللبنانية والعربية مقترحين عليهم التالي:

1- اطلاق اسم البروفيسور محمد احمد النابلسي على احدى المعالم الثقافية لمدينة طرابلس، او احدى الساحات العامة او الشوارع الرئيسية للمدينة.

2- اطلاق اسم البروفيسور النابلسي على احدى المؤسسات الصحية الطبنفسانية او العلمية العلمنفسانية اللبنانية، تقديرا لما قدمه من خدمات جليلة للطب النفساني وعلوم النفس في لبنان والوطن العربي.

3- اطلاق اسمه الكريم على أحدى جوائز البحث العلمي لاتحاد الأطباء النفسانيين العرب: ("جائزة البحث العلمي "محمد احمد النابلسي" للأطباء النفسانيين العرب")

رحم الله البروفيسور محمد احمد النابلسي رحمة واسعة وغفر له، وجزاه عن امته خير الجزاء، ورزقه الفردوس الاعلى من الجنة

جمع النابلسي بين العمل العيادي والتدريس الجامعي والتأليف والصحافة العلمية النفسانية والقراءات السياسية المستقبلية

الدعوة الى المجتمع المدني اللبناني والى الهيئات العلمية اللبنانية والعربية (ومازالت الدعوة قائمة)، لتكريم البروفيسور النابلسي، باطلاق اسمه على بعض المعالم العلمية والثقافية والجوائز العلمية اللبنانية والعربية

اطلاق اسم البروفيسور محمد احمد النابلسي على احدى المعالم الثقافية لمدينة طرابلس، او احدى الساحات العامة او الشوارع الرئيسية للمدينة.

اطلاق اسم البروفيسور النابلسي على احدى المؤسسات الصحية الطبنفسانية او العلمية العلمنفسانية اللبنانية، تقديرا لما قدمه من خدمات جليلة للطب النفساني وعلوم النفس في لبنان والوطن العربي.

اطلاق اسمه الكريم على أحدى جوائز البحث العلمي لاتحاد الأطباء النفسانيين العرب: ("جائزة البحث العلمي "محمد احمد النابلسي" للأطباء النفسانيين العرب")

الجزء I

"اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي"

الاعمال العلمية لشبكة العلوم النفسية العربية

فهرسة الدوريات والمجلات الرقمية

فهرسة الاصدارات المكتبية الرقمية

جمال التركي

الجزء I : اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي" الاعمال العلمية لشبكة العلوم النفسية العربية

1 - فهرسة الدوريات والمجلات الخاصة باللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي

الصادرة عن مؤسسة العلوم النفسية العربية

- المجلة العربية "نفسانيات "(مجلة رقمية محكمة في علوم الطب و النفس)
- المجلة العربية "بصائر نفسانية "(مجلة رقمية لمستجدات علوم الطب و النفس)

إعداد: د. جمال التركي – رئيس مؤسسة العلوم النفسانية العربية (الطب النفساني، تونس)
arabpsynet@gmail.com

المجلة العربية "نفسانيات "(مجلة رقمية محكمة في علوم الطب و النفس)

"نفسانيات " - العدد 57 ربيع 2018

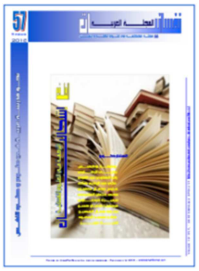

الملف ": اشكاليات الترجمة في العلوم النفسانية "

المشرف : بوفولة بوخميس

الفهرس والإفتتاحية (تحميل حر)
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=319&controller=product&id_lang=3
رابط تسوّق العدد من المتجر الالكتروني للمؤسسة
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=320&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــرس

الملف " :اشكاليات الترجمة في العلوم النفسانية"

- إفتتاحية الملف: " الترجمة هي خطوة نحو استعادة كياننا المفرغ من تركيبنا اللغوي " – بوفولة بوخميس

أبحاث الملف

- مخاطر الترجمة بين تسطيح الوعي واختزال المعرفة –يحيى الرخاوي
- اشكاليات الترجمة في العلوم النفسانية – رانيا الصاوي عبد القوي
- بعض معوقات الترجمة للنصوص النفسية الاجنبية في العالم العربي –علي عبد الرحيم صالح
- منهجية تصميم قاموس متخصص في الأرطفونيا للتغلب على صعوبات الترجمة – بوفولة بوخميس

قراءات في الملف

- اسهام اللسانيات التطبيقية في الترجمة– الأرطفونيا نموذجا – بوفولة بوخميس
- صعوبات الترجمة التي يصادفها الباحث في العلوم النفسية – إبن المداني لبنى –رحال حفيزة
- العوامل النفسية و المعرفية الدالة على ضعف الترجمة والمترجم – بوفولة بوخميس
- صعوبات الترجمة في مجال التصوير المخي – ترجمة: بن المداني لبنى

"نفسانيات " - العدد 58 صيف 2018

الملف ": العلاجات النفسانية بالوطن العربي "

المشرف : تغليت صلاح الدين

الفهرس والإفتتاحية (تحميل حر)
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=326&controller=product&id_lang=3
رابط تسوّق العدد من المتجر الالكتروني للمؤسسة
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=327&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف : "العلاجات النفسانية بالوطن العربي"

إفتتاحية الملف

- العلاجات النفسانية بالوطن العربي – تغليت صلاح الدين

أبحاث الملف

- تاريخ ونشأة العلاج النفسي من الحضارة العربية إلى الحضارة الغربية –لعزازقة حمزة
- آليات تعديل المخططات المعرفية عند جيفري يونغ –تغليت صلاح الدين–وئام فقراوي
- علاج المخططات المعرفية ل "يونغ " بين النظرية و التقنية– ساعد هلال راشدة–تغليت صلاح الدين
- العلاج النفسي المتمركز على التحويل ل: وفق نموذج(كيرنبورغ)– عمارجية نصر الدين–عمارة ليندة
- العلاج العقلاني الانفعالي– نايت عثمان سامية–تغليت صلاح الدين
- قراءة في العلاج العقلاني الانفعالي لألبرت إليس –المبادئ و الفنيات –بكار بوبكر
- الحضرة :ممارسة علاجية تقليدية بالمجتمع الجزائري – توضيح عيادي–زكراوي حسينة–أومليلي حميد
- العلاج السلوكي المعرفي في خفض أعراض اضطراب فرط النشاط مع قصور الإنتباه–بوروبة أمال–واكلي–أيت مجبر بديعة
- نظرية" ABC"في العلاج النفسيللتكفل بالمرأة المعنّفة– كوسة خلود– تغليت صلاح الدين
- برنامج تدريبي مقترح لتنمية مهارات العضلات الدقيقة لليد – تغليت صلاح الدين–ياسمينة لبداني
- Programme rééducatif proposé pour développer les habilités motrices fines chez les enfants ayant un trouble de l'acquisition de la coordination, au palier primaire – تغليت صلاح الدين–ياسمينة لبداني

"نفسانيـــــات " - العدد 60 شتاء 2019

– الملـف : «سيكولوجيـة الطاغية والطغيان... المظهـر العربـي"

إشراف : د. هنادي الشوا(سوريا)

الفهرس والإفتتاحية (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=361&controller=product&id_lang=3

رابط تسوّق العدد من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=360&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف " :سيكولوجيـة الطاغيـة والطغيـان ...المظهـر العربـي"

- إفتتاحيـة العدد: نحو سد الفجوة الكبيرة حول الدراسات النفسانية العربية المتعلقة بالطاغية و الطغيان – هنادي الشوا
- في سيكولوجية الجماعة وبناها الاجتماعية كجزء من صناعة الطغاة– خولة حسن الحديد

الكراسي والطغيان!! – صادق السامرائي

- الآثار النفسية للحروب وانعكاسها على المجتمع –الحالة السورية نموذجاً– دلال محمد رضوان
- شخصية الحاكم الفاسد..سوية أم مريضة نفسيا؟ قاسم حسين صالح
- متلازمة ستوكهولم العربية... – هنادي الشوا
- الثالوث المظلم في شخصية الحاكم العربي– علي عبد الرحيم صالح

"نفسانيـــات " - العدد61 ربيع 2019

الملـف : " اضطراب الطيف الوسواسي في البيئة العربية"

إشراف : د. غنية إعزيز (الجزائر)

الفهرس والإفتتاحية (تحميل حر)
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=365&controller=product&id_lang=3

رابط تسوّق العدد من المتجر الالكتروني للمؤسسة
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=366&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــرس

الملف "اضطراب الطيف الوسواسي في البيئة العربية "

- إفتتاحية العدد: اضطراب الطيف الوسواسي في البيئة العربية – غنية اعزيز
- الدلالة العيادية لاضطرابات طيف الوسواس القهري – غنية اعزيز – زهرة بن ناصر
- De la névrose obsessionnelle au trouble compulsif:(T.O.C) – ليندة عمارة – نصرالدين عماردجية
- الشخصية الوسواسية القهرية و اضطراب الوسواس القهري تسميتان لاضطراب واحد ؟ – رتيبة جبار
- الوسواس القهري عوامل وأسباب – ايمان بن غانم
- العصاب والصدمة النفسية في ميدان علم النفس المرضي – نصرالدين عماردجية – سعاد بن فاضل
- Tics : Syndrome de Gilles de la Tourette غنية اعزيز –
- الوسواس القهري اضطراب سهل التحديد صعب التكفل – فتيحة بومعزة – زهية غنية حافري
- Psychothérapie intégrative et psychologie Clinique سهام دحمان – نصرالدين عماردجية –
- العلاج القائم على الاستدلالات (TBI) : مقاربة جديدة لإضطرابات الوسواس القهري – غنية اعزيز

"نفسانيـــات " - العدد 62 صيف 2019

الملف :" الشخصيـــــة العربيـــــة واضطراباتهـــــا النفسانيـــــة "

المشرفة : آمال بوروبة

الفهرس والإفتتاحية (تحميل حر)
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=380&controller=product&id_lang=3

رابط تسوّق العدد من المتجر الالكتروني للمؤسسة
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=381&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــرس

الملف : "الشخصية العربية واضطراباتها النفسية"

- الإفتتاحية: الشخصية العربية واضطراباتها النفسية – آمال بوروبة
- العلاقة بين الصلابة النفسية ونوعية الحياة لدى الطالب الجامعي الجزائري – فارس علي – مزوز عبد الحليم
- قراءة تحليلية لبعض الاضطرابات النفسية المهنية لدى العامل الجزائري – علطي صوفية
- مقاربة سيكولوجية في أزمة الهوية لدى الشباب الجزائري في ظل أبعاد العولمة وتأثيراتها – ياسين بن عطية – بحري صابر
- البناء المعرفي لسلوك المخاطرة أمام المقاربات الحديثة و الواقع الملموس – حربوش سمية

- إضطرابات النوم وعلاقتها بظهور نقص الإنتباه في الوسط المدرسي الجزائري – بلال بلهامل – آمال بوروبة
- واقع التكفل بالانحرافات السلوكية ومشكلات الطفولة النفسية والعقلية في الجزائر – حافري زهية غنية– جنيدي فايزة
- الاضطراب النفسي في الجزائر–بين الوصم والوعي الصحي – آمال بوروبة
- الوسواس القهري في المجتمع العربي – بديعة ايت مجبر واكلي – عيسات مريم
- مساهمة الاسترخاء في التخفيف من حدة القلق لدى أساتذة التعليم الابتدائي – جاب الله ريمة – قماز فريدة – تغليت صلاح الدين – نصر الدين عمارجية – ليندة عمارة – L'ennéagramme des personnalités et son approche caractérielle….. بلال بن عرور

"نفسانيـــات " - العدد 69 شتاء 2021

الملف 1: التحليل النفسي والثقافة (الثقافة العربية بخاصة)

المشرف : ا. د. رياض بن رجب – د. مرسلينا شعبان حسن

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ69/apnJ69-Content.pdf

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=453&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــرس

الملف : التحليل النفسي والثقافة (الثقافة العربية بخاصة)

- إفتتاحية الملف 1: خصائص الثقافة العربية من زاوية التّحليل النفسي– محمد رياض بن رجب – مرسلينا شعبان حسن
- الأوديب المخثُون بين غُيوم الثقافة الإسلامية العربية –يوسف عدنان
- التحليل النفسي في بلدان القدَر… تونس مِثالا –رياض بن رجب
- الأزمة الصحية كوفيد 19 والحجر الصحّي الناتج عنها، وجهة نظر محلل نفسي – عبد الرحمان سي موسي
- الثقافه والسلوك – حنان هلسه
- التحليل النفسي للتفكير!! – معاذ قنبر
- التحليل النفسي والثقافة (الثقافة العربية بخاصة) –مرسلينا شعبان حسن
- البعد العلاجي التحليلي النفسي للإضطرابات النفسية من خلال العلاج بالفن – دلال مهنا الحلبي

ملحق **الملف 1: الوثيقة المرجع: قراءة في الخطاب "اللاكاني"**

- الخطابات الأربعة – محمد درويش

"نفسانيـــات " - العدد 70 شتاء 2021

الملف 2: التحليل النفسي والثقافة (الثقافة العربية بخاصة)

المشرف : ا. د. رياض بن رجب – د. مرسلينا شعبان حسن

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ70/apnJ70-Content.pdf

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=456&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف : التحليل النفسي والثقافة (الثقافة العربية بخاصة)

- إفتتاحية الملف – الجزء 2: أي تحليل نفسي لأي ثقافة عربية ؟– محمد رياض بن رجب
- استهلال الملف – الجزء 2: تقديم دراسات ومقالات الملف... قراءات وجيزة– مرسلينا شعبان حسن
- موقع الاب في الثقافة العربية والتغيرات المعاصرة – مرسلينا شعبان حسن
- التحليل النّفسي والنّصوص الدّينية.1– محمد رياض بن رجب
- مقاومة التحليل النفسي في ثقافة العالم العربي –سميرة شمعاوي
- إخناتون: الفرعون الحالم والعاطفي – محمد أمين
- نثرة تحليل –وفيقه أبو حبيب كلاسي

ملحق الملف2: بروفيسور عدنان حب الله وقراءة نفستحليلية لظاهرة الحجاب في فرنسا

- الحجاب وشرعيته في بلد علماني ...(حوار طرشان: علمانية توتاليتارية وهوية ارتدادية)– عدنان حب الله

"نفسانيـــــات " - العدد 71 ربيع 2021

الملف (الجزء الاول): النفس وعلومها من منظور الفكرالاسلامي

المشرف على الملف1 : حسينة زكـــراوي

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ71/apnJ71-Content.pdf

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=469&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف(الجزء الأول): " النفس وعلومها من منظور الفكر الاسلامي"

- إفتتاحية الملف1: النفس وعلومها من منظور الفكر الاسلامي (الجزء الأول)– حسينة زكراوي
- سورة يوسف... قراءة نفسانية – مصطفى عشوي
- البناء النفسي للمسلم المعاصر– محمد المهدى
- خواطر من أجل نظرية نفسية إسلامية– محمد كمال الشريف
- دور الصيام في تعزيز المناعة النفسية لمواجهة الشدائد والصدمات في الحياة– خالد عبد السلام
- استخدام الذكر و ممارسات التصوف الإسلامي في العلاج النفسي للصدمة النفسية – وليد خالد عبد الحميد
- العلاج الأسري و الأسرة المسلمة– زبير بن مبارك

"نفسانيـــــات " - العدد 72 (ربيع 2021)

الملف (الجزء الثاني): النفس وعلومها من منظور الفكرالاسلامي

المشرف على الملف2 : حسينة زكـــراوي

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ72/apnJ72-Content.pdf

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=473&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

كلمة التحرير: شبكة العلوم النفسية العربية"، مسيرة كدح عقدين من الزمن... - جمال التركي

الملف(الجزء الثاني): " النفس وعلومها من منظور الفكر الاسلامي"

- إفتتاحية الملف2: النفس وعلومها من منظور الفكر الاسلامي (الجزء الثاني)– حسينة زكراوي
- دور الخدمة النفسية في تعزيز التربية المواطنية –عبد الفتاح محمد دويدار
- الصحة النفسية الإيجابية من منظور الفكر الإسلامي–تهاني هاشم خليل عابدين
- الإسلام وعلم النفس: وجهة نظر أوربية –بول م. كابليك – رشيد سكينر – ترجمة: زبير بن مبارك
- الدلالات النفسية والاجتماعية للوجوه وتعبيراتها الانفعالية: دراسة تأصيلية لبعض الآيات القرآنية –أحمد عمرو عبد الله – عبد العزيز صالح المطوع
- تعديل السُلوك بين إبراهيم بن يوسف الشِّيرازي وفرد لوثانز –إبراهيم بوزيداني
- أثر المصطلحات الإسلامية في تقويم وعلاج الاضطرابات النفسانية –عبد الله الطارقي
- الصيام .. أوله فى النفس وآخره عند الله –محمد المهدى
- Introduction à la psychologie islamique - زبير بن مبارك
- Islamic Psychology in Egypt - محمد المهدى

"نفسانيـــــات" - العدد 73 (خريف 2021)

الملف: الرعاية الصحية النفسانية للمسنين في العالم العربي

المشرف على الملف : خديجة زيدي

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ73/apnJ73-Content.pdf

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=488&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف: الرعاية الصحية النفسانية للمسنين في العالم العربي

- الإفتتاحية: الرعاية الصحية النفسانية للمسنين في العالم العربي – خديجة زيدي

مقالات عربية

- علم نفس الشيخوخة في ظل المقاربة المعرفية – الغالي أحرشاو
- اشتغال الذاكرة في الشيخوخة – محمد المير
- الشيخوخة العادية بين التغيرات المعرفية والتغيرات الدماغية – عائشة أفرفار – عائشة زياني
- برنامج إرشادي انتقائي لتعزيز المناعة النفسية لدى كبارالسن أثناء جائحة COVID-19 – عبدالله عبدالهادي – باسل مهدي محمد الخضري
- دور الإرشاد النفسي الديني في تحقيق الصحة النفسية لكبار السن – تهاني هاشم خليل عابدين
- العوامل المؤثرة في اتجاهات المسنين نحو خدمات الرعاية النفسية – تهاني هاشم خليل عابدين
- الرعاية العلاجية الملائمة للمسنين – خالد إبراهيم الفخراني
- امتهان كبار السن (سوء معاملة وإهمال) – مأمون مبيّض

مقالات فرنسية

- La confusion mentale chez le sujet âgé - Khadija ZAIDI
- L'impact psychologique du vieillissement chez la personne âgée - Khadija ZAIDI
- Impact psychologique de la COVID – 19 sur la santé mentale des personnes âgées -Khadija Zaidi - Rachid Aalouane
- La protection juridique des personnes âgées atteintes des maladies mentales -Khadija Zaidi - Rachid Aalouane

"نفسانيـــات " - العدد 74 (شتاء 2022)

الملف: قراءات في سيكولوجية الاستعمار

المشرف على الملف: أ. د. مصطفى عشوي

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ74/apnJ74-Content.pdf

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=505&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــرس

- الافتتاحية : مدخل إلى سيكولوجية الاستعمار- مصطفى عشوي
- قراءة نفسية في سجل الاستعمار الفرنسي- مصطفى عشوي
- الطب النفسي الاستعماري في الجزائر...دراسة في التطور الهيكلي و البنية الفكرية!!- زبير بن مبارك- سامي مقلاتي
- دور العلماء والمثقفين في مواجهة الحرب النفسية أثناء الثورة التحريرية- مصطفى عشوي
- فرانز «فانون» والأطباء النفسانيون الجزائريون بين العرفان الرمزي والنكران الفعلي- زبير بن مبارك
- في معبد المعركة ارهاصات ثورة لمالك بن نبي- نوال بريقل

المجلة العربية " بصائـر نفسانيـة" (مجلة رقمية لمستجدات علوم وطب النفس)

" بصائـر نفسانيـة" - العـدد 13 (شتاء 2018) (بمناسبة انتقال البروفيسور محمد احمد النابلسي الى رحاب الله)

الملف: عدد خاص:النابلسي... بدر إفتقد في ظلمة ليل عربي

المشرف: د. جمال التركي

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/eJbs13/eJbs13-Content.pdf

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=90&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــرس

- الافتتاحية: النابلسي . . . بدر افتقد في ظلمة ليل عربي

الملف 1: النابلسي. . . السيرة و المسيرة

الملف 2: النابلسي . . . إنجازات في زمن الجدب العربي

- مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

- مؤتمرات نحو علم نفس عربي
- جائزة مصطفى زيور للعلوم النفسية
- الثقافة النفسية المتخصصة
- الجمعية اللبنانية للدراسات النفسية
- المركز العربي للدراسات المستقبلية

الملف 3: النابلسي . . . هموم الوطن و هم الإختصاص

- واقع الطب النفسي في العالم العربي
- حول مستقبل العلوم الانسانية في الوطن العربي
- السياسة وأخلاقيات الطب النفسي
- معاداة العلاج النفسي على الطريقة العربية
- العرب بين الارهاب والبحث العلمي
- الشخصية العربية في عالم متغير
- فرضيات التموقع العربي في الفضاءات العالمية
- الانتفاضة بوصفها مرحلة حضانة للمثقف العربي
- لقاء مع الدكتور جمال التركي
- الهارب الى ضوء الشموع

الملف 4 : النابلسي . . . حصاد كدح العمر

النابلسي. . . أبحاث و دراسات أصيلة

- ملخصات ، مقتطفات، إستهلال (95 بحثا و دراسة)

النابلسي . . . إصدارات مكتبية

- فهارس و ملخصات (59 كتابا)
- جنون الإسلاموفوبيا
- آخر إصدارات البروفسور النابلسي

الملف 5 : النابلسي . . . شهادات في حقه

- النابلسي. . . شهادات الإعتراف
- النابلسي. . . رحلة عابرة في ارجاء فكره
- النابلسي. . . صرحا نفسعربيا هوى
- النابلسي. . . الفقد الفاجعة
- النابلسي. . . كلمات الرثاء
- النابلسي. . . كلمات التعازي
- مواساة أساتذة الطب النفسي و علم النفس العرب في الفقيد الراحل

الملف 6: ألبوم صور . . . وثائق . . . شهادات

" بصائر نفسانية" - العدد 18-19 صيف & خريف 2017

الملف " اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي "

المشرف: د. مرعي سلامة يونس

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=311&controller=product&id_lang=3

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=312&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

- الإفتتاحية: اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي –مرعي سلامة يونس

الملف: اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي

- علم النفس الإيجابي – مرعي سلامة يونس
- الرّغبة في معرفة الذات والآخر مؤدى للسّعادة؟ – مرسلينا شعبان حسن
- المواجهة الايجابية الطريق الى السكينة النفسانية – علي عبد الرحيم صالح
- الاغتراب عن الله (المفهوم – الابعاد – الصورة السريرية) – علي عبد الرحيم صالح
- تأثير الضغوطات المحيطية على العائلة وكيفية تدبر ذلك مع الابناء؟ – مرسلينا شعبان حسن
- تأثير مشاهدة أعمال العنف في التلفزيون على الصحة النفسية للأطفال – عبد العزيز موسى ثابت

" بصائر نفسانية" - ملحق العدد 18-19 صيف & خريف 2017

الملف " اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي "

المشرف: د. مرعي سلامة يونس

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=315&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

ملف الملحق: : اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي

- إفتتاحية العدد الرئيسي:
- اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي– مرعي سلامة يونس

فهرسة ملحق العدد

- افتتاحيات كامل اعداد " الثقافة النفسية المتخصصة " (من العدد 1 الى العدد 87–88) – محمد احمد النابلسي
- فهرسة الاعمال الدورية والمكتبية الصادرة ب" شبكة العلوم النفسية العربية " – جمال التركي
- فهرسة الاعمال البحثية و الدراسات و المقالات الصادرة ب" شبكة العلوم النفسية العربية " – جمال التركي

" بصائر نفسانية" - العدد 21-22 صيف & خريف 2017

الملف " علم النفس الإيجابي و النشاط البدني الترويحي "

المشرف: د. مرعي سلامة يونس

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=335&controller=product&id_lang=3

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=336&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف 1: "علم النفس الإيجابي و النشاط البدني الترويحي"

- الإفتتاحية: علم النفس الإيجابي و النشاط البدني الترويحي –مرعي سلامة يونس
- علم النفس الإيجابي في التربية البدنية وعلوم الرياضة –مرعي سلامة يونس
- أثر ممارسة النشاط البدنى الترويحى على التفاؤل وجودة الحياة الإجتماعية – محمد محمد عبد السلام
- نظرية وتطبيقات الشغف فى الرياضة والنشاط البدنى –مرعي سلامة يونس
- النشاط البدني وعلاقته بالتوافق والصلابة النفسية لكبار السن –محمد محمد عبد السلام
- فهرسة الاعمال البحثية الحديثة بمجال الرفاهيه الذاتيه والهناء الشخصى –مرعي سلامة يونس

الملف 2: الذكرى الثالثة لرحيل عالم الطب النفساني البروفيسور نابلسي

- رسالة رئيس التحرير – جمال التركي
- الفهرسة الكاملة لمجلة "الثقافة النفسية – جمال التركي
- فهرسة الأعمال البحثية و الدراسات – جمال التركي
- فهرسة الأعمال المكتبية و الإصدارات – جمال التركي

الملف 3: دراسات و مقالات عربية

- دور الصيام في تنمية الذكاء العاطفي للمسلمين – خالد عبد السلام
- صوم بمنظور علم النفس الغربي..أصدق تحليلا! – قاسم حسين صالح
- تأملات في عبادة الامتنان والعرفان – محمد السعيد أبو حلاوة
- اعاقة الذات: المفهوم والنتائج والقياس – علي عبد الرحيم صالح
- كيف يدرك الاطفال عالمنا السياسي؟ – علي عبد الرحيم صالح

الملف 4: مقاربات. . . الرؤية من منظور مختلف

- في النفس والدين و الحياة – صادق السامرائي
- تباركَ فعلها فالنفسُ طابتْ!!
- شجون على قارعة طريق الأمنيات!! (1)
- شجون على قارعة طريق الأمنيات!! (2)
- "وما إجتمعت بأذوادٍ فحولُ"!!
- أدونيس والقراءة التشاؤومية!!
- الماء والسماء!!
- ثنائية التكوين النفسي!!

- كيف نوّلي عقولنا علينا يا عرب؟!!
- إرادة الأرض الميمونة!!
- التعاشق الإختلافي1!
- العلم والأدب وخيبة الأرب!!

" بصائر نفسانية" - العدد 23-24 (شتاء & ربيع 2019)

الملف " التطرف والارهاب والصحة النفسانية "

المشرف: د. ماجد الياسري

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=362&controller=product&id_lang=3

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=363&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف" التطرف والارهاب والصحة النفسانية ""

- إفتتاحية الملف: التطرف والارهاب والصحة النفسانية – ماجد الياسري
- الصحة النفسية وسياقات التصدي المجتمعي للتطرف والإرهاب– ماجد الياسري
- الوعي المأزوم – سامر جميل رضوان
- الارهابي الانتحاري في العراق... التعريف والانماط والنظريات – علي عبد الرحيم صالح
- التطرّف الديني وصناعة الموت – قاسم حسين صالح
- التشريح السلوكي للتطرف!!– صادق السامرائي
- صدمة الكرب التالية للرضح : المحطة الاخيرة للتطرف العقائدي – مها سليمان يونس
- ما لا يفهمه السياسيون عن الشخصية الإرهابية – قاسم حسين صالح
- هل الإرهاب إسلامي؟ – منى فياض
- التطرف العنيف كتفاعل دينامي بين سمات الشخصية والعوامل البيئية – عبد الخالق الفاتح (نص إنكليزي)

" بصائر نفسانية" - العدد 25-26 (صيف & خريف 2019)

الملف عقابيل الصدمة النفسانية ... مقاربة من منظور عربي

المشرف: وليد خالد عبد الحميد(العراق)

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=386&controller=product&id_lang=3

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=387&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف" عقابيل الصدمة النفسانية ... مقاربة من منظور عربي"

- الإفتتاحية: نحو مدرسة عربية للصدمة النفسية... النابلسي وعلم نفس الصدمة اللبناني – وليد خالد عبد الحميد
- شبكة العلوم النفسية العربية وخدمات الدعم النفساني لرعاية ضحايا الصدمة – جمال التركي

- الحداد والتفريغ الانفعالي عند الأطفال من جراء الفقد من منظور التحليل النفساني والاتجاهات النفسانية– مرسلينا شعبان حسن
- الصدمات عبر الأجيال وغياب التوجه النفساني– مأمون مبيّض
- اضطراب مابعد الصدمة والعوامل المؤثرة به لدى الأيتام السوريين – هدى عبد العال
- حاجة اللاجئين السوريين إلى خدمات الصدمة النفسية: مسح لمهنيين في الصحة النفسية – وليد خالد عبد الحميد
- دراسة العلاقة بين الاصابة باضطراب ما بعد الصدمة والاكتئاب–عزيزة محمود علي
- علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين... دعوة للنفسانين العرب لإمتلاك ناصيته– وليد خالد عبد الحميد
- مركز "بلسم " لعلاج ورعاية ضحايا العنف والصدمات النفسية– أحمد العش
- العلاج عن بعد: الصعوبات والنتائج– خالد سلطان
- اختبارات نفسانية لتشخيص اضطرابات ما بعد الصدمة – عبد العزيز موسى ثابت
- الصدمة النفسية (علم نفس الحروب و الكوارث)– محمد أحمد النابلسي
- الضغوط و الخبرات النفسية الصادمة للأطفال: ردود أفعال وتدخل– عبد العزيز موسى ثابت
- مصطلحات علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين (الامدر)– وليد خالد عبد الحميد
- مصطلحات الصدمة النفسانية واضطراباتها– جمال التركي

ملحق الملف

- الدوريات الرقمية والأصدارات المكتبية الخاصة بالاضطرابات الصدمة– جمال التركي
- ملخصات الاعمال البحثية و الدراسات الخاصة بالاضطرابات الصدمة – جمال التركي
- الاصدارات الرقمية لمجلة الثقافة النفسية المتخصصة من العدد 1 الى العدد 62– جمال التركي

" بصائر نفسانية" - العدد 27 / شتاء 2020

الملف: "البروفيسور الغالي احرشاو . . . السيكولوجيا في خدمة الانسان والمجتمع "

عدد خاص بمناسبة تكريم استاذ علم النفس البروفيسور الدكتور الغالي أحرشاو - المغرب

المشرف: أ. د. محمد المير

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=394&controller=product&id_lang=3

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=395&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــرس

الملف" البروفيسور الغالي احرشاو... السيكولوجيا في خدمة الانسان والمجتمع"

- الملف: السيكولوجيا في خدمة الانسان والمجتمع ... كلمة الاستهلال– محمد المير
- كلمة رئيسة الشبكة الوطنية للقراءة والثقافة– فتيحة عبد الله
- السيكولوجيا بالمغرب في ظل أربعة عقود من البحث والممارسة– الغالي أحرشاو
- بين إشكالات البحث الكونية وأسئلة المجتمع المحلية – بنعيسى زغبوش
- واقع وآفاق علم النفس في المغرب– محمد المير

- تجربة البحث والتطبيق السيكولوجيين في المغرب– عدنان التزاني
- اللغة الأم ومخارج التعليم– بودريس بلعيد
- سعادتي خاصة واستثنائية أمام رجل استثنائي – الخمار العلمي
- شهادتي في حق الأستاذ الغالي أحرشاو – أحمد الزاهر
- أستاذ الأجيال البروفسور الغالي أحرشاو– خالد فارس
- شهادة في حق البروفيسور الغالي أحرشاو رائد السيكولوجيا المعرفية بالمغرب– المصطفى شكدالي
- تكريم رائد السيكولوجيا العربية البروفيسور الغالي أحرشاو– خالد التوزاني
- الغالي أحرشاو الأستاذ، المشرف الأكاديمي، الإنسان ...شهادة في حقه– عبد الله الإدريسي
- المشروع العلمي السيكولوجي للأستاذ الغالي أحرشاو ومساره– محمد ناصيري
- حفل التكريم" السيكولوجيا في خدمة الإنسان والمجتمع – الغالي أحرشاو
- تكريم رائد السيكولوجيا بالمغرب البروفيسور الغالي أحرشاو– نصر الدين شردال
- حوار مع الغالي أحرشاو– إدريس الواغيش
- البروفيسور أحرشاو مجدّدا للسيكولوجيا بالوطن العربي ومثقفا رياديّا– سامي دقاقي
- البروفيسور الغَالي أَحْرْشَاوْ يُكَرَّمُ بفاس– إدريس الواغيش
- التكريم ... صور وشهادات– سكرتيرية المجلة
- الملف: السيكولوجيا في خدمة الانسان والمجتمع ... كلمة الختام – الغالي أحرشاو

" بصائر نفسانية" - العدد 31 (خريف 2020)

الملف: " المرض النفساني... معا لا للوصمة"

المشرف: أ. د. لطفي الشربيني (مصر)

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=431&controller=product&id_lang=3

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=432&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف: المرض النفساني ... معا لا للوصمة

- إفتتاحية العدد المرض النفساني ... معا لا للوصمة – لطفي الشربيني
- إستهلال ... "الوصمة "مسألة تتعلق بالمرض و المريض و العاملين بالصحة النفسانية– لطفي الشربيني
- تعريف الوصمة– لطفي الشربيني
- وصمة المصابيين بالأمراض العقلية ....خصوصية مرض الفصام (نص فرنسي)– خديجة زيدي
- المريض النفسي في السودان..الصحةالنفسية..المعاناة الاسرية والوصم الاجتماعي– آمنة يس موسى أحمد– عمر محمد علي يوسف
- وصمة المرض النفسي – مأمون مبيّض
- الوصمة..و الأوهام و الخرافات عن المرض النفسي– لطفي الشربيني

- لسنا مجانين* ولكننا مصدومين: علم الصدمة النفسية طريق لتقليل وصمة الأمراض النفسية.– وليد خالد عبد الحميد
- كرامة المريض النفسي– محمد كمال الشريف
- أنواع وصمة "الجنون"..والمرض العقلي – لطفي الشربيني
- وصمة المرض النفسي : ليست من عندنا!– وائل أبو هندي
- حتي تكتمل الرعاية النفسانية... معا نتصدى للوصمة– جمال التركي
- وصمة المرض النفسي في البيئة العربية – لطفي الشربيني
- قراءات سيكولوجية في وصمة المعالج والمريض و المرض النفسي– عبد الحافظ الخامري
- الصحة النفسية في سوريا بين الأزمة و الوصمة (نص أنكليزي)– حسنين الطائر

ملحق الملف

- وثائق علمية: البرنامج العالمي لمكافحة الوصمة و التمييز بسبب الفصام– ترجمة: أ.د. وفاء الليثي– مراجعة: أ.د. أحمد عكاشة & طارق عكاشة

" بصائر نفسانية" - العدد 35 (خريف 2021)

الملف: " بيروتشيما... ضحايا الصدمة نحو رعاية نفسانية"

المشرف: وليد خالد عبد الحميد(العراق)

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=481&controller=product&id_lang=3

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=482&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف: بيروتشيما... ضحايا الصدمة نحو رعاية نفسانية

1-أبحاث ومقالات في الملف

- إفتتاحية الملف: بيروتشيما... ضحايا الصدمة نحو رعاية نفسانية – وليد خالد عبد الحميد
- بيروتشيما... نحو رعاية نفسانية لضحايا صدمة انفجار بيروت شبه النووي – وليد خالد عبد الحميد
- انفجار مرفأ بيروت، صدمة نفسية حديثة تكدّست فوق صدمات سابقة – يوسف العاقور
- الحزن المعقد و الحداد عند أسر كوفيد–19 ومآلاته على صحتهم النفسية مستقبلا؟ – مرسلينا شعبان حسن
- الصدمة النفسية أثرها و مقاومتها – ندى الجندي
- لقاء مع رئيسة أول جمعية عربية للأمدر – لينا إبراهيم – أجراه: وليد خالد عبد الحميد
- رؤية مقارنة للآثار والانعكاسات النفسية جراء انفجار ميناء بيروت والحرب على غزة – غسان عبد الله
- معركة سيف القدس – غزة الصمود – سائدة الغصين

2-قراءات في الملف

- الوقاية من الاضطرابات النفسية بعد الصدمة – وليد خالد عبد الحميد

" بصائر نفسانية" - العدد 36 / شتاء 2022

الملف: مالك بدري... رائد التأصيل للانعتاق من جُحر الضب

المشرف: أ. د. صالح ابراهيم الصنيع

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=501&controller=product&id_lang=3

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=502&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــــرس

الملف: مالك بدري... رائد التأصيل والانعتاق من جُحر الضب

الجزء الأول ... أبحاث ودراسات

- الإفتتاحية: مالك بابكر بدري (رحمة الله)... الأب الروحي للتأصيل الإسلامي لعلم النفس– صالح ابراهيم الصنيع
- مالك بابكر بدري... السيرة والمسيرة– صالح ابراهيم الصنيع
- مالك بدري... قراءة تحليلية في سيرته الذاتية ومسيرته العملية وإنتاجه العلمي– السر أحمد سليمان
- مالك بدري وتوطين علم النفس– عمر هارون الخليفة
- Islamic Psychology for World Civilization: Reflections on Prof. Malik Badri's book "Dilemma of Muslim Psychologist." -Nuruddin Al Akbar1
- مالك بدري... العالم والإنسان– عبدالله بن ناصر الصبيح
- قراءة في موقف مالك بدري رحمه الله من المصطلح النّفساني– عبد الله الطارقي
- لماذا مالك بدري؟... خاطرة قصيرة– خالد بن حمد الجابر
- مالك بدري... مجهودات في أسلمة علم النفس– الإمام محمد محمود

مقتطفات مقالات

- من قضايا التأصيل الاسلامي لمناهج علم النفس في الجامعات الاسلامية(مقتطفات)– مالك بابكر بدري
- مستقبل علم النفس الإكلينيكي في عالمنا المتغيّر (مقتطفات)– مالك بابكر بدري

الجزء الثاني.. إصدارات مكتبية ومعجمية، لقاءات ومحاضرات فيديوية

- أزمة علماء النفس المسلمين– تأليف: مالك بابكر بدري– ترجمة: منى كنتباي أبو قرجة
- مصالح الأبدان والأنفس أبو زيد البلخي: عالم نفساني سبق عصره بأكثر من عشرة قرون– تقديم ودراسة: مالك بدري – مصطفى عشوي
- المعجم " الموحّد " في علوم وطب النفس (الاصدارا لانكليزي)– اشراف: أحمد عكاشة– مالك بدري – اعداد: جمال التركي – مراجعة: وليد سرحان– فارس كمال نظمي
- مالك بابكر بدري.... روابط لقاءات ومحاضرات فيديوية على الويب– إعداد:صالح ابراهيم الصنيع

الجزء الثالث ... كلمات التأبين وشهادات في حق العالم الراحل

- العالم العربي و الاسلامي يفقد علَما من اعلام علوم النفس– جمال التركي
- استاذ الاجيال البروفيسر مالك بدري... وغدا نلقاك يا ميمونِ المُحيَّا ذي البشائر...– الزبير بشير طه
- مالك بابكر بدري... كلمات التأبين– الإمام محمد محمود

الجزء الرابع ... مالك بدري وشبكة العلوم النفسية العربية

- تدويناته في السجل الذهبي ل " شبكة العلوم النفسية العربية "- اعداد: جمال التركي
- جوائز التكريم من الشبكة - اعداد: جمال التركي
- الاصدارات المكتبية والمعجمية الرقمية على " شبكة العلوم النفسية العربية "- اعداد: جمال التركي
- المراسلات المتبادلة مع "شبكة العلوم النفسية العربية" - اعداد: جمال التركي

الجزء الخامس ... ألبوم صور: محطات من حياته

" بصائر نفسانية" - العدد 37 / شتاء 2022

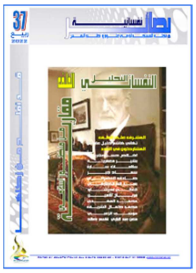

الملف: التحليل النفسي ... مقاربة من منظور إسلامي

المشرف: أ. د. تهاني هاشم خليل عابدين

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=519&controller=product&id_lang=3

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=520&controller=product&id_lang=3

الفهـــــــــرس

الملف: التحليل النفسي ... مقاربة من منظور إسلامي

- إفتتاحية الملف: التحليل النفسي ... مقاربة من منظور إسلامي - تهاني هاشم خليل عابدين
- تقييم نظرية التحليل النفسي في ضوء الفكر المعاصر لأسلمة المعرفة- تهاني هاشم خليل عابدين
- علم نفس الطفل ما بين الفكر الإسلامي والفكر الفرويدي- تهاني هاشم خليل عابدين
- العلم والدين يتكاملان من المنظور الإسلامي- محمد المهدي
- التأمل في العلاج النفسي والتفكر في الإسلام: هل من علاقة؟!- سماح جبر
- السيكولوجية الفطرية للانحراف وعلاجه ووهم التحليل النفسي- موسى الزعبي
- الدين والنفس!!- صادق السامرائي
- العلاقة بين "النفس/العقل الواعي" وبين "القلب/اللاشعور"- محمد كمال الشريف
- مصطلحات التحليل النفساني في نسق مختلف- عبد الله الطارقي
- ميكانيزمات الدين في مقاومة الكبت - سلامات سارة

مجلة " بصائر نفسانية"

مجلة المستجدات العربية في علوم وطب النفس

" بصائر نفسانية" على المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=25&controller=category&id_lang=3

" بصائر نفسانية" على شبكة العلوم النفسية العربية

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-eJbs.htm

ملفات الاعداد القادمة

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/Bassaaer-NextTopics.pdf

" بصائر نفسانية" على الفايس بوك

www.facebook.com/BassaaerNafssania-Magazine-259758497705299/

بوستر "بصائر نفسانية"

http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.BassaerPubBr.pdf

الجزء I : اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي" الاعمال العلمية لشبكة العلوم النفسية العربية

2 - فهرسة الاصدارات المكتبية الخاصة باللياقة النفسانية والفكرية للانسان العربي

الصادرة عن مؤسسة العلوم النفسية العربية

- سلسلة الكتاب العربي "نفساني" (إصدارات مكتبية رقمية محكمة في علوم الطب و النفس)
- سلسلة الكتاب العربي "وفي أنفسكم" (نحو لياقة نفسانية أفضل لحياة طيبة)

إعداد: د. جمال التركي – رئيس مؤسسة العلوم النفسية العربية (الطب النفساني ، تونس)
arabpsynet@gmail.com

سلسلة الكتاب العربي "نفساني" (إصدارات مكتبية رقمية محكمة في علوم الطب و النفس)

الكتاب العربي "نفساني" الإصدار التاسع و العشرون / صيف 2013

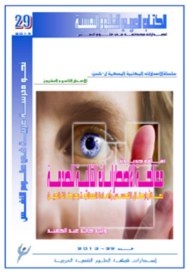

إسم الكتاب: آفاق جديدة: معالجة الاضطرابات التالية للصدمة بعلاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين – المؤلف: د. وليد خالد عبد الحميد

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=179&controller=product&id_lang=3
الفهرس والمقدمة (تحميل حر)
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB29/eB29WA2013-Content.pdf

المقدمـــــة

منذ الربيع العربي، اكتشف العالم حدّود الاضطهاد و التعذيب الذي مارسته الأنظمة القمعية ضد الشعوب و قد خلق هذا الاضطهاد بالضرورة الكثير من المشاكل النفسيّة لدى المواطنين.

إنه لمن المهمّ للحكومات الديمقراطيّة الجديدة في العالم العربيّ أن تتعامل مع آثار الأنظمة الاستبداديّة السابقة بما في ذلك المرض النفسي و هذا يحتاج لأن تكون الخدمات النفسيّة موجّهة للمجتمع ومقبولة من قبله ومتجاوبة مع حاجاته. و يجب التوكيد في الخدمات النفسيّة الجديدة على أن تتم معالجة نتائج الاضطهاد من خلال طب نفس الرضح. إن تأسيس " مراكز ضحايا التعذيب والعنف السياسي للصحة النفسية " سيكون أساس للخدمات الطبية النفسية الجديدة بدون مشاكل الوصمة. كما يجب أن يدمج في هذه المراكز المفهوم الروحي التقليديّ للصحّة النفسية و المعالجات التقليديّة مثل العلاج بالقرآن. المراكز يجب أن تسمى و تشكل بطاقم فعال لتقدّيم هذه الوظيفة وبطريقة مقبولة للسكّان.

أن الممارسات القمعية واللاإنسانية للأنظمة العربية التي أطاح و سيطيح بها الربيع العربي قد تركت العديد من الآثار النفسية في المتعرضين لها من أبناء الشعب العربي (Filiu, 2011). من هذه الآثار مرض الاضطراب الكربي التالي للرضح والذي عادة مايصيب المتعرضين للعنف والتعذيب.

"قام الحرّاس بتعليقي من رسغي إلى السقف لمدة ثمانية أيام. بعد بضعة أيام من التعليق وعدم النوم، شعرت بأن دماغي قد توقّف عن العمل بدأت أتخيّل الأشياء. أصبحت قدماي منتفختين في اليوم الثالث. أحسست بألم ما شعرت به أبدا في حياتي. كان الألم شديدا جدا. صرخت بأنّني أحتاج للذهاب إلى المستشفى، لكن الحرّاس سخروا مني فحسب". (Solvang, Ole, Neistat, Anna, et al, 2012: P6).

هكذا بدأ تقرير منظمة مراقبة حقوق الأنسان العالمية وصفا لما أدلى به أحد الذين اعتقلتهم أجهزة النظام الاستبدادي في سوريا. التقرير أكد بأنه منذ بداية الاحتجاجات المعادية للنظام في مارس/آذار 2011، قام النظام باعتقال عشرات الآلاف من السوريين و تعذيبهم في شبكة واسعة من مراكز الاعتقال في سورية (27 حددت).

و يعرف التعذيب بأنه إحداث ألم جسمي أو نفسي مبرح لتحقيق أغراض معينة مثل العقاب، التخويف، الإجبار، و إنتزاع الإعترافات أو المعلومات. ضحايا التعذيبيمكن أن يعانوا من الاضطراب الكربي التالي للرضح ، الكآبة، وأعراض أخرى مثل الإنطواء الإجتماعي، مشاكل النوم بالإضافة إلى الأثر النفسي والإجتماعي على الأسرة والمجتمع.

الأعراض النفسية للتعذيب تكون أسوأ من الجسمية في أغلب الأحيان بمعنى أن الشخص لا يمكنه التعافي منها، وقد تؤدي في النهاية، نتيجة لليأس والألم، إلى الإنتحار إذا لم تعالج ويوفر لها الدعم الكافي (Gerrity, 2001, p41). إن واجب الوفاء للذين قدموا أنفسهم وعانوا وعائلاتهم من أشد درجات البطش من قبل الأنظمة البائدة من أجل أن يتحقق الربيع العربي أن هذا الواجب يستدعي منا على أقل تقدير أن نشكل الخدمات الصحية النفسية لتستجيب لحاجات هؤلاء الابطال وعوائلهم بمعالجة الصدمات التي تعرضوا لها نتيجة الضغط والإرهاب والتعذيب خلال عقود الأنظمة البائدة.

فبعد الظلم السياسي الذي سبق وسبب الربيع العربي وكذلك إهمال صحة المجتمع العقلية من قبل الأنظمة الإستبدادية في العالم العربي. يجب أن تعنى الأنظمة الديمقراطية الناتجة عن الربيع العربي حديثا على تأسّيس وتحسين الصحة العقلية للسكان كأحد الأهداف الرئيسية للربيع العربي.

إن اقتراح الدكتور جمال التركي الأمين العام لاتحاد الأطباء النفسيين العرب تأسيس مراكز عناية ضحايا التعذيب والعنف السياسي في تونس أم ثورات الربيع العربي يجب أن يكون هدف معيّن رئيسي للحكومات الديمقراطية الجديدة التي نتجت عن ثورات الربيع العربي. هذه المراكز يمكن أن تصبح حجر الزاوية للخدمات الصحية العقلية الجديدة.

إن حماية السكان من الاضطرابات النفسية ونتائجهم الاجتماعية وخصوصا الأبطال الذين ناضلوا ضد وعانوا من بطش الأنظمة السابقة هو وفاءا لتضحياتهم التي أدت إلى الربيع العربي وهو هدف نبيل للحكومات الجديدة و يجب أن يتحدد أثناء وبعد الثورة. كذلك إن الخدمات المبنية على معالجة الصدمة ليست فقط ستلبّي حاجات المجتمع بعد ما عاناه المواطن الذي عرض للصدمة ولمدة طويلة من الظلم والممارسات العدوانية من الأنظمة الاستبدادية لكن أيضا ستساعد في خلق خدمات صحية عقلية مؤسّسة على أحد الطرق العلاجية والتي تهدف إلى عكس اتجاه الوصمة المرتبطة تقليديا بالخدمات الصحية العقلية القديمة.إن العلاج حركة العين (EMDR) هو علاج نفسي أساسه الدليل العلمي لعلاج الاضطراب الكربي التالي للصدمة (PTSD)، بوجود 15 دراسة مقارنة عشوائيا أظهرت كفاءته في تخفيض والإزالة هذا الاضطراب وأعراضه. لقد أضهرت هذه الدراسات إن العلاج يزويد بنتائج علاجية مشابهه لتلك المنجزة من قبل العلاج السلوكي الإدراكي (Bisson & Andrew, 2007)، مع كون التأثيرات العلاجية أطول بقاءا في دراسات المتابعة. كما إن هناك أيضا دعم بحثي لإستخدام علاج حركة العين في معالجة الاضطرابات النفسية الأخرى و مشاكل الصحة العقلية المختلفة والأعراض جسدية للأمراض النفسية.

إن العالمة الأمريكية شابيرو (2001) قد أكتشفت ما دعته بعلاج البيانات التكيفي (AIP) كنموذج للعلاج النفسي الذي يفترض إن معظم الأمراض النفسية تتسبب عن تشفير مضطرب أو ناقص لذاكرة الأحداث والصدمات وهذا يعرقل المعالجة الطبيعية (التكيفية) للتجارب والصدمات المؤلمة أو المقلقة. و هذا بدوره يضعف قدرة الفرد لإستكمال معالجة هذه التجارب بإسلوب تكيفي. إن المراحل الثمان المتشعّبة لعملية علاج حركات العين EMDR تعمل على تسهيل إستئناف تشغيل البيانات والتكامل الطبيعي لها. إن هذه النظرة العلاجية الجديدة، التي تستهدف التجارب الماضية و المحفزات الحالية وكذلك التحديات المحتملة المستقبلية، يؤدّي ليس إلى تخفيف الأعراض الحالية ولكن منع انتكاس الاضطرابات النفسية كما أظهرت الدراسات.

إن عدم علاج اضطرابات مابعد الصدمة قد يودي وكما أثبتت البحوث الحديثة للطبيب النفسي الهولندي المقيم في الولايات المتحدة باسل فان دير كولك بأن التعرض المزمن للصدمات وخصوصا تلك التي تبدأ في مرحلة مبكرة من العمر يؤدي إلى ما يعرف بالصدمة المعقدة. والصدمة المعقدة الناتجة عن الصدمات الغير معالجة تكون ذات تأثير أكثر سعة و عمقا من تلك المتعارف عليها مع الاضطراب الكربي التالي للصدمة. أنها تودي بالشخص المصاب إلى مشاعر مزمنة من عدم التمكن من السيطرة على مشاعرهم وسلوكهم وإحتقار الذات والتقييم السلبي للنفس وعدم التمكن من إقامة علاقات صحية متوازنة مع الآخرين. ومن الواضح أن مثل هذه المشاكل الشائعة في مجتمعاتنا بسبب عقود من القهر ستعيق أي خطط لتطوير الأنسان أو المجتمع. وأود أن أقدم علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين (EMDR) السهل الأستعمال والتدريب والأستخدام كركيزة لمراكز تعالج مشاكل الصدمة وفق تركيبة نفسية وإجتماعية وروحية متوافقة ومقبولة من قبل المجتمع العربي المسلم. ولقد أشتغلت على هذا الكتاب بناء على اقتراح من الدكتور جمال التركي رئيس الشبكة ومنذ مؤتمر دبي في نوفمبر 2012، أرجوا أن يكون الجهد الذي بذلته طيلة الأشهر الماضية قد أثمربما ينفع الناس من زملائي أطباء وعلماء النفس والله الموفق.

الكتاب العربي "نفساني" الإصدار السادس و العشرون / صيف 2013

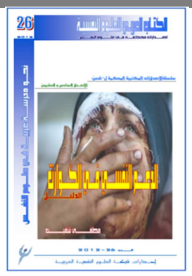

إسم الكتاب: دليل الدعم النفسي في الكوارث

المؤلف: د. مصطفى شكيب

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=182&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB26/eB26CHM2012-Content.pdf

المقدمـــــة

يسعى هذا الدليل الذي أصدرته وحدة الرعاية النفسية لضحايا التعذيب والعنف السياسي بتونس الى تلبية حاجيات الأخصائيين و الأطباء النفسانيين و العاملين في مجال الصحة النفسية الذين يعملون مع الأشخاص المصدومين ضحايا التعذيب و أحداث العنف السياسي إبّان ثورة تونس 2011، لتقديم الدعم لهذه الفئة المصدومة لتخطي فترة الصدمة و تلبية حاجياتهم العاطفية. وقد اعتمد على ابحاث علمية عالمية في المجال،لمختلف اعمال المؤسسات والمراكز والجمعيات الناشطة في ميدان الصحة النفسية و خاصة علم النفس الصدمي.

في كل سنة يعاني ملايين الأشخاص من الكوارث و الأحداث الكارثية الأخرى .بعض هذه الكوارث راجع لاسباب طبيعية . زلازل ، انفجارات بركانية . عواصف ....

و بعضها الآخر راجع إلى الحوادث . تحطم طائرة ، غرق باخرة ، كارثة منجمية ...

و لعل أكثر هذه الحوادث تراجيدية تلك التي هي نتاج **السلوك البشري الواعي** . الحروب: القمع السياسي، التصفية العرقية ،الإرهاب...

و قد ازداد العنف السياسي في منطقتنا العربية إلى جانب الأحداث المزمنة في فلسطين ، العراق ، أفغانستان ، الصومال ، لبنان ، بأحداث الثورات العربية في كل من تونس و مصر، و ما تعرفه حالات ليبيا، اليمن، سوريا من تسجيل من قمع أمني و عنف سياسي يخلف ضحاياه على المدى المتوسط و الطويل.

عندما تحدث كارثة، تكون النتائج المادية واضحة؛ تهدم البنايات و المؤسسات وكذلك المستشفيات و المتاجر و المدارس و محطات الوقود.... التأثير على أجسام الضحايا واضح كذلك، يُقتل الأشخاص ويصابون بجروح خطيرة. الآثار العاطفية الفورية . الصدمة العصبية، الخدر الحسي، الغضب هي واضحة كذلك .

مع مرور الأيام و الأسابيع قد تتضاءل الآثار المادية للكارثة ، تُبنى المنازل ، تُصلح الطرقات ، تُشغل أنظمة الاتصالات، بالنسبة لأغلب الناجين تتعافى أيضا جروح الأجسام؛

إلا أن الجروح العاطفية . جروح القلب و الروح قد تدوم؛

بالنسبة للكثيرين، تسبب هذه الآثار العاطفية معاناة نفسية شديدة، و قد تتداخل أيضا مع قدرة الناجين على المعافاة العامة من الكارثة: وقد تعوق معافاة المجتمع ككل.

بالنسبة للناجين الآخرين قد تكون الآثار الكارثية أكثر إيجابية :مفجرة طاقات جديدة و طرق جديدة لرؤية العالم.

بالرغم من هذه التغييرات ،فهم هذه الآثار العاطفية قد يساهم في قدرة العامل النفسي على دعم الناجين سواء بطريقة مباشرة أو عبر إزاحة معوقات العمل النفسي.

على العاملين في المجال النفسي **فهم الاستجابات العاطفية** للناجين من الكوارث:

- الحالة العاطفية للناجين من الكارثة لها أثر كبير على قدرتهم على التعاون بلطف و بمجهود للتعافي.
- الطرق التي يقدم بها العاملون النفسانيون أعمالهم قد تساهم في **التعافي العاطفي** للمصابين المباشرين من الكارثة أو على العكس قد تعاودهم الصدمة أو تعوق معافاتهم؛
- العاملون النفسانيون يعانون أنفسهم من بعض نفس الآثار العاطفية كما المصابون بالكارثة، و ذلك كنتيجة لتوترات العمل في المجال، و كنتيجة أيضا للتعرض الدائم للأشخاص المصدومين.

سيشدد الجزء الأول على الآثار العاطفية للكوارث على أولئك المتأثرين المباشرين بالكارثة ؛

فيما سيقدم الجزء الثاني تقنيات للتدخلات النفسية للحد من الاجهاد وللتحفيف النفسي؛

والملحقات في اخر الدليل ستشكل الجزء الثالث،والتي ستعرض استبيانات منظمة الصحة العالمية للنعامل مع المصدومين الراشدين والاطفال، اضافة الى مذكرة ملخصة للاثار النفسية للكوارث وكيفية التعامل معها.

الكتاب العربي "نفساني" الإصدار 33 / ربيع 2014

إسم الكتاب: المدرسة العربية في التحليل النفسي

المؤلف: د. زكريا علي زيعور

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=56&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB33/eB33ZAZ2014-Content.pdf

إستهـــــــلال - د. جمـــال التركـــي

في مرحلة من مراحل حياة نجوم السماء، وبعد مسيرة ممتدة من العطاء والاشعاع يتحول البعض منها الى نجوم شديدة الكثافة، بأن تلغى المسافات الشاسعة بين نواة والكترونات ذرات مادتها، عندها يتجاوز وزن جزء صغير لا يتعدى الواحد صم^3 أكثر من 2 بليون طن (+ 2000000000 كغ).

كما للسماء نجومها، للأرض نجومها... ان كانت نجوم السماء لا خيار لها في مسار تطورها وتحولها الى نجوم شديدة الكثافة، على الارض كائن كرّمه الحق له كامل الاختيار ان يرقى نجما في سماء العلوم و المعارف، أو أن يخلد غثاءا في زبد الارض ...

الكتاب الذي بين أيدينا عن أحدالمكرّمين، حلّق عاليا في سماء علوم النفس و شعابها، منيرا عتمة نفوس أبخست ظلمة الجهل و التخلف حقها في انسانية كريمة، جمع فيه الكاتب عصارة "مسيرة عُمر" من إبداع العطاء العلمي، فجاء شديد الكثافة، عميقالمعنى، غزير المحتوي، حاويا جهد نصف قرن من العمل الدؤوب في مجاهل نفوسنا. عندما تُعتّق السنين التجربة، تتكثف أبعاد الكلمة لتصبح غزيرة المعنى، متعددة الدلالات، عميقة الاغوار، ينوء بفك شفرتها متمرس اللغة والعلوم الفلسفية و النفستحليلية..، أنّى يتسنى ذلك لمن هو في دوامة الممارسة الطبنفسية، البعيد عن عالم الفلسفة وشعاب التحليلنفسي ، لذلك قد لا تراني الشخصية المناسبة لتقديم كتاب بهذا الثراء و الغني عن إبداع " المعلم".. **حسبي استهلاله بكلمات**، تكون مدخلا للقارئ العربي، أعرض من خلالها لأهميته وقيمته العلمية.

بين ايدينا كتاب خطه خير خلف عن خير سلف، هو طبيب شاب، يلج بثبات عالم الاحتصاص، له من الجرأة والشجاعة ما أهله أن تصدى لعرض " فكر عالم نفسي" ليس من اليسير جمعه ، فكيف بالغوص في طبقاته الواحدة تلوى الأخرى... نجح الى حد كبير في عرض ما خلصت اليه أبحاث و دراسات " المعلم " ليختصر الزمن وهو في بداية مسيرته فينهل من معين عصارة فكر علمي عتقته التجربة و المعرفة الممتدة. ومن خير من خلف يحفظ الارث العلمي لسلف، منه ينطلق ومعه يواصل الدرب، أملا في تجاوزه مستقبلا (لم لا...)،سنة الله في التطور. أي رضا عن النفس اكبر ان يأخذ المشعل خلف لنا ليواصل الدرب، ان كان مؤلف الكتاب خير خلف لـ"المعلم" فنحن تلاميذه خلف له أيضا، لن ندخر جهدا في حرث ارثه العلمي رقيا بالفكر النفسعرباسلامي.

شهدت العلوم النفسية منذ مطلع القرن العشرين تطورا كبيرا تنظيرا و ممارسة، الا أن عقودها كانت عجافا في أوطاننا العربية، استثناء قلة قليلة سعت جهدها تطوير الواقع النفسي العربي في غياب مؤسسات داعمة ومشجعة، فأنتجت وأبدعت وأثرت... لكن اشعاعهم ما كان ليتجاوز حدود اقطارهم أغلب الاحيان، مما أعاق تفاعل ابداعهم وتربة أوطان عربية أخرى.

إنه في حين كانت تصلنا بيسر مؤلفات علماء النفس الغربيين، كانت شحيحة مؤلفات علماءنا العرب، حتى خلنا ان لا علماء لدينا في حقل اختصاصنا... الى ان هب **اعصار ثورة المعلوماتية**، مبددا خيوط ما نسج وراء ظهورنا في غفلة من الزمن بتهميش كل ما هو عربي، زمن كنا مُغيبين غيبة زادها الجهل والفقر والخرافة بعدا، وبفضل ثورة المعلوماتية هبت علينا ابداعات الفكر النفسي العربي، عندها ادركنا اننا لا نعاني عقما نفسيا وان الامة حبلى بطاقات فذة وعلماء تفوق مكانتهم أحيانا من كنا نعدهم لزمن مراجع الفكر النفسي و انه لا فكر الا فكرهم ولا علم الا علمهم ولا ابداع الا ابداعهم... بعد ان رُسم بإحكام تبخيس ما هو عربي فينا واعلاء الغريب فيها، وكان تهميش حارس الهوية (اللغة) أوّل المداخل ، ليتبعها لاحقا جهاز القيم و الثقافة...

كنا لامسنا بعضا من هذا خلال كامل العقد الأول من مسيرة " **شبكة العلوم النفسية العربية** "، التي أسسناها كمشروع يعمل على ابراز الخصائص المميزة للممارسة النفسية العربية، حيث كانت ردود الأفعال الرافضة للمشروع عنيفة من بعض بني جلدتنا المستغربين، المأزومين من اشكالية الهوية الانتماء..

كان " المعلم" ثالث ثلاثة من النفسانيين العرب الذي شاء القدر أن احضى بشرف التتلمذ على اعمالهم وأنا أخطو خطواتي الاولى في الطب النفسي منتصف

الثمانينات... زمن كان الجدار الفاصل بين الاختصاص و الابداع العلمي العربي سميكا جدا... لكن هذا لم يمنع ان تصلنا احيانا بعض المؤلفات النفسية العربية... وكانت معارض الكتاب فرصتي للتعرف على اصدارات " المعلم"، أوّلها "**مذاهب علم النفس**"، تبعها بعض اصدارات " **التحليل النفسي الانساسي للذات العربية** " ، تلقفها كمن عثر على ضالة افتقدها... لاحقا بدأت تتضح لي ملامح نسيج حيكت خيوطه وراء غيبتنا الحضارية، وبدأت معها تتشكل ملامح فكرة جنينية، ظلت غائرة لأكثر من عقدين الى أن دكت ثورة المعلوماتية أبواب قلاعنا النفسية المحصنة، التى كنا نعدها عصية عليها وعلى ادواتها...

ومع **المد المعلوماتي** انطلقت مسيرة التأسيس لمشروع "الشبكة" وفي البال "**معلم**" كان له فضل عليها دون ان يدري، أدركت من خلاله اننا امة حبلى بطاقات علمية مميزة في حقل الاختصاص... افسحت للقليل الذي وصلني من مؤلفاته المساحة التي هي جديرة بها، ممنيا النفس ان أحقق التواصل يوما معه... الى ان يسّر لي ذلك بعد عدة سنوات من انطلاقة الشبكة، الزميل الفاضل، عضو الهيئة العلمية الاستشارية: **أ. د. نعيم عطية**... فكان التواصل الذي تجاوز العلمي الى الانساني الرحب، الى صداقة راقية اعتز بها، ليصبح نِعم السند و نِعم الرفيق. و في الذكرى العاشرة لتأسيس الشبكة، كرّمه اهل الاختصاص بالفوز من الاوائل بلقب "**الراسخون في العلوم النفسية**" لم تكن سعادتي بهذا التكريم لتقل عن سعادته ، لاعتقادي انّا **نفيه والمكرمين بعضا من حقهم علينا / على شعوبنا / على أمتنا**... و هو ليس أكثر من اعتراف رمزي سعينا من خلاله رأب صدع انجراحات حفرت اخاديد على شموع تحترق لتنير عتمة ظلمتنا النفسية العربية، مبددة جهالة امة أراد خالقها أن تكون " **خير امة اخرجت للناس**"، **لكنها أبت ان تكون**...

أثرى "المعلم" الشخصية العربية من منظور نفستحليلفلسفي كما لم يثرها أحد، قدم للمكتبة النفسية العربية على مدى نصف قرن أعمال منارة، سعى لتخليص الشخصية العربية من عقد استحكمت فيها زمن الجهل والتخلف، فشوهتها وأفقدتها خصائصها ومميزاتها، حتى غدت باهتة الملامح، مهتزة الكيان، مجردة من مواطن قوتها، تحتمي بمجد ماض تليد علها تجد فيه بعضا من رد اعتبار لنرجسية ممرغة في الوحل.

بهذا الإصدار, الذي قدم فيه الابن، للمثقف العربي وللمهتمين بالعلوم النفسية، عصارة الابداع العلمنفسي للاب " المعلم".. لا أعتقد ان **تحمل مسؤولية هذا الإرث العلمي تقف عند حدوده بل تتجاوزه**، الى كل من أهمّتهم الصحة النفسية في اوطاننا، بالعمل على تثويره وحرثة وابراز كنوزه ودرره للحفاظ على وهج "الشعلة" التي اضاءها "المعلم" في زمن عتمة الجهل النفسي العربي منارة، علنا نساهم معه في تبديدها ونسقط بها الأقنعة ونتجاوز بها العقد، **فنفتح ابواب العقول الموصدة، ونحرر انساننا العربي من حواجز سميكة من الوهم، كبّلته واعاقت مسيرته فتخلف عن ركب حضارة انسانية اصبح فيها خارج السباق**، ذلك ان الرقي المعرفي والعلمي هو السبيل الاوحد للنهضة و اللحاق بركب حضارة عالمية نحن على الهامش فيها، في زمن عولمة شرسة لا تبقي و لا تذر شعارها " لحاقا او انسحاقا"، إما الإلتحاق بركب الحضارة أو الانسحاق و الاضمحلال و التلاشي لمن " تنعموا " بغمس رؤوسهم في التراب.

لا أعتقد ان أمة **كرّمها الحق** بأن اصطفى منها **خير خلقه لتبليغ آخر رسالته للعالمين** جديرة بهذا المآل، كما لا أعتقد أن " **اللغة" اصطفاها عالم الغيب والشهادة بأن نزّل بها كتابه الكريم هداية للانسانية جمعاء**، تستحق ان تكون في مرتبة متخلفة في سباق اللغات الضاري او أنها قاصرة على التطور ومتابعة ما يستجد من أحداث علمية متلاحقة لا تكاد تهدأ... "**عربيا**": **لعلهم يعقلون**.

الشكر موصول للدكتور زكرياء، ان شرفني بكلمة الاستهلال، الله اسأل ان يزيده و "المعلم" بسطة في العلم و الجسم و يمتعهما بالصحة و العافية، وان يكون قرة عين "معلم" نذر حياته لرفعة العلوم النفسية و خدماتها رقيا بانساننا.

المقدمـــــــة

1- السيرة النفسية الاجتماعية لفرد، لعقلٍ أكاديمي أو لقسم تدريسي داخل الجامعة، تكون تأرخةً جماعية شَمّالة، عامة وكونية. الحقلان يتكاملان ويتواضحان، يتغاذيان ويتناضحان، يتساكنان ويتشاركان.

2- تاريخ الفرد، الجزءِ أو العنصر، الحادثِ المحلّيّ أو النفسي كما الذاتيّ النزعة، هو أيضاً تاريخٌ عامّ وشامل؛ وللفكر والكون، للأمة واللغة والحضارة برمّتِها.

3- طريقتي في كتابة الفقرات أو المفاصل التالية، أدناه، لا تُلغي الأنا؛ وهي لا تنفُر أو على الأقل، لا تخشى من الذاتيّ النزعةِ (= الذاتاني). فنحن، هنا، لا نغلّب الموضوعيَّ النزعةِ، أو الخصائص والطبيعة والشكل؛ أي أننا لا نُلغي الذاتاني لحساب الموضوعاني. وليس عكس هذه المعادلة خطّاء أو زَلَليّ؛ ولاهي، أصلاً، عطوبة أو فاسدة.

4- التأرخة الفردية، الرواية أو الأسكوبة (version) لعُمر شخصٍ، نافعةٌ وأساسية؛ لكنها لا تحلُّ محلَّ التاريخ الاجتماعي الشامل للجماعة والمجتمع، للتواصلية والأُمَّتيّ، للمحلي والمسكوني، للاقتصادي والاجتماعي كما للفكري والحضاري.

المُراد هو، في كلام أدمث، أنّ المناهج، في التشخيص والتمحيص، ثم في النقد والاستيعاب وطرح التغييري، تكون قي قطبَيْن يتكاملان بتفاعل وتناقح متبادلٍ ومتلاقِحٍ هما: التجريبي والعقلي الصِّرف (النظري، التنظيري، التأملي). إنهما المناهج التطبيقية أو الميدانية والعملية؛ والمناهج التي تُعمِل الفكرِ والتبصر أو التحليلَ والمقارنة كما الاستقراء والاستنباط، أو المنطق والمناهج الفرضية-الرياضية، وريَضَنة العلم... وعلى ذلك، فكأنّ القول بالعقل العملي والعقل النظري ما يزال سديداً؛ وليس فقط نافعاً مربِحاً؛ فذاك هو نفسه، بالتالي، القول بالفلسفة العملية والفلسفة النظرية، القول بالفعل والمعيار والخير، والقولُ بالعقل والحقيقة، وبالأجهزة أو القوانين الفكرية.

5- تكون الذكريات غير منظَّمة. وصياغتها الاحصافية ترتيبٌ وتعضية، تمَنسُق واعتمادٌ للتسلسل والمنطقِ والتبويب. إذا حدّث الانسانُ عن ذكرياته فليس واجباً، أو لزاماً عليه أنْ يُعدِّل متدخِّلاً كيما يقدّم لنا غير المكرَّر، والمتشابك... فتلك وظيفة قد يقوم بها المستمع، والمحلِّل الغائصُ في التعقب والتحري لكشف المطمور واللاواعي، المظلم والبور، المشوَّش والمضطرب. الخشية، في صياغة الأسرودة، تكون بخاصةٍ من التشويه والتعديل والإسقاط (را: علم نفس الشهادة).

إنْ كان في هذه الذكريات المؤرِّخة تدفقاً وتراكماتِ أنقاضٍ أو بقايا وتكويماتٍ مكدسة، فلأني لا أُنظِّم أو أضبُط مفضّلا للقارئ نفسه أن يُرتِّب، ويُسلسِل الأحداث؛ وأن لا يتوتر إنْ رأى ورود "الخَبَرية نفسها" في أكثر من مكانٍ؛ أي في أكثر من توظيفٍ واحدٍ لها، وفي أكثر من معنى؛ بل وعلى أكثر من صعيدٍ أو مستوى.

6- في أواخر السبعينيات، وفي مضمار إعداد حلقات من "موسَّعة التحليل النفسي للذات العربية..."، ظهرتْ دراساتٌ نفسية مجتمعية عديدة، وتحليلاتُ مشكلاتٍ صحية حضارية. اعتُمِدتْ مناهج كانت مخصوصةً بالمسح العام للواقع والشروط الموضوعية؛ أي للحقول والعوامل والمشكلات أو الانجراحات. ومن بعد هذا المسح الميداني، أو تجميع المعطيات، ظهر عملُ مناهج فرز الجداولِ والاحصاء، "وتفريغِ" الاستمارات... (را: الدراسة النفسية الاجتماعية بالعيّنة للذات العربية)؛ وفي خطوة ثالثة، كان يُعمل على استخراج وصوغ قوانين عامة هي شِبه روابط أو صلاتٍ وخيوطٍ ناظمة (را: الشخصية الغِرارية، كشاهد).

بموجب تلك المناهج درسنا موضوعاتٍ كان عنوان الأخير منها "مبحثُ قوانين الاضحاك كما النكتة وأخواتها". أما الموضوعات الافتتاحية فكانت الانتقال والتحوّل، في الستينيات الناصرية، من استعمال الحطب إلى قنينة الغاز، ومن الطرّاحة والمِسند إلى الكرسي و"الكنباية" والصوفا (= الاريكة)، ومن الجَّرة يُنقل بها الماء من النبع إلى حنفية المنزل... وهناك أيضاً: السيارة، الطبيب، المدرسة الرسمية، البلدية، النقابة، الجريدة، الوظيفة الحكومية، الكهرباء، التلفون، البنطلون، الزيّ، المرأة الموظَّفة... وكان آخرها الدراسة الميدانية للعلاقة الإناسية بين الانسان والله، بين الناس والقدَر.

7- أما المناهج الأخرى، بعد المناهج التجريبية والتجرُّبية (= الأمبيريقية، الأمبيرية، المعتمَدة في المدرسة الأميركية في علم الاجتماع)، فكانت مناهج استكشاف اللاوعي والغوريات، المتخيَّل والاستعاري أو الميثي والايماني...؛ كما كانت معتمدةً أيضاً المناهج الفلسفيةُ والمعتمدةُ العاملة في العلوم الانسانية كالتاريخ والألسنية، الإناسة والتربويات...والأهّم، في قطاع المنهجيات هذا، كان الإصرار على الحذر من الطرائق التوفيقانية والتلفيقانية، غير التاريخية، الإسقاطية الخ.

سبيلُنا إلى تأرخة "ستين عاماً" من عُمر فردٍ أكاديميّ النشاط والإنتاجِ أو الشُّغل، يتكافأ مع سُبُل التأرخة الاجتماعية والعامة لمجتمعٍ أو فكر، لمؤسساتٍ ثقافية ومساحةٍ من الزمان والتطور والجغرافيا... بحسب هذه "القواعدية"، بحسب مبادئ العمل هذا أو أجهزته وقوامه و"فلسفته"، كتبنْا على شكل فقرات معظم الفصول التالية من هذا الكتاب. الفقرات النفسو- فلسفية الواردة، أدناه، تعبيرات عن تجارب ذاتية؛ لكنها أيضاً تُعدّ موضوعيةً بسبب أنّها تخصّ كل انسانٍ مرّ بمثل تلك التجارب؛ وشَعَر بتلك المشاعر أو العواطف، والميول كما الانفعالات. إلى ذلك، إنّ الفَقرات- الفِكْرات الواردة هنا مقولاتٌ هي، بالتالي، محلية وعامة، فردية وجماعية، تؤوب إلى السيرة الذاتية والى التأرخة للمجتمع والفكر... وهذا كله بمقدارها هي، إلى ذلك، اجتماعية أو فكرية، تربوية أو تنموية، توصيفية أو تغييرية...

الفقرات هذه هي، إذَن، أفكاري وسلوكاتي، آرائي ومواقفي. لم أورد سيرة حياتي على النحو المعروف؛ لكنْ لماذا لم أقصُص سيرة حياتي على الغرار المألوف المأنوس؟ لمْ أرَ أنّ هذا النوع الأدبي من فنون الكتابة نافع أو الأصلح، سديد وحقيقي... من حقي أن أختار؛ وقد اخترتُ فن السرد على شكل فقرات متناثرة، مبثوثة شريدة، غير مسيَّجةٍ داخل أقفاص النسق العام وحظائر عمارةٍ أو كلّ مرصوصٍ مستبّد. كما اخترتُ أيضاً الصياغة على شكل أقصوصات، واشتباكاتٍ "زُملائية" عابرة وعطوبة.

8- سوف يمر أدناه، باحتشام واحترام للذات، أنّ التحليلة أو المعاينة، بجلساتها المفتوحة، لديكارت، على سبيل الشاهد، تعقبت الغوري واللامفصوح، ونقّبت في اللاوعي والمتضمَّن... واحترمتْ الشخصيةَ الذاتية، والشخصية المعنوية، للصابر؛ لكنْ وضعتْ أمام الوعي (= وَعْيَنت) "البطلنة" أو الكملنة، الأسطرة كما اللّهوَتة التي أحفت بها وغطتها جاعلة منها بطلاً شعبياً أو صاحب سيرة شعبية... لم نهتم، طيلة عقود، بتقطيع آراء لاكان (LACAN)، كشاهد آخر، أو ببسطها وتمجيدها. فالأهمية المعطاة لذلك المحلِّل تتلخص بالاهتمام والانصباب على ما كتبه عنه المفكرون العرب، على علاقاته وأفكاره العائدة إلى الدار العربية؛ ولربما كان القول العربي، في بيروت 1973، عن صحته النفسية أو عن عصابه، والاضطرابِ أو التزعزعِ في قوام شخصيته، هو القول الواجبُ والنافع الانطلاق منه... كما كان طرحُ نظرية هندية- عربية في علاجه أمراً (= شيئاً، فكرةً) سديداً؛ وهي لم تُطرح إلا لأنّنا كنّا نعرف جيداً خصائصه وغرابة أطواره؛ أو اضطرابه المزاجي، وتقلّب شخصيته أو ثنائيتها.

9- عبر المسار "النصف قَرْنيّ" لتقديم شخصيةٍ ومدرسةٍ داخل الجامعة اللبنانية، داخل الفكر الاكاديمي العربي، سوف نرى، أدناه، الانتقال إلى رؤيةٍ جديدة لنفسنا داخل نفسنا، لمعنى وطبيعة الصورة عن الذات داخل الذات العربية... لكأننا، بعد نقدٍ حضاري واستيعابٍ تَخَطّوي، انتقلنا، تراجعاً واهتداءً، إلى مفاهيم ورؤى مختلفة حول تفسير وفهم وتأويل علوم النفس والفلسفة والتاريخ، علوم اللغة والتحليل والمجتمعيات كافة.

10- سوف نرى أنّ تاريخ الفكر الأكاديمي هو، بحسب المدرسة العربية، لا يذهب، في دراسة علم الاجتماع (على سبيل الشاهد)، إلى إبداء الاعجاب والتقدير إلى دوركايْم أو ليفي- بْرول، وإنّما إلى بوغليه أو أسَّيرْتْييه... ذاك أنّ المدرسة العربية، وعبر مسارها منذ الستينيات، غيّرتْ في التعاملية المحلية- الفرنسية، أي في العلائقية بين فكرَيْن أو موقعَيْن داخل تاريخ العلم. لقد تغير خطابُ العقل، داخل المدرسة العربية، ومحاكمتهُ أو قوله في العقل الأوروبي؛ وجرى التحوّل والانزياح إلى القول بدارٍ عالمية للعقل والتاريخ والعلم والفن، والى القول بالتواصلية الأفقية التفاهمية، والى التفاعلية بين أحرار مختلفين ومتساوين داخل المسكوني والكوني، داخل العالمينية والعالمِية.

11- يصْنع الاستراتيجيا، ويعيد بتواظب صقلَ العقل الإستراتيجي، للأنا داخل المجال، أنوارُ ونُسغُ حقولِ علم النفس واختصاصاته ومِهَنه مجبولةً مع الفلسفة والمواكبات الفكرية لشتى العلوم الانسانية المجتمعية. وما هي الاستراتيجيا إنْ لم تكن عينها التكييفانية، التغييرانية، الصحةُ الحضارية، الاقتصاديةُ والمعرفية، للمواطن والأمّة والوطن داخل الدار العالمية؟

12- تُظهر السيرةُ الذاتية للفرد أو للعقل الجامعي، متكافئةً مع التأرخة العامة للمجتمع والسياسة، أنّه لم توجَد أمّة، داخل أوروبا الغربية، المكتظةِ بالسكان، لم تَوظِّف المعرفةَ من أجل استغلال الأمم التي كانت متخلّفة في حقول المعرفة. بالمعرفة حاربت المدرسةُ العربية، عبر سيرتها ومسارها منذ الستينيات، سلطةَ الجارح. فالمعرفة سلاح عظيم بيد الراغب في الامتداد والسيطرة، في مراكمة وزيادة الثروة، وتحقيقِ المنفعة، وتأمين المصالح.

لقد ظهر جلياً أنّ سلاح البشرية الأسرع والأقدر، الأنفع والأصلح، لم يكن سوى المعرِفة المنتَجةِ في الجامعة، في المراكز المتخصّصة المكرَّسة، في سياسة الدولة الساعية إلى أن تكون دولة الصحة الحضارية للشعب، دولة المواطنية، دولة المؤسسات، دولة المَدنيات، وحيث المصالح الاقتصادية الأمّتية مستقلةٌ غير مستتبَعةٍ مستلحَقة، والتنمواتُ الاجتماعية، الاقتصاديةُ أصلاً وفصلاً، متواصلةٌ ومتوازنة، ديناميةٌ ومتلاقحة، شَمّالة أجمعية، عامّة وحرة.

* *

1- الفلتان في موضوع المصطلحات، في صوغِ اللفظة المصطلحية أو صُنعِ المفردات التقنية العائدة إلى الحقول المعرفية المضطرمة، قد يتشابه أو يُقرأ على بساطٍ واحدٍ مع حالة مَرَضية هي كحال فقدان الكلام أو انحباسه (را: الأفازيا). هنا تندلع ذكرى حادثة جامعية داخل قسم الإجازة: حدَث أنّه لم يمانع أحدٌ في تخصيص ساعة داخل مقرر بعض المواد (علم النفس، الفلسفة، الألسنية) من أجل تدريس مادةٍ اسمُها "المصطلحات النفسية والفلسفية والتربوية". وكان علينا الاسراع في الأمر، ليس فقط من أجل دعم الانتقال إلى التدريس بالعربية وإشباع مشاعر وانتماءات أُمَّتية (وطنية، قومية وغير مقومِنة)؛ بل وأيضاً من أجل تعميق الاقتناع الذاتي، وبثّ إقناع المناوئ كما الجارح، وبالتالي من أجل إبعاد الذئب اللغوي الكاسر، المستولي على التدريس الجامعي في لبنان (را: ثورة الطلاب الضعفاء بالفرنسية؛ الرحيل إلى الشهادة الثانوية في سوريا ومصر؛ تأسيس الجامعة اللبنانية وبخاصة الجامعة العربية كفرعٍ لجامعة الاسكندرية).

2- التجربة العربية في أتون المصطلحات وقعت في بعض المهاوي والانفلاتِ على الأسيجة والمغلق والتعصّب... في عبارةٍ أوضح وانضج، إنّ المبالغة في نحت كلمات تقنية بواسطة الإلصاق، أو بصهر لفظتَيْن في لفظة واحدة، قد تكون غير سديدة، منفِّرة ومكفِّرة. نُقرّ بذلك؛ والأزود هو أنّ تلك الظاهرة اللفظية التي

طرحناها وعشناها موحيةً بأنها توجد أيضاً عند الطفل والهذائي، والآخذَ بتعلّم لغةٍ غريبة عليه؛ هنا الصابر يخلُق كلمات؛ ويطرح كلمات مشَّوهة خاصة به، غريبة (را: الإسهال اللفظي، في:

زيعور، معجم الطب النفسي...).

3- أشكر الدكتور **جمال تركي**؛ شكراً كثيراً وجزيلاً. والى أستاذنا الدكتور **عبد السّتّار إبراهيم** ألف تحيةٍ وتحية؛ وامتنانات.

الكتاب العربي "نفساني" الإصدار 38 (ربيع 2015)

إسم الكتاب: جنون الإسلاموفوبيا

المؤلف: د. محمد أحمد النابلسي (لبنان)

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=58&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB38/eB38MN2015-Content.pdf

المقدمـــــة

بدأت الأبعاد السياسية لمفهوم "الاسلاموفوبيا" تتبلور منذ أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي اثر بروز ظاهرة ما يسمى "الصحوة الاسلامية" أو "صعود الاسلام السياسي" في العالم العربي والاسلامي، وخاصة بعد الثورة الإيرانية بزعامة الإمام الخميني عام 1979، وتزايد الاهتمام الغربي بدراسة ظاهرة تنامي الصعود السياسي للتيارات الاسلامية والاصولية وتأثيرات ذلك على الغرب. خاصة بعد انطلاق ما سمي بالارهاب الاسلامي وحوادث 11 سبتمبر على وجه اخص.

هذا وارتبط مفهوم "الاسلاموفوبيا" في الكتابات الغربية بمجموعة من المسلمات المسبقة والسلبية عن الاسلام والمسلمين. وبخاصة بالصورة النمطية الهوامية التي بدأتها المخابرات البريطانية عبر لورنس العرب وملاحظاته. وأكملتها المخابرات الاميركية في سياق عملها على رسم قوالب نمطية للأمم والشعوب بهدف وضع قوالب سلوكية للتعامل معهم. وتجدر الاشارة هنا الى ان معظم علماء النفس والانثروبولوجيا الذين رسموا هذه القوالب كانوا من العلماء اليهود المهاجرين من المانيا هرباً من النازية.

كما تضيف القناعات الشعبية في الغرب تشويهات اضافية لصورة الاسلام والمسلمين. وهي قناعات خاطئة مبنية على فوقية المستعمر وتعالي التفوق العلمي والتكنولوجي. مضافاً اليها الإنطباعات الإستشراقية المرتبطة بدورها باهداف استخبارية واستعمارية بما يفقدها موضوعيتها. ولعل سبب شيوع مصطلح الاسلاموفوبيا وغلبته يعود الى انه يبرر العداء للإسلام دون الاعتراف به. اذ يحول العداء للإسلام من مظهر تمييزي الى رد فعل مرضي مخفف ناجم عن ممارسات ومظاهر اسلامية متعارضة والقيم الغربية بدءاً من الحجاب ولغاية اتهام الاسلام بـ حوادث 11 سبتمبر.

من جانبنا نحن لا ننفي القراءات المطروحة حول نشأة وتطور الاسلاموفوبيا ولكننا نعيب عليها ظواهريتها اي دراستها للاسلاموفوبيا كأحداث منعزلة. في حين تؤكد نظرية الاستقراء والنظريات التحليلية انه لا يمكن رد الحدث المتكرر الى مبدأ المصادفة وقراءته كظاهرة معزولة. فلدى تكرار الحدث فهو يتحول الى ظاهرة لها آلياتها المتسببة في تكرار ظهورها. وهذه الآليات لا يمكن التماسها عبر القراءة الظواهرية. اذ ان القراءة التحليلية تفرض نفسها في هذه الحالات.

إن القراءة التحليلية لظاهرة الاسلاموفوبيا تقتضي متابعة زمنية لتبدياتها في حقب زمنية مختلفة مع نزع قناع الفوبيا عنها كونه مجرد قناع تمويهي لحقيقة الظاهرة وهي "العداء للإسلام" الذي يلازم كل تظاهرات الاسلاموفوبيا قديمها وجديدها. بما يوصلنا الى التركيز على العناصر المساهمة في ارصان هذا "العداء للإسلام" وهي التالية:

- فوقية المستعمر وتعالي التفوق العلمي والتكنولوجي.
- دور الاستشراق وإعادة توظيفه تحت شعار الاستشراق المعاصر.
- وهم الآحادية القطبية وفرضيات النهايات التي حاولت التمهيد له.
- مشاركة صناعة السينما الاميركية في صناعة العداء للاسلام وتشويه صورة المسلمين.

سذاجة تعامل الاعلام العربي مع مصطلحات الارهاب والاسلاموفوبيا.

- المسلمون كارهو أنفسهم المشاركون في مشروع الاسلام البروتستانتي.
- الاسلاموفوبيا كأداة للحرب النفسية ضد الإسلام.

هذه المحاور تبين التداخل المفتعل بين العديد من الظواهر السياسية المستجدة وبين ظاهرة الاسلاموفوبيا حيث الارهاب في طليعة هذه الظواهر.

– **الإرهاب:** تداخل مفهوم الارهاب مع ظاهرة الاسلاموفوبيا في السنوات الاخيرة بحيث بات من الصعب الفصل بينهما. خاصة وان التعريف الاميركي للارهاب يكاد يقصره على المسلمين متجاهلاً مصادر الارهاب الاخرى.

من جهته تصدى عالم اللغويات ناعوم تشومسكي لمحاولات الصاق تهمة "الارهاب" بالعرب مبيناً الممارسات الارهابية الاخرى والاسرائيلية تحديداً . مفسراً في المقابل دوافع ما يسمى بالارهاب العربي. كما تصدى تشومسكي للاجتياح الاسرائيلي للبنان موضحاً أهدافه متنبئاً بغاياته التي يمكن تلخيصها برغبة اسرائيل في خلق فوضى ديموغرافية عارمة في المنطقة بخلق نظام الاقاليم المتعددة داخل اسرائيل ومحاولة اقامته خارجها مع اجهاض اية فرصة للسلام

غني عن القول بان الارهاب ليس قسراً على فئات اسلامية تمارسه فالتطرف الديني شائع وممارس وان تجاهله الاعلام وغيبه عن التداول. حسبنا هنا التذكير بان انفجار اوكلاهوما الضخم 1995 كان من تنفيذ اليمين المسيحي الاميركي المتطرف.

– **الاستشراق المعاصر:** باتت صناعة الاسلاموفوبيا النسخة الجديدة للاستشراق المعاصر الذي يتفرد اليوم بالإسلام والمسلمين دون سائر الشرقيات. إذ إفترض المستشرقون المعاصرون، والأمريكيون منهم خاصة، أن خصمهم اليوم بدون منازع هو الاسلام. لذلك رأوا أنه لابد لهم من اقناع الهيئات التنفيذية العليا بشتى مؤسساتها وتخصصاتها لأخذ هذا "التهديد" بعين الاعتبار، ويحملوه محمل الجد لوضع الحد لما يسمونه بـ "الارهاب الايديولوجي الاسلامي".

– **وهم الآحادية القطبية وفرضيات النهايات:** جهد المنظرون الاميركيون لدعم وهم سيادة الآحادية القطبية الاميركية عبر نظرية النهايات. فكانت نهاية التاريخ اشارة لنهاية الحروب التي يولد التاريخ من رحمها. ثم نهاية الايديولوجيا بسقوط الشيوعية ونهاية القوميات وغيرها من النهايات وصولا لنهاية الانثروبولوجيا. لكن هذه النهايات سقطت مع انفجار اوكلاهوما الذب نفذته الميليشيات الاميركية البيضاء ما طرح السؤال: هل كان هذا الانفجار ليحدث لو كان لاميركا عدو خارجي؟. من هنا انطلق التهافت الاميركي لصناعة عدو جديد بديل للاتحاد السوفياتي فظهر طرح متعجل هو "صدام الحضارات" حيث انتخب الاسلام والكونفوشية كعدوين افتراضيين. ومع تفجيرات 11 سبتمبر تصدرت الاسلاموفوبيا الواجهة كبديل لفرضية النهايات او كمعترضة لهذه الفرضية.

– **مشاركة السينما الاميركية في صناعة الاسلاموفوبيا:** لعل فيلم الحصار المنتج في هوليود 2004 خير مثال على دور السينما الاميركية في نشر العداء والكراهية للمسلمين بين الجمهور الواسع. فهذا الفيلم وعشرات غيره يحمل رسالة كريهة تفوح منها كل روائح العداء والكراهية والحض علي البغض واحتقار العرب والمسلمين, لأنهم ببساطة ارهابيون, إذ أن شبكة ارهابية عربية اسلامية, تخطط لنسف مدينة نيويورك باستخدام أسلحة نووية حديثة وصغيرة, الأمر الذي استدعي اعلان حالة الطوارئ واستدعاء خبراء أهم ثلاثة أجهزة, هي الجيش والمخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي, لاجهاض مخطط الشبكة الارهابية.

– **سذاجة تعامل الاعلام العربي مع الإساءات للاسلام:** ومثالها إعتماد الفضائيات العربية على المواد الخبرية والمتابعات الإخبارية للإجتماعات والتصريحات الصادرة عن المسؤولين الميركيين. مما عكس كسل المراسلين العرب وفقر التوثيق الأرشيفي. حيث كان يفترض إستعادة فضائياتنا لتفجير أوكلاهوما 1995 وإستعجال الصحافة في حينه لإتهام شرق أوسطيين بالحادث وقبول الجمهور الأميركي للتهمة دون نقاش. وكان من المفيد التعليق بأن كلينتون ان قادراً يومها على الإنطلاق من هذه الإتهامات للقيام باعمال عسكرية في الشرق الأوسط. كما كان مفيداً التذكير بالتفجير المحدود في مركز التجارة العام 1991 وهو يعكس محدودية قدرات الإسلاميين في أميركا. وأيضاً كان يفترض التذكير بالتفجيرات والحوادث الإرهابية التي لم تعلن تحقيقاتها والباقية مجهولة لغاية اليوم. وكذلك إثارة ومناقشة بقية المواضيع المثيرة لمخاوف الجمهور الأميركي. مع تبيان أن ردة الفعل الأميركية ستكون خارج المألوف ،أقله لإعادة الأمان للأميركيين، وأن لا مصلحة للعرب والمسلمين تبني التهمة وقبولها.

– **المسلمون البروتستانت:** هم من المسلمين كارهي انفسهم لغاية المشاركة في مشروع الاسلام البروتستانتي الذي يعمل على نسف المقدسات الاسلامية تحت عنوان علمنة تجعلها عرضة للنقد وتالياً للتحوير والتعديل. هذا ويظهر هؤلاء المسلمون عداء" صريحا" وتطاولاً فجا" على الاسلام يشجع الاسلاموفوبيا بل ويجعلها مهذبة مقارنة بمواقفهم وتصريحاتهم.

– **الاسلاموفوبيا كأداة للحرب النفسية ضد الإسلام:** ان معظم المفاجآت الاميركية في السنوات التالية للثلاثاء الاميركي يرتبط بنجاح سياسة التخويف المعتمدة من قبل الإدارة الاميركية بفروعها المختلفة. فقد نجحت هذه السياسة في تأجيج الاسلاموفوبيا عبر نشر الذعر بين الجمهور الأميركي لتدخله في حالة نوامية لم يفق منها منذ 11 ايلول

2001 وحتى خروج بوش الابن من البيت الابيض. عمومية هذه الظاهرة تقتضي التدخل الإختصاصي لعلاجها بالرغم من استغلال الجهات الرسمية لها وتوظيفها مع إساءة إستغلالها على الصعيدين الداخلي والخارجي.

دخلت ظاهرة الاسلاموفوبيا مرحلة الإضرار العملي بالاسلام والمسلمين اذ وصلت الى حدود الاعتداء على المسلمين الافراد وبخاصة منهم المقيمون في الخارج. كل ذلك وسط صمت رسمي وسذاجة اعلامية عربية يخالطهما التجاهل المقصود والرغبة في تجنب الاختلاف مع الغرب خوفا" من تفجير مشاكل سياسية مع دوله. وهي مواضيع تطرقنا اليها في سياق فصول هذا الكتاب وهي التالية:

1 الفصل الاول: الإسلاموفوبيا كمظهر لجنون العظمة الغربي
2 الفصل الثاني: الاستشراق مقدمة لصناعة الاسلاموفوبيا.
3 الفصل الثالث: الاسلاموفوبيا وارهاب النهايات.
4 الفصل الرابع: صناعة الإسلاموفوبيا في هوليوود.
5 الفصل الخامس: التناول الاعلامي العربي للاسلاموفوبيا والإرهاب
6 الفصل السادس: مسلمون يغذون الاسلاموفوبيا.
7 الفصل السابع: الإسلاموفوبيا والحرب النفسية ضد الإسلام.
8 الفصل الثامن الاسلاموفوبيا والهلع من الأديان
9 الفصل التاسع الأحادية القطبية تفجر لوستوفوبيا
10 ملاحق الكتاب

بناء على ما تقدم فإن الإسلاموفوبيا لا تخرج عن كونها تحويراً عظامياً بارانويدياً (جنون عظمة) للعداء الغربي للإسلام والمسلمين. حيث تدرك الاستخبارات الغربية العاملة على تأجيج هذا العداء ان غالبية الدول المسلمة مشرعة الابواب امام مصالحها ومخابراتها على حساب شعوب مسلمة تنهب ثرواتها وتحتل بلدانها دون ان تملك مجرد حق الاعتراض على هذا الواقع فترضخ لفقرها واحيانا" لمجاعاتها!...

الكتاب العربي "نفساني" الإصدار 45 (صيف 2016)

إسم الكتاب: سيكولوجيا الذاكرة الجمعية الفلسطينية ،ذاكرة حية ومعاناة لاتنتهي

المؤلف: د. كامل حسن كتلو

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=236&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB45/eB45KK2016-Content.pdf

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على المحتوى الظاهر لقصة الحياة لدى المسنين من اللاجئين الفلسطينيين الذين عاشوا الدياسبورا. ومعرفة السيرورة التاريخية لحالة التهجير وكيفية تأثيرها على الواقع النفسي والاجتماعي لهم، ومعرفة الدلالات السيكولوجية والاجتماعية والسياسية لهم، تكونت عينة الدراسة من 121 من المسنين من اللاجئين الفلسطينيين منهم 78ذكور و 43إناث الذين رووا قصة حياتهم، استخدم منهج تحليل المحتوى (الكمي والكيفي)ومنهج Van de Castle Hall لتصنيف عناصر محتوى قصة الحياة إلى فئات . وقد كشفت نتائج الدراسة عن سبع فئات رئيسية تضمنتها قصة الحياة وعن عدد من الفئات الفرعية تمت مناقشتها، ومناقشة الدلالات السيكولوجية والاجتماعية والسياسية لها. قدّم الباحث بعض الاستنتاجات والتوصيات .

الكلمات الدالة : المحتوى الظاهر لقصة الحياة، اللاجئون الفلسطينيون، الدياسبورا.

Abstract

This study aims to identify the manifest content of the life story of the elderly diaspora Palestinian refugees and to explore the history of the process of their displacement and its psychosocial, social and political implications for them. The study sample consists of 121 elderly Palestinian refugees, 78 males and 43 females, who recounted the story of their lives. Method content analysis (qualitative and quantitative) and methodology of Van de Castle Hall are used to classify the elements of the life story content into categories. The results of the study reveal seven major categories of the life story and a number of sub-categories. All of these categories along with their psychological, social and political implications are discussed. The study concludes with implications and recommendations.

Keywords: Manifest Content of life story, Palestinian refugee, diaspora

المقدمـــــة

الحروب والنزاعات المسلحة هي تجسيد حي لما يعرف بالعنف السياسي، حيث يتقاتل أطراف مختلفة لأسباب عديدة تتراوح بين الاعتداء، واغتصاب الأرض ،والممتلكات وانتهاءً بالصراعات حول نزع الشرعية السياسية، مروراً بصور مختلفة من النزاعات العرقية والدينية والسياسية.وتحدث الحروب دماراً كبيراً،كما تترتب عليها كوارث طبيعية ومآسي بشرية، وذكريات حزينة.ولعل الأسرة هي أكثر المؤسسات تأثراً بهذه المآسي، ذلك أن ما يسمى بانكسارات العنف أو صدمة العنف violence trauma أو صدمة الحرب war trauma تؤثر تأثيراً كبيراً على قلقلة الأفراد من مساكنهم ومن أماكن إقامتهم،وكثيراً ما تتسبب في نزوحهم كلاجئين إلى أماكن أخرى ،ربما تكون خارج حدود الوطن (زايد ،2009).

منذ احتلال بريطانيا لفلسطين في أوائل القرن العشرين يواجه الشعب الفلسطيني العنف الاستعماري والصهيوني الذي أخذ أشكالا متعددة، منها القتل العمد والاعتقال ونسف المنازل وإغلاق المدن والقرى والتهجير القسري للمواطنين من مدنهم وقراهم (كتلو ،2012).تعد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حدثاً قاسيا في القرن العشرين لسببين: الأول انه تم الدفع بكتلة بشرية هائلة خارج حدود وطنها الأصلي، والثاني طول فترة التهجير، فهم الأطول معاناة بين لاجئي العالم. وقد أفادت إحصائيات وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في عام 2007، إلى أن هناك ما يقرب من أربعة ملايين ونصف لاجئ فلسطيني يقيمون في الضفة الغربية والدول المجاورة،حيث يعيش ما نسبته 29% منهم في حوالي 58 مخيماً للاجئين،موزعة على المناطق المحتلة والدول المجاورة (الأردن،سوريا،ولبنان). في حين بلغ عدد اللاجئين القاطنين في قطاع غزة(1059.584)منهم 47% موزعين على ثماني مخيمات. (www.malaf.infol). وقد مضى على المأساة الفلسطينية ما يقارب 64 عاماً، أي أن الأفراد الذين عاشوا المأساة وكانوا ضمن الفترة العمرية أقل من عشرين عاماً، الذين كتبت لهم الحياة هم الآن في الفترة العمرية ما بعد الخامسة والسبعين أي في مرحلة الشيخوخة. ويمثل المسنون الفلسطينيون من اللاجئين خلاصة ومحصلة للذاكرة الجمعية والوعي الجمعي. فعندما يرحل الذين عاشوا الثقافة في فترة زمنية محددة فإنهم يتركون وراءهم ما يسميه وليمز (Williams,1958) ثقافة الوثيقة أو الثقافة المدوّنةculture documentary ويشمل امتدادا من أرقى درجات الفن إلى الحقائق المتعلقة بالأزياء(شاهين ،2012).

من نتائج دراسة (أبو رمضان ،2011) أنه كلما كبر العمر زاد الانتماء إلى الوطن، فلسطين بالنسبة لهولاء المسنين هي الأرض التي ولدوا وعاشوا فيها. هذا المسن الفلسطيني صامد ،مهاجر ،أو مهجر،لاجئ أو نازح أو مشرد يعيش في الوطن أو خارج الوطن منزرع في الأرض ومنتشر في جميع بقاع الأرض،متمسك بالمكان أو خارج المكان ،يحتفظ بحفنة من التراب،يحمل مفتاح بيته،يحتفظ ب "كوشان"أرضه وهي الأوراق الثبوتية للملكية،ينتظر في المخيم،في مهاجر الشتات الفلسطيني،ينتظر ولا يمل الانتظار. وتمر سنة وسنوات ونصف قرن وأكثر ومازال ينتظر إلى ان يتحول الحلم إلى حقيقة على ارض الواقع مهما طال الانتظار،وكثرت الأسفار، يتحول إلى حالة من العشق والذوبان والانصهار،فهي في وجدانهم وفي ذاكرتهم التي تأبى النسيان .

والشيخوخة هي مرحلة طبيعية أساسية من مراحل النمو الإنساني وهي حالة سيالة تتأثر بفسيولوجية الفرد وسيكولوجيته وبالبيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يعيش فيها واتجاهاتها التي يتقبلها ويتصرف طبقاً لها (قناوي ،1987،ص3).تعتبر مرحلة المسنين المرحلة التي يختتم بها الفرد حياته،وتتميز ببعض التغيرات البيولوجية والنفسية والاجتماعية والعقلية،التي تكون محكومة إلى حد كبير بثقافة المجتمع وباتجاهات الناس نحوها(تفاحة ،2009)

وتؤدي العوامل النفسية والاجتماعية أدوارا مختلفة في جعل حياة المسن سعيدة جيدة يسودها الرضا والاستقرار والتوازن الوجداني،أو جعلها حياة البؤس واليأس والاكتئاب والاضطراب الوجداني(معمرية وخراز،2009).يذكر الباحثون أنه عندما يخفق المسنون في الإبقاء على علاقاتهم ببيئاتهم الاجتماعية،فإن أسباب الإخفاق تكمن في البيئة الاجتماعية وليس في كبر السن.وأن عوامل مثل المكانة في العمل والموارد المالية وغيرها تؤثر في قدرة المسن في أن يحيا حياة مشبعة بدرجة أكبر مما يؤثر عليه الكبر (أحمد،1987،ص219).فالعوامل النفسية والاجتماعية غير الملائمة كالعزلة والضيق الاقتصادي والحرمان والتجاهل والإهمال،تؤدي دورا كبيرا في جعل مرحلة الشيخوخة فترة تدهور (الديب ،1988،ص50).

يوُلد الإنسان ونزعة الحياة دفاقة في عروقه.إنه يريد أن يكبر ويتعرّف ويتمكن ويتمدد ويسيطر ويمتلك ناصية ذاته وكيانه،كما ناصية المكان الذي يشكّل مجالهُ الحيوي.حلم التمدد والتمكن والإمساك بزمام المكان والزمان هو من الدوافع الأساسية بل هو لب الدوافع جميعاً (حجازي ،2006، 249).

يطور الطفل من خلال الحواس وعيه بالمكان؛ وفيما بعد يطوّر مشاركته الاجتماعية في المكان الذي يعيه ويطمئنّ إليه.يجسد المكان في حياة كل إنسان محوراً هاماً من محاور بناء وتطوير الهوية الشخصية.المكان من وجهة نظر نفس – ثقافية هو ليس الطبيعة الجغرافية و البيئية التي نعيش فيها،وهو ليس مجرد معطيات طبيعية مجردة يمكن تدوينها على شكل معلومات،بقدر ما هو صور ومعاني ذهنية يعيشها الإنسان في ارتباطه بالمكان وتسمّى بالهوية المكانية (كريم ،2007).

في الهوية ما يفصل بين قومية وأخرى،على مستوى الأعراف والعادات واللغة والتاريخ ؛ والثقافة مرجع الهوية الأساسي،إذا ما تم النظر إليها كطريقة شاملة في الحياة (دراج،2012،28) .

فالمكانية، كنتاج اجتماعي،هي في الوقت ذاته الوسط والنتيجة، افتراض مسبق وتجسّد، للفعل الاجتماعي والعلاقة الاجتماعية (جاسم ،2005،9)(www.grenc.com)

أن المكانة والمكان والكينونة كلها مشتقة من الجذر نفسه في اللغة العربية كما يرى (حجازي،2006) فأن لا يكون لك مكانة؛ في دائرة النشاط العام أو الإنتاجية،يعني أن لا يكون لك مكانة، فالهجرة والتهجير والاقتلاع تحرم من الكينونة والصيرورة.ويشكّل تجذرالانتماء إلى الهوية والمكان نواة أساسية في بناء الشخصية،وتحقيق الذات .

المكان (الوطن) يفترض حركة باتجاهين:الخروج منه،والدخول إليه.جدلية العلاقة بالمكان تضطرب في ثنائية المنفى داخل الوطن والمنفى خارجه (بيومي ،2004،ص82).أن العلاقة بالمكان،لدى المهجرين قسرا،تتناول الموقع من حيث دلالته المتراكبة :موقع الذات في المجتمع ومكانتها فيه،وموقع الفرد من الجماعة التي يعيش فيها ومكانته عندها،والموقع باعتباره جغرافيا الذات والعالم (بيومي ،2004،ص64).

وتأتي قيمة الوطن في قدرته على توفير مركز الأمان وقيمة الحياة وأهميتها بالنسبة للأفراد. الوطن يوفر أمناً، هوية ،ومكاناً يشعر فيه المرء بالارتياح،ولا يحتاج فيه إلى تمثيل الأدوار. إنه المكان الذي يسوده الإستقرار،والدفء،بل ربما يمثل أبعد من ذلك.الوطن بالمعنى النفسي، إما عطاء مستمر في اتجاه واحد،وإماعطاء ودين يتوجب على كل مواطن سواء بهويته وانتمائه أو من خلال الاستمتاع بموارده أن يتمكن من إيفائه (عبد الباقي ،2008،3)

أن وجود البيت والوطن يعتبر من باب المسلمات لدى الغالبية العظمى من سكان المعمورة (Sarup,1994)

وعليه فأن فقدان الوطن له فعل الصدمة ويترك آثاراً محتملة بعيدة على الناس.فإن التأثير طويل المدى لآثار الحروب والنزعات المسلحة تستمر لأجيال.وأن أهم الآثار هي الآثار النفسية التي تستمر وقتا طويلا.فغالبا ما يصاب أعضاء الأسرة بالاكتئاب والقلق والخوف والحزن الطويل على الشهداء والسجناء،كما تشعر الأسر بالإهمال والتهميش والاستبعاد الاجتماعي والاغتراب.ولا شك أن ذلك يترك آثاراً بعيدة المدى،قد تستمر لأجيال عديدة، تاركة ذكريات مريرة(حطب ،2007) .

يرى كوهين(Cohen,1997) أن مفهوم" الدياسبورا"diasporas يرتبط بمصطلحي الهجرة والاستيطان وأن هذا المفهوم يكتسب بالنسبة لبعض المجتمعات ومنهم الفلسطينيون معنى أكثر شؤماً وقسوة، لأنه يدل في مثل هذه المجتمعات على صدمة جماعية ونفي واستبعاد حيث يحلم المرء بالعيش في وطن في حين يتعين عليه أن يعيش حياة المنفى .

أما(شبلاق ،2005) فيرى أن هذا المفهوم هو اعم واشمل بالتعبير عن الخصائص الاجتماعية والانثروبولوجية والنفسية لمجموعة سكانية عابرة للحدود أيا كان السبب وراء مغادرتها لأوطانها.

أما (مهوّي،2005) فيرى أن كلمة "دياسبورا " في الواقع أقوى دلالة في التعبير عن الحالة الفلسطينية من الكلمة العربية "شتات"،وأن كلمة دياسبورا ارتبطت بالأصل بمفهوم الألم و الاقتلاع باستعمال القوة وهو ماخبرته عبر التاريخ مجموعات"دياسبورات الضحايا "كما الفلسطينيين .

أما (سعيد ،1984) فيرى أن الدياسبورا ليست حالة ثابتة مستقرة أو تعني بحال التخلي عن الوطن الأصلي بل هي حالة من الاغتراب والترحال الدائم وعدم الشعور بالاستقرار ورسم صورة متخيلة للوطن الأصلي الذي يمتلكها الحنين بالعودة إليه.

ويؤكد فايست (Faist ,2000)أن الخبرة الناجمة عن الصدمة هي السبب في وجود الدياسبورا (الشتات) (Clifford,1994)،بينما يميز كوهين (Cohen ,1997) بين أشكال الشتات المختلفة مبيناً أنه ليس بالضرورة أن تكون جميع الأشكال متسببة عن القوة التعسفية وخبرة الصدمة .

لقد أصبح الشتات بالنسبة للفلسطينيين أساساً جوهرياً في تشكيل هوية وطنية خاصة.وأصبح التشتت وضياع الوطن والشعور بالاقتلاع هو الذي يشكل هوية المعاناة.وهكذا يكون الحزن والحنين للجيل الذي ترك فلسطين جزءاً متضمناً في الأساطير والحكايات الرسمية واللارسمية، المكتوبة والمحكية (شولز ،2005)

والذاكرة الجماعية كما يرى مالكي (Malkki,1992) ترتبط بدفء العلاقة مع المكان والجغرافيا،وتظهر هذه الحالة في حديث الفلسطينيين عن بيارات البرتقال وشجرالزيتون ،حيث أصبحت شجرة الزيتون الرمز العظيم للوطن، والجذور والتجذروالثبات كما يقول باردنشتاين(Bardenstein,1999)

مما لاشك فيه بأن للرموز والدلالات التي تشتمل عليها الذاكرة الجماعية الأثر الأكبر على عقلية الجماعة وسلوكها.وقدأكد (كاستورياديس،2003) على دور عالم الدلالات وأهميته في الإبقاء على تماسك المجتمع هذا العالم من الدلالات الذي يسمح بتصور المجتمع في هويته الذاتية .

أن اللاوعي أو الشعور الجمعي هو(ثقافة) لأنه يتضمن أفكارا ومعتقدات وقيما ورموز وأحداث وأساطير ،وإن تشابه الناس في سلوكهم واختلاف الأفراد في تصرفاتهم يعود إلى (الثقافة).وبما أن اللاوعي الجمعي عنصر رئيسي من عناصر الثقافة هذه،فإن دوره يكون فاعلا في حياة الفرد والجماعة.ولقد أكتشف هذا الدور في عشرينيان القرن الماضي،وجرى إبراز أهميته في الفن والآداب أولاً ثم انتقل إلى علم النفس السياسي وعلم الاجتماع السياسي (صالح ،2013) .

_ابتكر يونغ (1964) young مفهوم اللاوعي الجمعي وعدّه أكثر أهمية في حياة الفرد والمجتمع من اللاوعي الخاص بالفرد الذي اكتشفه فرويد.هذا المعنى يتيح وصف اللاشعور الخاص بالفرد بأنه الذاكرة الثقافية الفردية،واللاوعي الجمعي بأنه الذاكرة الثقافية الجمعية،بما فيها المخزون المعرفي الأسطوري والسلوكيات الممارسة من قبل أسلافنا؛ فهو يحمل خبرات أو معتقدات مشتركة لدى شعوب أو جماعات داخل شعب معين (صالح ،2013).

تتمثل الآليات التي تحكم اللاوعي الجمعي،في التعامل مع بعد زمني واحد هو الماضي، وتغليب العقل الانفعالي (العاطفي)في سلوك الفرد والجماعة،واستقطاب الناس في مجموعتين متفاوتتين،جماعة أل(نحن)وأل (هم)،يصف [انه أحول] يرى في أل (نحن)المثّالب ولا يرى المآخذ،ويرى في أل (هم) المآخذ ولا يرى المثّالب، يفهم الصراع على أنه صراع وجود أو لا وجود (أكون أو لا أكون).

والمعنى الخاص لمفهوم البيت(الوطن) للأسرة الفلسطينية هو معنى نفسي وجداني ووجودي في آن.مازال الإنسان الفلسطيني في كل أمكنة تواجده وفي كل فئة عمرية يحمل أثر التجربة الجمعية لفقدان البيت.إن حرق البيت،أو هدمه كلياً أو جزئياً له معاني نفسية عميقة أهمها أن إسرائيل ما زالت تلاحق الفلسطيني منذ 1948 وتنجح في هدم بيته وزعزعة شعوره بالأمان داخله كلما أرادت ذلك ولمرات غير متناهية.الكثير من الأسر الفلسطينية اللاجئة عاشت شظف العيش لعشرات السنوات بهدف بناء بيت صغير وتوفير الحاجات الأساسية(أبو بكر ،2006)

الكتاب العربي "نفساني" الإصدار 49/ شتاء 2017

إسم الكتاب: الخطاب العلمي والخطاب الديني وانعكاس ذلك على الصحة النفسية؟؟

المؤلف: د. مرسلينا شعبان حسن

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=262&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=263&controller=product&id_lang=3

مقدمة تمهيدية

انطلاقاً مما يشير إليه مصطلح التّفكير العلمي الذي يؤكد على أنه منهج او طريقة منظمة، يمكن استخدامها في حياتنا اليّومية ، من كون ان التفكير العلمي ليس تفكيراً متخصصاً بموضوع معين، بل يمكن توجيهه في معالجة جميع الموضوعات ، إذ ليس للتّفكير العلمي لغة خاصة به، او مصطلحات معينه. لأن هيقوم على أساس تنظيم الأفكار استنادا الى عدة مبادئ منطقية وغير منطقية .

وما هو ملاحظ ومعروف أنه في العصر الحديث ، لم تعد الأمور في حياتنا اليومية تلقائيّة ، كما لم تعد قائمة على جعل المقدّس على مسافة من الذّات الانسانية ، بل أصبحت الامور تجري وفق رؤى فلسفيّة سياسيّة ، كما أصبحت قائمة على جعل الدّين المؤسّس كلّه على مسافة واحدة من النّفوس، بل ومن المؤسّسات الأخرى، ولذلك كانت الحداثة فقدان لبداهة التّقليد، وخروجا عن الدّين وتفكيكاً لمنظوماته ، الامر الذي أدّى من جراء هذا التّفكيك

للأديان إلى نتيجة واقعية بتنا نلمسها ، والمتجسدة في السّحر من العالم ، ويعني به أفول نجم السّحر والدّين باعتبارهما واعدين بالخلاص وانتشار الشّعور بالفراغ ، ونتيجة تعدّد أنظمة تيّسر الوصول الى المعلومة، وعيّش الحقيقة وكأنها بديل للحماية التي كانت تقدّمها الأديان للمؤمنين ، حتى لا يحترقوا بنار المقدّس، وكذلك بآثار زعزعتها التي طورّتها الحداثة بصورة بارزة .

والتّفكير(العلمي ام الديني) بمعناه المجرد هو إعمال العقل أو تشغيله في أمر ما ، وهو أهم ما يميز الجنس البشري ، فالعقل بإجماع الأديان هو مناط التّكليف ، كما أننا نجد أن هناك من رَبط وجود الإنسان بقدرته علي التّفكير، مثل الفيلسوف الشّهير "ديكارت" من خلال أطروحته الشّهيرة "آنا أفكر إذن أنا موجود" وهنا لم يقصد ديكارت الوجود المادي، بل قصد الوجود الفعلي .

تتميز مدينة القرن العشرين بتقدم بشري غير منسجم وغير متناسق، لما يشوبه من مفارقات داخل كل ميدان حياتي وبين مختلف الميادين المتنوعة. اخطر هذه المفارقات يكمن في تأخر القدرة على تحرر الانسان من اهوائه وأنانيته وعلى احترام كرامة الغير، والعمل على تعزيز حقوق الانسان بشكل عام . بالمقارنة مع التقدم التقني الذي تميز به انسان هذا العصر بالنسبة لاختراع الوسائل، وبالمقارنة مع التقدم الذاتي الذي احرز في ميدان اختيار الغايات والقدرات الهائلة في التّسلط على الطبيعة، والقدرة المستجدة في صنع البيئة الاجتماعية ..(نصار، 106و107)

فقد تعرّضت حياة الانسان المعاصر لانقلاب شبه جذري قياساً على ما كانت عليه حياة انسان العهود السابقة، لا بل انسان العقود الاولى من القرن العشرين .هناك العديد من القواعد والقوانين الاجتماعية والاخلاقية والدينية التي كانت تسيّر مواقف الفرد تجاه المسائل الحياتية الجوهرية، قد اصابها الانحلال او على اقل التغيير مما اوجب استقاء اصول تصرفاته ومراجعها من داخله، بينما كان يستقيها من معايير اجتماعية ضيقة الاطار . وبذلك

يواجه الانسان المعاصر مشكلات متعددة تطرحها مسألة عيشه مع غيره من الاشخاص، لم تكن مثيله في العهود لا بل العقود السابقة يواجهها اذ يطلب منه ان يكون حراً مستقلاً لكن في الوقت نفسه مرتبطاً بشكل وثيق مع الآخرين بحيث يشاركهم وجودهم ومعاناتهم .. ، (كرستين نصار، اتجاهات معاصرة في العلاج النفسي، ص 164-ص 165)

هذه التغيرات المستجدة من الطبيعي ان تشكل على حياة الفرد المعاصر، خطرا يهدد الدفاعات النّفسية التي اعتاد عليها، الامر الذي يتطلب منه ايجاد البديل السريع الذي من شأنه بث الطمأنينة في داخله واعادة التّوازن النّفسي الذي كانت تؤمنه له الدفاعات النفسية المعتادة . فالحداثة وفقا "لفرويد" تفرض وجوب من الكبت في السلوك والاحساس والرّغبات كي يعد سويا. بحيث يصبح السواء عبارة عن كبت رغم اعتباره بمثابة المصدر الاولي التكوين، بالنسبة للمرضى و النّفسانيين ، بينما يعني التعبير عن احساسه ورغبته، حتى وان كانا حقا مشروعا له لكنهما يتعارضان مع اللياقات الاجتماعية المحددة من قبل الحداثة: المرض والاضطراب . (المرجع السابق ، ص 166)

حيث بات تكيف الانسان المعاصر مع المعايير والمفروضات الاجتماعية السائدة في مجتمعه وهي تشكل في الحقيقة مجرد صدى للمعايير المفروضة على الصعيد الدولي- العالمي يؤدي به الى اضطراب لا الى السواء .. من هنا وجوب انطلاق الموقف الطبي : نظريا وتطبيقا من حيثيات الحداثة ومفروضاته، كي يقوم الطبيب كائنا من كان بالمهمة الملقاة على عاتقه تجاه المريض. لذا يفرض التساؤل الاتي نفسه : بدت ايدلوجيا الحداثة من خلال منظريها (المنتمين لكافة العلوم الانسانية) واعية لأخطارها الجسيمة عليه كفرد. فهناك تجاهل واضح لمفهوم المرض ودوره كرابط بين النفس والجسد، علما ان العلم الحديث بكافة فروعه يؤكد على النمو المتكامل للطفل، وعلى اهميته كلغة رمزية تمر بالضّرورة عبر كافة الانماط الثّقافية المكونة لمجتمع ما (طلال جابر، ص 287).

الكتاب العربي "نفسانـي" الإصدار 50 / ربيع 2017

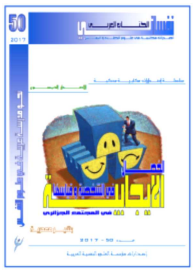

إسم الكتاب: الخصال الإيجابية في الشخصية وقياسها في المجتمع الجزائري .ج1

المؤلف: د. البشير معمرية

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=272&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=273&controller=product&id_lang=3

المقدمـــــة

هذا الجزء الأول من بحوث حول الخصال الإيجابية في الشخصية. يتناول ثلاثة خصال حول الخبرة الإيجابية الذاتية أو المشاعر الإيجابية لدى الفرد، وهي موضوعات قوية في حياة الإنسان. إن الحياة السعيدة هي الحياة التي تعظم شأن الانفعالات الإيجابية وتقلل من شأن الألم والتشاؤم والانهزام النفسي. هذا بالنسبة للحاضر، والتفاؤل والأمل بالنسبة للمستقبل. ويضم هذا الكتاب بين دفتيه ثلاثة متغيرات أساسية في علم النفس الإيجابي هي الشعور بالسعادة، التفاؤل، الأمل. ويقوم كل موضوع على الإشارة إلى مكانته في علم النفس الإيجابي وتعريفاته المتعددة من قبل علماء النفس ونظرياته وعلاقته بمتغيرات نفسية أخرى، والفروق بين الجنسين فيه، ثم قياسه. وقنن مؤلف هذا الكتاب على البيئة الجزائرية عدة استبيانات لقياس المتغيرات السابقة، يضعها كأدوات قياس موضوعية أمام الباحثين الجزائريين لاستعمالها، سواء في مجال البحث النفسي أو في مجال التشخيص العيادي وفق الاتجاه الإيجابي في علم النفس.

الكتاب العربي "نفساني" الإصدار 51 / صيف 2017

إسم الكتاب: الخصال الإيجابية في الشخصية وقياسها في المجتمع الجزائري .ج2

المؤلف: د. البشير معمرية

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=287&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=288&controller=product&id_lang=3

المقدمـــــة

هذا الجزء الثاني من بحوث حول الخصال الإيجابية في الشخصية، يتناول خمسة متغيرات حول الحياة ذات المعنى لدى الفرد، وهي متغيرات قوية في حياة الإنسان. إن أصدق ما يعبر به الفرد عن إدراكه لمعنى الحياة وامتلاكه له، هو أن يكون له في الحياة هدف، وأن يؤدي رسالة من أجل تحقيق هذا الهدف. ويضم هذا الكتاب بين دفتيه خمس متغيرات أساسية في علم النفس الإيجابي هي التدين بالإسلام، الرضا عن الحياة، معنى الحياة، نوعية وجودة الحياة، التوجه نحو الحياة. ويقوم كل موضوع على الإشارة إلى مكانته في علم النفس الإيجابي وتعريفاته المتعددة من قبل علماء النفس ونظرياته وعلاقته بمتغيرات نفسية أخرى، والفروق بين الجنسين فيه، ثم قياسه. وقنن مؤلف هذا الكتاب على البيئة الجزائرية عدة استبيانات لقياس المتغيرات السابقة، يضعها كأدوات قياس موضوعية أمام الباحثين الجزائريين لاستعمالها، سواء في مجال البحث النفسي أو في مجال التشخيص العيادي وفق الاتجاه الإيجابي في علم النفس.

الكتاب العربي "نفساني" الإصدار 52 / صيف 2017

إسم الكتاب: الاغتراب الديني: ماهيته ومحدداته

المؤلف: د. محمد السعيد أبو حلاوة

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=298&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=297&controller=product&id_lang=3

المقدمـــــة

هدفت الدراسة إلى تحديد الإسهامات النسبية لمتغيري الكمالية العُصابية والاعتقادات المختلة وظيفيًا في التنبؤ بالاغتراب الديني لدى طلاب المرحلة الثانوية؛ والكشف عن العلاقات الارتباطية بين الاغتراب الديني ومتغيري الكمالية العُصابية والاعتقادات المختلة وظيفيًا، والكشف عن الفروق بين ذوي المستوى المرتفع وذوي المستوى المنخفض لكل من الكمالية العُصابية والاعتقادات المختلة

وظيفيًا في درجات الاغتراب الديني، وتكونت عينة الدراسة من (246) طالبًا وطالبة من طلاب المرحلة الثانوية بمدرستي ناصر الثانوية بنين بكوم حمادة، ومدرسة كوم حمادة الثانوية للبنات، واشتملت الدراسة على الأدوات التالية: مقياس الاغتراب الديني إعداد الباحث، ومقياس الكمالية العُصابية إعداد (سامية محمد صابر عبد النبي، 2010)، ومقياس الاعتقادات المختلة وظيفيًا إعداد الباحث.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وعلى عدد من الأساليب الاحصائية مثل معامل الارتباط وتحليل الانحدار وتحليل التباين، واختبار "ت" (T. test): وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1- توجد علاقة موجبة دالة إحصائيًا بين الاغتراب الديني والكمالية العُصابية لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية.

2- توجد علاقة موجبة دالة إحصائيًا بين الاغتراب الديني والاعتقادات المختلة وظيفيًا لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية.

3- يمكن التنبؤ بالاغتراب الديني من خلال الكمالية العُصابية لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية.

4- يمكن التنبؤ بالاغتراب الديني من خلال الاعتقادات المختلة وظيفيًا لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية.

5- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين ذوي المستوى المرتفع وذوي المستوى المنخفض من الكمالية العُصابية في درجات الاغتراب الديني لصالح المرتفعين.

6- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين ذوي المستوى المرتفع وذوي المستوى المنخفض من الاعتقادات المختلة وظيفيًا في درجات الاغتراب الديني لصالح المرتفعين.

الكلمات المفتاحية:

الاغتراب الديني Religious alienation، الكمالية العُصابية Neurotic perfectionism، الاعتقادات المختلة وظيفيًا Dysfunctional Beliefs.

2- الملخص الإنجليزي:

Neurotic Perfectionism and Dysfunctional Beliefs as Predictor,s Factors of Religious alienation for secondary schools Students

The main aim of the present study was to determine The relative contributions of neurotic perfectionism and dysfunctional beliefs in Predicting of religious alienation for secondary schools Students, as well as determine the correlations among Religious alienation, Neurotic Perfectionism and Dysfunctional

Beliefs, and comparison between those with high levels and those with low levels of neurotic perfectionism and dysfunctional beliefs variables in religious alienation.

The study sample consisted of 246 students from the high school students of Nasser Secondary School For Boys in Kom Hamada, and Kom Hamada Secondary School for Girls. the study included the following tools:

- religious alienation scale : prepared by the researcher.
- neurotic perfectionism scale : prepared by (Samia Mohammed Saber Abdul Nabi, 2010).
- dysfunctional beliefs scale: prepared by the researcher.

The study is based on descriptive and analytical approach and a number of statistical methods such as regression analysis , analysis of variance, correlation coefficient, and test "T".

The study found a range of results, including:

1. There are a positive significant correlation between religious alienation and neurotic perfectionism among a sample of high school students.

2. There are a positive significant correlation between religious alienation and dysfunctional beliefs among a sample of high school students.

3. Neurotic perfectionism contributed in predicting of religious alienation among a sample of high school students.

4. Dysfunctional beliefs contributed in predicting of religious alienation among a sample of high school students.

5. There are significant differences between those with high levels and those with low levels of neurotic perfectionism in religious alienation.

6. There are significant differences between those with high levels and those with low levels of dysfunctional beliefs in religious alienation.

الكتاب العربي "نفساني" الإصدار 68 2021

إسم الكتاب: الإسترداد والتخطّي – ما قد لُمدنا يا تامْبَيه

المؤلف: أ.د. علي زيعور & أ.د. زكرياء علي زيعور

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=484&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=483&controller=product&id_lang=3

المقتَطَفـــــــات[1]

أدناه = ما سيلي

أعلاه = ما سَبَق، الفصل (السطر، أو القسم) السابق .

إلخ = إلى آخره .

ت = ترجمة (نَقْل) .

ت . ع = ترجمة عربية .

ت . ف = ترجمة فرنسية .

ج = جزء .

د. ت = دون [بلا] تاريخ.

را : = راجع ؛ أنظُر.

س = سطر.

ص = صفحة .

ص ص = من صفحة كذا حتى صفحة كذا .

صص = صفحة كذا ثم صفحة كذا .

ط = طبعة .

قا = قارن ؛ للمُقارنة = قابِلْ ، للمُقابل.

ك .ع = الكِتاب [المؤلَّف] عينه .

م . ع . ص = المرجَع عينه والصفحة عينها .

---

(1) الكلمة الموضوعة بين مزدوجَين تُشير إلى اسم كتاب ؛ أو تكون كلمةً غير دقيقة ، مترجرِجة، عوامِيَّةً ، عامِيَّة، قلِقَةٌ ، غير تاريخية ، شبه موفَّقة ...

تمهيـــــــــد

1 – هذا كتابٌ أردتهُ أن يكون رسالةَ مودّةٍ واحترام للشيخوخة ، وليس كتاباً حزيناً محوره أسفُ المُسِن على العُمر السائر بخطىً وئيدة أوسريعة نحو الظلام . المراد هو أنّنا لا نقدم كتاب الحسرات والغصّات، الندم أو التحسّر ، والندبِ والتأثيم الذاتي، والمازوخيةِ واستجلاب المؤلم والمعتِم ، الإنقباض والانكسار.

2 – لقد اقترحتُ ، بيني وبين نفسي ، أن يكون النظر والتدبّر كما التأمّل منهجاً ورؤيةً يَعْتبر الشيخوخةَ (الشيخية ، الشيخوخية) مرحلةً مكمِّلة متّصلة من مراحل العُمر ، وطوراً من أطواره التي من أبرزها طورُ التراجع والتقهقُرِ والإهتراء ، الصدأ والكلل والتحلّل .

3 – الشيخوخة استمرار للحياة العائدة إلى الطفولة لكنْ ممثَّلةً بالإبن والحفيد ، بالتباخل والحرص المرَضي ، ونهايةً لأعضاء اهترأت وصدأت ، وصارت خرقةً بالية ، ذَوَتْ وذبلت ، وبارتْ من كثرة الإستعمال ، وتهالكِ أو عجزِ الجينات كما الخلايا أوالبيولوجيات بعامة .

4 – ماذا يفعل المحلِّل بالعوامل التي نريدها ونهواها ، ننشدها ونتمناها ، في صراعِ الشيخوخة أو تفاعلها وتساكنها مع العوامل (البيولوجية والثقافية) التي لا تَخضع للفرد والرغبة ، أي المحكومةِ بالقدَر والمصير والمحتوم ؟ تدفّقتْ من ذلك الصراع المأساوي بين قطبيّ الحياة نظريةٌ هدفها المصالحةُ أو المهادنة ، التلاقي والتفاهمُ ، التسويةُ وقبول الواحد منهما بالآخر .

ا.

1 – نظرية **المصالحة** ، عند النظرة من بعيد ، حلّ هو شِبه عملي وشِبه ممكن . إذْ ، هنا ، الصراع بين قويٍّ ومكسورِ الخاطر ؛ بين قدرٍ وإنسانٍ خاسرٍ سلفاً ، وكلّ شيء دائماً وأبداً ، قَفْزياً وتدريجياً

وإذَن ، **كيف نجعل الخلاصَ (الانقاذ / النجاةَ أو الفوز) حلّاً ممكِناً مقبولاً** مرتضى عن قناعةٍ ورضاً، أو تقبُّلٍ وموافَقة طوعية ، مجانية ، راضيةٍ مَرْضية ؟

2 – نظرية المصالحة ، في نهاية المطاف ، فلسفة في القضاء والقدر مقصودها وغرضها تسليم مصير البشري إلى سيف جلّادٍ لا رادّ له ، ولا مناص أو لا مَفَرّ منه؛ إنّه لا بدّيّ ... وبذلك فالقضية تغدو كارثية، معروفة النتائج سلفاً . وهل يكون سوى مستحيلٍ مطلقٍ الحلُّ مع الصارم المسلول ؟ هنا ، تنبجس ثم **تتوهّج** فكرة **البطل** المأساوي ، فكرةُ الوعي المحتوم ، فكرةُ البشرية بهذه المنِيّة . وهنا كانت الحلول الأسطوريةُ التي عرفتها الإناسة وتاريخ البيولوجيا ؛ فمنها :

الجلغامشية وما يبدو متأثراً بها من أديانٍ ومعتقدات ؛ المانوية ؛ الحلّ الفرعوني؛ الحلّ الهندي أو نظريته في الخلاص ؛ الحلّ الإسلامي أو حلّ الدينَيْن (الإسلام والمسيحية) ؛ الحلّ الصوفي أو الصوفانيةُ فكراً وفلسفةً ، ممارسة ومحبة ، انتقالاً وعبوراً باسماً فرحاً إلى الانطفاء .

3 – وهناك حلّ استسلام الضحية ؛ وحلّ هروب الدجاج المقيَّدِ من السكين . لا شكّ في أنّ حلّ استسلام مذهب " **الصبر الجميل** " والتصبّر ، الإصطبارِ والتحمّلِ ، يبقى أبرز الحلول ، لا سيما إنْ تَعلّمناه واكتسبناه ، عشناه ومارسناه طوال العمر المنتِج ، الجميل ، المقبولِ بآلامه وظلمه وقسوته . فذاك رؤيةٌ صلبة شجاعة تحدّويةٌ للأقدار الحاكمة في البرّية ، في الوجود أو العُمر ، في استحالةِ البقاء والإستمرار.

4 – إنّه مذهب تعرفة الحياة ومآسيها ، آلامها وأكدارها . فالصبر على الجوع والمرض، الألم والفقدان، الخسارةِ والمخاطر والمخاوف ، بلسمٌ عرفته البَشرية حتى قبل اللغة والعَقلَيْن العملي كما النظري ... والصبرُ داخل الفلسفة اليونانية – العربية – اللاتينية معروف وشهير ، وحلّ شجاع للكارثي والمأساوي؛ إنّه متينٌ لكنه نخبوي . لكأنّه " جنون " ، وأسطورة ، وعبادة للألم ، وغير بشري بل وحتى غير أخلاقي.

II. اللُّطْفانية

1 – لا بد من نظرية تكون إطاراً عاماً ، نسقاً عقليمانياً أو بنيةً شمّالةً لأفكارٍ تتصارع وتتفاعل، تتساكن وتتكامل، تتداخل وتُطوّر بعضها البعض الآخر . هناك اشكاليات مستحيلة الحلّ وغير طبيعية في دراستنا، قديماً واليوم ، لطبيعة عُمرِ التقاعد ومعنى الشيخوخة، لأنماطها ومراحلها ، أطوارها وكذلك لما يصاحبها ويواكبها من دلالاتٍ ورموز ، ومن **أمراضٍ** نفسية وبدنيةٍ ونفسو – جسدية .

III. قطبا المأساة أو الشيخوخةُ والسعادة

1 – خطاب المذاهب الأخلاقية في الشيخوخة خطابٌ هو ، أصلاً في السعادة . فالمذهب في السعادة ، عند الإنسان في هذا الزمان لم ينكشف لنا قطّ . أنّه كان مذهباً **لذاوياً** ؛ ولا هو **امتلاك** وجاه ومال أو ثروة وسِلَع مِتَعيّة استهلاكية ؛ ولا هو انغماسٌ في **الزهد أو اللاعمل**، وفي **الصلاة** ، **أو الكتابة** ؛ ولا هو عدمُ المرض ؛ أو الهربِ إلى **الجنس** .

2 – **اللطفانية** مرامها ومقصدها الرضا **بالقدر** الحتمي ، **والإرادةِ** البشرية الحرة المستقلة . فمِحورها وعمادها **تحقيقُ السعادة** بالمعنى الممكن والواقعي ، والفوزُ بالنجاحَيْن أو الإنتصارَيْن : الشفاء والنجاة.

- أشكر **الأستاذ مصطفى م . مغنية** ، فهو قد عاون وأعدّ توضيحاتٍ بل وتفسيرات لم تكن إلا مُهمة وجديرة ، نافعة ومطوّرة للمعرفة التحليلية والتوصيفية .

- وأشكر الأستاذ **محمد الهادي** ، صاحب ومدير دار الرافدين ، فهو سوف يتولى مشكوراً مقدَّراً ، إعداد طبعةٍ لكُتب مشروعنا في التحليل النفسي ، وعلم النفس ، والصحة النفسية ؛ وفي علم الخُلُقَيْن، أي الأخلاق التطبيقية (المحلّية ، المعيوشة) والأخلاقيات (علم الأخلاق الكونية البُعد ، الخاصة بالإنسان والبشرية في التعايش التواصلي ، وتفسير العيش والحياة كما الفكر والفنّ) .

علي زَيْعور

إبانـــــــــــة

1 – قد تكون المؤلَّفات الجامعية دروساً تعليميةً تدريبيةً أو ندواتاً أكاديميةً . ويُلحَظ أنّ بعض الأساتذة الجامعيين يكتب ما قال أو ما حُلِّل وفُسِّر في القاعة الدراسية . في هذا الإطار ، نحن نُقدِّم عملنا ، هذا ، عن **مانعات السعادة** ، وهادماتِ العُمْر ، أي عن التوعّكاتِ والإشكاليات غير الإسعاديةِ وعياً وسلوكاً ، أو نفسياً وعلائقية؛ ومن ثم عند الفرد وفي الجماعة .

2 – إنّ علم نفس النمو ، في الأعمار والأطوار والأدوار (مفردات لإبن خلدون)، حقلٌ يغدو من أبرز الأساسيات أو الأمور التأسيسية في التفسير والفهم ، ثم في التأويل والتغيير إنْ للحالة الفردية اليانعةِ الآيلةِ للسقوط من على الشجرة ؛ وإنْ لحالة أو أوضاعِ وظروفِ العُمر المترهِّلِ المتعَب لجماعةٍ أو ثقافة ، لمجتمعٍ أو طبقة ، عرقٍ أو أمّة ، أو حضارة أو تاريخ .

3 – لماذا نقول إنّ هذه الفصول شُجاعة ، مِقدامية ؛ وقلنا إنّها وديعة عاقلة تُخاطب بلطفِ العُمر غير اللطيف ؟ ذاك لأنّها " **جلساتٌ** " تحادثيةٌ عيادية ، وحوار أو تفاهم ، وبحثٌ عن حلولٍ مخفّفة مطفّفة ومُيسّرة : أ / **فالمخاطَب** ، في مسرحية الحياة أو في المأساة البشرية ، هو الأفولُ ، والنهايةُ المحتومة ، والألم الذي لا ألمَ بعده ، ولا قدرةَ على **مجابهته بعنف وشدةٍ** أو غضبٍ ورفض . وهذا **المخاطَب** هو نفسه ذلك القاتل المدمِّر ، المحزِّن والقاسي ، الجلّاد والسفّاح وحامل السيف بلا تعب ولا نَصب . ب / أمّا **المخاطِب** ، فهو الإنسان المنتصِر على الطبيعة والأرض، الفضاءِ والكواكب؛ وهو المؤسِّس الحارثُ في اللازمان واللامكان ... إنّه " البطل" المغرورُ بثوراته في العلوم ، والصِّناعةِ الصّانعة المصنِّعة ، أو في خَلْق آلةِ الآلات، ومن ثم في " قفزة " التكنولوجيا والألكترونيات والصورةِ والذكاءِ (العقل) الاصطناعي . ت / هذا **الصراع** بين **وضع** الإنسان **ومتغيّرات الحقل** أو الطبيعة **(البيئة ، العالم الخارجي ، الظروف)** أرّق الأضعف لا بل أقلق وآلم، وحكَم بالإعدام على البشري ؛ وبالمأساوي على البشرية أُمماً وثقافات ، جماعاتٍ أو طبقات .

هذا النخلخل بين البشري والمحيط ، هذا اللاتوازن ، الاختلال دفع بالإنسان والأديان ، والتاريخ والثقافات ، إلى البحث عن حلٍّ لحاجته إلى الخلود ، أي للرغبة بالبقاء والاستمرار ، وبرفضِ المصير المظلم والمجهولُ المعتِم .

4 – نَتدَبّر **اللُّطفانية** ، وهي ، النزعةُ أو الرؤية والصيغةُ لاعتماد اللُّطف أداةَ دفاعٍ واحتماء، بل وإطفاءٍ ثم اتِّقاء لمآسي الأقدار ، وللنهاية المصيرية المحتومة ... إنَّ النظرية أو الأيديولوجيا اللطفانيةَ **تسوية** أو ردٌّ على الصراع بين القدَر أو المأساوي وبين رغبة الإنسان والبشريةِ كما الحضارة والتاريخ ، بالبقاء والاستمرار ، بالمتابعة والمثابرة في الحياة والوجود ، والمحافظةِ على الموروث وما تحقق من معرفة وتقدمٍ وفلاح . فاللطفانية حلٌّ مؤلم يرى أنّ القضاء لا يُردّ . فالقدَر شيخوخةٌ وأكدار ثم مصير . هنا البطل يَعي أنّه سوف لن يكون ذات يوم على المسرح ؛ وأنّ الجلغامشية ، أو جلغامش البشريّ قد خسِر عشبة الخلود ؛ وأنّه لم يُحقّق لنفسه وجنسِه السعادة أو الفوزَين ، النجاةَ والشفاء ، الإستمرار والأبدية ، الخلاص أو النعيم الفردوسي و" اللّذائذ العَدَنية ".

5 – من اللّطفانية إلى الفلسفة الرحمانية ، أو الرحموية والمحبّاوية التكافلية ، طريق هو الأقصر المارّ من (العقل – القلب = العقْلَب) إلى القمة أو سِدرة المنتهى ، إلى الله ، أو المطلق والأكبر وجوداً ثم خلوداً أو ديمومة وأبدية . فالفلسفة وإذْ تكون نظراً بالعقل والقلب في الإنسان المُسِنّ هي نظرٌ في البشرية من حيث جوانبها غير المتينة، وغير السعيدة أو المُسعِدة ، أي المتعَبة القلِقة والمقلِقة، الكئيبة الموجوعة والمؤلِمة المتألّمة . بهذا ، فالفلسفة ، كعلم نفس النمو وعلم الأمراض النفسية ، ثم كالحكمة الصوفية أو النظرياتِ المثالية الروحية ، تَفتخر وتَشعر بالنجاح وتقدير الذات حين ترى نفسَها مهتمةً بالشيخوخي (= الشّيخيّ) والتقاعدي والفضاءات النفسية السقيمة والمريضة، وغير السوية ... فاهتمام الفلسفة بالمغمورية والمهجورِ، وبالمقهورِ والمنجرح والمهدور ، اهتمام هو إنسانويُّ اللّبِّ والكُنْه ، الجوهرِ والكينونة .

6 – هنا الفلسفة ظاهرة ثقافية أُنثوية أو مؤنثَة ، تؤلهِن المرأة والجمالَ الأنثوي ، وما هو إيمانياتٌ وحدْسيات . وهذه الألهَنة للمرأة ، أي الكملَنة وممثِّلةُ " الأجملية" في الوجود والتعاملية البشرية، والمعرفة التذوقية ، جَعلتْها طبيبةً ، ومعالجةً نفسية، وأُماً رؤوماً ، ورمزاً للعَدَنيات أو الفِردوْسيات، وللثديّ المملوء حليباً وأمناً واطمئناناً للطفل الرضيع .

إنّ الفلسفة ، في بُعدها النفسي أو الذاتاني الصيغة والرؤية والنموذج ، تجعَلنا نؤمن بالإنسان في شتّى أعماره وبالبشريةِ والتفكيرِ الإنسانوي ؛ ونثق بمستقبله ضمن جماعته وأدواتها الحضارية الثقافية ؛ ونتوقَّع مستبشِرين مطمئنّين إلى تَقدّمه المتنوّعِ الوجوه ، وإلى انتصاراته وظفَره بالنجاح في الحياة والطبيعة ، وتطوير الذات – الآخر – النّحنُ ؛ وذاك في الحقل أو الفضاءات المتضامنة التكافلية .

7 – ونؤمن بمستقبل ومهارات العلاج النفسي الإجتماعي ، إنِ الفردي وإنِ الجماعي بدرجاته المتكاملة (الأُسري ، المدرسي ، وعبر النقابة والحزب والجمعية ، أوما إلى ذلك من حلقاتٍ أو دوائر المجتمع المدَني والحكومي الرسمي).

8 – والفلسفة ، كمعالِجةٍ نفسية أو كنظريةٍ في العَتْق والتحرير ، وفي الإنقاذ والإشفاء، تكون وتَعمل على انّها خطاب في تحريرِ المُسِنّ الخائفِ أو المغدور، والبائسِ أو المنجرح ؛ وعلى عَتْقه من آلامه وأوجاعه ، أحزانه وتعبه وضناه ، رُعبه من المصير وأمام عالَمٍ حتمي قاتلٍ وبلا قلبٍ أو شفقة . من جهة أخرى ثاقبة ، الفلسفةُ خطابٌ في آخر عملٍ أو تفكيرٍ يقوم به الإنسان أو يقع فيه ، فهي **بحث في النجاة والمنقِذ** ، وفي الفوزَيْن أو الشفاء ، أو سفينةِ العُمر إلى الخلاص والدار " الجِنانية" النَّعيمية الأبدية ، الدائمة والخالدة .

9 – في هذا التصور أو الفهم للإطار العلاجي ونظرياته الإشفائية الإنقاذية ، نؤمن بأنّ **العلاج بالفلسفة** ، وبخاصةٍ بنظرياتها المتمحورةِ حول الفوزَيْن أو النجاة والإنعتاق والخلاص ، علاجٌ سائغ نَصّار ، فعّال مُجْزٍ وذو مردودية مُربِحة . ذاك أنّ الفلسفة حلّ أو علاج ، شفاءٌ وانعتاق ، تفكّرٌ شَمّال مطهِّر ، وتأملٌ فكري نظريٌّ في العقل والنقل ، وفي الجوهري والسعادة والإسعاد ، وفي العلمي والاعتقادي ، المتخيَّلِ واللاواعي ، اللاعلمي والعَرَضي (المحجوبِ ، اللّامفكَّر فيه، الدّفين ، المطمور...).

10 – نَعْنتي **بالتفكير** ، أي بإعمال العقل والنظر ، وإشغالِ (= تشغيل) أجهزة ومناهج إنتاج المعرفة ؛ وهذا كلّه ، مع الإهتمام بالأفكار والآراء ، بالأحكام والمواقف (را: النظرانية والآرائية، النظر والمَواقفية ...) ، بالسائد الشائع في الزمن الحاضر ، وبالمتوقَّع أو المنتَظَر والقادم .

11 – الفصول ، الدروسُ بل الدراساتُ الواردة ، أدناه ، مؤسَّسة مرتفِعةٌ **وفق المنهج المقسِّم إلى أبطال أو حقولٍ رئيسية** هي أعمدةٌ وركائز في قطاعات الثقافة، وتاريخ الفكر ، والحكمةِ العملية (= العقل العملي) كما الحكمة الصوفيةِ المثالية. هنا يكون الكلام عن

بطلٍ هو سيّدٌ في الفضاء الثقافي ، وآخر في الفضاء الفقهي أو الكلامي ، المعالِج النفسي أو الفلسفي ، التاريخي أو السياسي الاقتصادي ، التربوي كما الأخلاقي والوِعاظي أو اليَنْبَغي ...

12 – لا كلام في الإنسان ، **كبطلٍ تراجيدي** ، أفضل من الكلام المحبّاوي التعاطفي فيه ومن جهة أخرى ، الكلامُ بغير حبٍّ ومشاعر بالإحترام والتقدير للمُسِنّ ، لا يكون كلاماً جديراً أو لائقاً ، ناجحاً أو نافعا ؛ ولا يكون علمياً ولا هو فلسفي .

**

أسلوب التعبير ، عند المدرسة الراهنة في الفلسفة الصراطية والتصوف ، وفي علم النفس والفكر والرقمانية ، أتى وتَميَّز بأنّه كان على شكل **شذراتٍ** أو فِقرات (=فِكارات) ؛ وبأنّه **حوار ذاتي** ، أي تحليلاتٌ للثقافة والمعرفة والفكر بطريقة الأسئلة والأجوبةِ عليها في نسقٍ واحدٍ أو تبادليةٍ **لوحدة السائل والمجيب** (المؤلِّف نفسه هو طارح المشكلةِ والمُجيبُ عليها) . كما إنّ التعبير (التبليغ ، الإرسال ، السرد، العَرْض أو البَسْط ...) موصوفٌ متميّز أحيانا باعتماد **الجملة المزدوجة** ؛ كأنْ نقول ، للشاهد ، السّويّ واللاسوي ، الجارح والمنجرح ، اللامفصوح والغوري، اللافت والملفِت ... وقد يجيب المؤلف نفسُه على سؤالٍ يطرحه هو نفسه . فهنا ، مراده ومؤدّاه **افتراضُ سائلٍ** يُشخِّص حالةً ، ومن ثم يسأل عنِ التغيير . وتردّدت منهجية ، أو مقولة هي "**الفرز والمعْجَمة للمفاهيم الكبرى** والمصطلحات ، والمفردات التقنية " . وهناك أساليب أو أجهزة أخرى، أهمَّها إعداد مَسْردٍ للرموز؛ وآخر للعُقد النفسية الحضارية ؛ وللمشجَّرات (المغصَّنات)؛ والمنحنيات ؛ وللرسوم البيانية (المناهج الميدانية ، التطبيقية) ... واعتمدنا ، بَعدُ أيضاً ، طريقة التعرّف والتشخيص بقراءة صُوَر **الأغلفة للكُتب** ، وللعناوين ، وصُورالمؤلّف نفسِه .

الكتاب العربي "نفسانيي" الإصدار 69 2021

إسم الكتاب: مدخل إلى سيكولوجية الفطرة واللغة

المؤلف: د. موسى طه الزعبي

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=497&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=496&controller=product&id_lang=3

مقدمـــــة الكتـــــاب

بدأت ولادة علم النفس بشكله الحالي في نهاية القرن التاسع عشر، أي قرابة قرن ونصف من الزمن من يوم الناس هذا، ويعتبر علم النفس والطب النفسي نقلة نوعية بالعلوم الإنسانية والطبية، وذلك بنقله من المجال الديني والفلسفي النظري إلى المجال الطبي و العملي التجريبي، حيث كان مجال بحث النفس البشرية وعلومهما يبحث كجزء من الدين و الفلسفة والأساطير، على مدى آلاف السنين وسبق ولادة علم النفس الحديث بسنوات إرهاصات لذلك، حيث ظهرت عشرات الأبحاث والكتب الفلسفية التي تتكلم عن الشعور واللاشعور، وتزامن ذلك مع ظهور نظرية تطور الأنواع، وبدء القطيعة بين الإنسان وتاريخه، والإنسان والدين، والإنسان والأخلاق، وهذه القطيعة على المستوى النفسي كانت قطعية مع الغريزة الفطرية وتعطيل لها، الغريزة التي تعتبر أحد أهم المكونات الثلاثة للجهاز النفسي للإنسان، والتي جعلت الإنسان دون دروع حماية نفسية، بسبب فقده الإنتماء الفطري الذي يعتبر أهم مرتكزات بناء الذات والأمن النفسي، الإنتماء الفطري حيث كان الدين والأخلاق يحقق له الطمأنينية، والأمن النفسي في مواجهة صعوبات وضغوطات الحياة المتنوعة، و التي كانت تحققه له الغريزة الفطرية حيث التخلق بالأخلاق والغرائز الفطرية توصله بالذات الخالقة المطلقة القوة والثابتة الصفات، فيستمد منها القوة والطمأنينة، حيث التخلق بها يكوثر البناء يمرهلا الفطري العقلي، أو الخلقي المعرفي بشكل سوي، وبالتالي يرسخ بناء الذات وصورة الشخصية بشكل سليم، حيث يعمل هذا الهرم الخلقي العقلي كحد معياري ناظم لسلوك الإنسان، خلال تطور شخصيته مستقبلا، وطوال مراحل حياته، حيث يتم تعديل أي سلوك منحرف وفق هذا الحد المعياري قبل أن يتكلس، ويسبب خللاً بالجهاز النفسي، وبالتالي تشوه الذات واضطراب الشخصية وغيرها من اضطرابات نفسية، بسبب تعطيل الغرائز الفطرية، وهيمنة الغرائز الترابية على السلوك، كالجنس وحب التسلط وحب التملك دون حد معياري فطري ضابط لها.

هذا، وإن عدم الاعتراف بالغريزة الفطرية، كان توسيعا شموليا للغريزة الحيوانية، فانطلق الإنسان في بوهيمية متوحشة وتسفل، وفي البحث عن اللذائذ، يتجدد في ممارساته، ويتجدد في موضوعاته سواء الجنسية أو المادية. وتمده المدنية الحديثة بأسباب وأدوات ذلك، فيعيش في سعار مجنون وملتهب بحثا عن وهم الإشباع الذي يتجاوز قدراته الجسدية والعقلية المحدودة. رويدك يا أيها المحارب والمتجاهل لغرائز الفطرة، ففيها أمانك وأمنك .وإلا فأنت المخيف الخائف .

وإن هذا التغييب للغريزة الفطرية، بجهل، أو بتجاهل .لا يمكن أن يوصف بالخطأ المعرفي، الذي يمكن أن يقع في كل العلوم !ذلك لأن عوامل هذه الغريزة حاضرة في كل إنسان، وفي واقع الأمم، وفي واقع البشرية، وفي مختلف الحضارات، فالدراسات الإنسانية والاجتماعية تلقي بشهادتها هنا على هيمنة الغرائز الفطرية وأسبقيتها على المعرفة العقلية وتؤكد أنه رغم وجود مجتمعات كثيرة بلا علم، ولكن لم توجد حضارات بغير دين فقد عبدت بعض المجتمعات الكواكب والحجار لتشبع ظمأ الغريزة الفطرية كي تستطيع تحرر غرائزها العقلية جزئيا من هيمنة الواقع والمجهول، حيث تعتبر الأديان الطريق الملكي لتفعيل الغرائز الفطرية لكشف حقيقة ذات الإنسان وأمنه وسعادته ولتشكيل العقائد الأساسية، ولترسيخها، وجعلها فاعلة في حياة البشر تصوراً وسلوكا ومشاعرا.

لذلك كانت انطلاقة علم النفس انطلاقة مبتورة، بسبب تجاهل أهم منطقة بالجهاز النفسي، نرى أن بعض مدارس علم النفس قد حرفت مفهوم الفطرة الأخلاقية، وقالت أنها مستمدة من الواقع الخارجي والوالدين، واتهمت الأخلاق المعيارية أنها سبب للعصاب والأمراض النفسية، الأمر الذي أثّر سلبيا على النفس البشرية التي أصبحت ضحية الغرائز الحيوانية، وبالتالي البحث عن الإشباع المادي، وأصبح الانسان بموجبها كمن يلاحق السراب، أو خيط دخان، فما أن تنطفئ وترتوي غريزة الإشباع بموضوع مادي، معين حتى تنتقل لموضوع آخر، بسبب غياب الحد الفطري بالإشباع، والذي كان يعمل منظّم وضابط للغرائز الترابية ذات الإشباع المادي، لأن تفعيل الغرائز الفطرية يحد من جشع الغرائز الترابية، وكذلك من عتبة إشباعها، ونتيجة لذلك غاص علم النفس وتاه بعلاج الاضطرابات النفسية، الناجمة عن الخلل بتفعيل الجهاز النفسي بشكل متناغم وسوي، حيث وقع الإنسان المعاصر تحت تأثير الواقع المادي، والذي يحاكي الغرائز الترابية بحلقة مبتورة من البحث عن الإشباع، للتخلص من القلق والتوتر بحثا عن الأمن والتوزان النفسي والاستقرار الذي تسعى هاالغرائز العقلية بعد تفتقها، وتصبح موجهة للسلوك البشري بحثا عن الأمن النفسي والجسدي، فالسعادة هي منتهى غاية الإنسان بهذه الدنيا ويبقى الخلاف هو مفهوم الأمن والسعادة لكل إنسان بشكل خاص.

ويأتي كتاب مدخل إلى سيكولوجية الفطرة واللغة، ليفتح أرضا جديدة بعلم النفس لم تفتح من قبل، وتم تجاهلها منذ ولادة علم النفس كعلم مستقل نهاية القرن التاسع عشر، والذي انعكس بدوره على العلاج النفسي المعرفي التقليدي، والذي تبلور منذ قرابة نصف قرن، وبذلك يتم فتح آفاق جديدة بتشخيص الأمراض النفسية والعلاج المعرفي النفسي الفطري، وطبيعة المقاييس النفسية، وكذلك الإجابة على أسئلة بعلم النفس لا تزال تنتظر الإجابة !وربما يستطيع هذا الكتاب وضع اللبنة الأولى في بداية هذا الطريق الطويل، والذي يحتاج جهداً كبيراً من مختلف التخصصات النفسية، لإعادة النظر بتاريخ علم النفس والطب النفسي، فليس سبب الاضطرابات النفسية مقتصر على أسباب بيولوجية أو وراثية أو خلل معرفي أو تأثير البيئة وصدمات الطفولة، بل هناك سبب تم تجاهله طوال العقود الماضية وهو تغييب الحد المعياري لحياة الإنسان، وهو الغرائز الفطرية والتي يرتكز عليها البناء الأساسي للهرم الفطري العقلي الخماسي الطبقات، والذي يعبر عن حقيقة الذات وبصمة الشخصية، وهذا يقودنا لتصنيفات متنوعة للاضطرابات النفسية، كالاكتئاب الدماغي الذي ينجم عن خلل كيماوي أساسي بهرمونات السعادة، والإكتئاب القلبي الفطري والذي ينجم عن الخلل الأساسي بالبناء الأساسي للهرم العقلي الفطري، الذي يتكوثر نتيجة تفاعل غرائز الجهاز النفسي الثلاثة مع بعضها، حيث يسبب الخلل الفطري فيها استثارة مستمرة للغرائز العقلية، وبالتالي للدماغ الذي يستنزف طاقة العقل سلبيا بالقلق والتوتر بحثا عن الأمن النفسي والجسدي للتخلص من ضغوطات الحياة، مما يولد استنزافاً لهرمونات الدماغ لضبط ذلك الخلل، وبالتالي العجز عن التقليل من التوتر والقلق، وفي حال انكسار المعاوضة الدماغية فإن الإنسان يدخل باضطرابات نفسية متنوعة، لذلك فالعلاجات الدوائية أو العلاج النفسي التقليدي والمتداول حاليا لا يزال غير ناجع عند جميع المرضى، وربما يكون العلاج الفطري النفسي بداية طريق بالعلاج النفسي المتكامل، علاوة أنه سيل جميع الأمراض النفسية تصنف ضمن خانة التصنيف التقليدي، وأن بعضها عبارة عن خلل معرفي و بيولوجي، فاضطرابات الشخصية واضطرابات الهوية الجنسية وبعض العصابات النفسية إضافة لبعض الاضطرابات التي لا يمكن وضعها ضمن أي تصنيف سابق، فإنها ناتجةعن خلل بالأخلاق الفطرية، وغياب الحد المعياري لسلوك الإنسان نتيجة الخلل العقلي قلختلابالغرائز الفطرية خلال تكوثر الهرم العقلي الفطري، وبالتالي

العمل على إصلاح ذلك الخلل بالجهاز النفسي من خلال العلاج النفسي الفطري، الذي يفتح آفاقاً جديدة بالعلاج النفسي .

وإضافة إلى النظرية الفطرية النفسية يفتح الكتاب باباً لسيكولوجية اللغة، والعلاج النفسي باللغة والقراءة، حيث يتطرق لأصل اللغة والنظرية الاسمية باللغة، وأن أساس التفكير هو المعاني التي توارثها الإنسان من أبيه آدم، وأن تحريض هذه المعاني –والتي هي عبارة عن أيقونات لغوية – يولد إشارات بيوكهربائية وفق تلك المعاني، والتي تولد المشاعر المختلفة وفق نوع الإيقونات اللغوية المحرضة، حيث تلعب المسامات اللغوية بين مكونات الجهاز النفسي الثلاثة دورا بتحريض هذه الغرائز، فكلما كانت المعاني المحرضة تثير الغرائز الفطرية، شعر الإنسان بالراحة والأمن والطمأنينية، بينما نرى أن إثارة المعاني التي تحرض الغرائز الأخرى تولد القلق، نتيجة البحث عن إشباع تلك الإثارة بالموضوعات المادية، نظرا للطبيعة المادية لتلك الغرائز، ولا بد من التحريض المستمر للمسامات اللغوية بشكل دائم، وخاصة الفطرية كي يبقى الإنسان متصلاً بالفطرة، ولا يقع فريسة للغرائز الترابية والواقع المؤلم، ويتوجب على الإنسان قراءة كتب الحكمة والتأمل بشكل مستمر لبلوغ ذلك، فالقراءة لها عدة أنواع، وأهمها ما يغذي الغرائز الفطرية بشكل مستمر .

وبناء على النظرية النفسية الفطرية فإنه تم وضع عشر مراحل لتطور شخصية الإنسان، حيث تاريخ الإنسان وتطور شخصيته هو عبارة عن تخلق ةينبلأا العقلية بالأخلاق، سواء سلبا أو إيجابا، وهو ما ينعكس على صورة الشخصية النهائية بكل مرحلة من مراحل تطور شخصيته.

وختاماً فقد تطرق الكتاب إلى سيكولوجية الدين، وخاصة أديان التوحيد الثلاثة الكبرى، وسيكولوجية الأسماء والصفات للذات الخالقة حسب أديان التوحيد، وأن التخلق بهذه الأسماء قدر الإمكان– حسب الطبيعة البشرية الممكنة والمحدودة –يعتبر الطريق الملكي للغرائز الفطرية، وبالتالي اكتشاف الإنسان لذاته الحقيقية، وتحقيق أمنه النفسي والجسدي، وسعادته، والذي هو غاية كل إنسان والبحث بذلك يطول....وبالختام الله أسأل التوفيق وأن يساعد هذا الكتاب بإطروحاته المتنوعة على تحرير المصطلحات والسرديات النفسية المختلفة بشكل صحيح، ويحد من عبث الفلسفة والأديان الوضعية، والكهنة و العلوم الأخرى بالنفس البشرية، ويساعد على تخليص كثير من الناس من آلامهم وأوجاعهم، وأن يكون مرشداً وقبلة للإجابة على الأسئلة والاستفسارات النفسية، التي لا تزال معلقة وتنتظر الإجابة حتى الآن.

الكتاب العربي "نفسانـي" الإصدار 70 2022

إسم الكتاب: مَعْجَمة مفاهيم ومصطلحاتٍ ومفرداتٍ تقنية في الفكر الفلسفي والتحليل النفسي كما الاجتماعي والفَنّيّ

المؤلف: أ.د. علي زيعور

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=512&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=511&controller=product&id_lang=3

المختصرات

أدناه = ما سيلي

أعلاه = ما سَبَق، الفصل (السطر، أو القسم) السابق .

إلخ = إلى آخره .

ت = ترجمة (نَقْل) .

ت . ع = ترجمة عربية .

ت . ف = ترجمة فرنسية .

ج = جزء .

د. ت = دون [بلا] تاريخ.

را : = راجع ؛ أنظُر.

س = سطر.

ص = صفحة .

ص ص = من صفحة كذا حتى صفحة كذا .

صص = صفحة كذا ثم صفحة كذا .

ط = طبعة .

قا = قارن ؛ للمُقارنة = قابِلْ ، للمُقابل.

ك .ع = الكِتاب [المؤلَّف] عينه .

م . ع . ص = المرجَع عينه والصفحة عينها .

تَبصـــــرة

1 – هذا النمط ، النوع أو الصّنف أو الشكل ، من تقديم الفكر في عالم التواصل الراهن وأدواته ، صِنفٌ مميَّزٌ مخصوص . فهو " يُفرفِط " ، يُفكفِك أو يُفتفِت الأسرودة (=النّصّ ، الحالة أو الظاهرة، النظرية أو الفَرضية) إلى مفاهيم ومصطلحاتٍ ومفرداتٍ تقنية.

هنا ، إذَن ، **أسلوبٌ** أوكيفيةٌ في الولوج إلى " **غرض الدراسة** " سواء كان كتابةً وفكراً، أو شيئاً مادياً . وذاك ، أيضاً ، أسلوبٌ في **التشخيص** أو التوصيف ؛ ومن ثم في **التحليل** أو التفسير بعوامل اجتماعيةٍ أو ثقافية، وتاريخيةٍ أو بيئية ، ونفسيةٍ اجتماعية أو وراثيةٍ جينيائية. وبعد مرحلة التشخيص، ثم مرحلة التفسير، تكون مرحلةُ طرحِ مخططٍ للتغيير ، أي للمداواة والعلاج ، والأملِ بالشفاء أو رجاءِالخلاص .

2 – هذا الكتاب فصولٌ كبرى أُطلِق على الواحد منها " **محاوَلة** في **الفَكْفكة** " ، والفرزِ ثم المعجَمة. تتكرر بين تضاريسها ، أومغموراتها وجبالها ، **مفرداتٌ** سبق تحليلها ؛ وأخرى قد نظنُّ أنه سبق أن حلّلناها ونظرنا في إعادة ضبطها وتثميرها . هدفنا ، في ذلك ، إقامةُ معجَمٍ ، أو ما هو قريبٌ من معجَم ، غرضه ومؤداهُ تقديمُ **المعنى الراهن** بمستويَيْه المكشوف الجلِيّ ؛ والمحجوبِ المستورِ أو المطمور .

3 – مَنَع فَرَحَنا بهذا العمل ما قد يبدو للقادم البعيد ، للبادئ أو المهرولِ المستعجِل، تكراراً ، أي عودةً بغير ملَلٍ او حيطةٍ إلى الأصل أو النبع ، الجَذرِ القديم أو الأروميّ والسالف ... وفي الواقع كما في التفكير العقلاني، ليس التكرار تُهمةً شنعاء أو جرماً يَخجل الناس منه . فهو مِتعة ، وعملٌ غير صعب ، ومُسهِّل ميسِّرٌ للشؤون والأمور . سنرى ، أدناه ، أنّ التكرار هدفه **التكرير** ؛ أي طلبُ المعنى الدقيق ، الأقرب إلى الصواب والمنفعة. ليس التكرار سُبَّة أو عيباً . فالأيام تتكرر ، والمواسم ، والفصول، والتكاليف الدينية ، والتنفّس ... كل شيء لا يتكرر قد لا يبقى ؛ وما يبقى هو ما يتكرّر. وما يتكرّر يتطور : يَتَنقّى ويتطهّر ، يُحيي ويُحسِّن ، يوضِّح ويَتَوضّح . بالتكرار يتعلّم الانسان ، والحيوان ... فحتى **البزاقة** تتعلم بالتكرار طريقها إلى حيث وضعوا لها "طعاماً " (را : قوانين علم نفسِ التعلّم) .

للتكرار قوانين تحكمه أو يَجري بموجبها . يُدرَك التكرار ، في فنّ الغناء مثلاً ، في وحدة أو بنيةٍ مع **الإرتجال** ومن ثم مع الضبط أو التنظيم المسبق الجاهِز والثابت . تكرار اللحن الواحدِ ليس آلياً مستقيماً ، متحجّرا متصلّداً. إنّه تغيير وتنويع ، وطلبٌ للإداء الدقيق أو الأغنى والأجمل (را : معيار الأجْمليات) .

4 – **الفرز** و**المعجمةُ** هما خطوتا المنهجية التي **تَحرث وتزرع** في **علم التفسير أو التشريح**، والفهمِ **كما التأويل** (التفسيرانية والتغييرانية ، التشخيص والعلاج) : أ / الفرز هو ، على ذلك ، **اختيارُ** الكلمات الأكبر والأشدّ بطشاً ، وحَمْلا أو **تمثيلاً** للمعرفة والعِلم . والفرزُ تنقيبٌ وانتقاء ، وهو المتعقّب المفتش **لحاملات** الفكر أو الناقلات للنظر، ومجسّدات المتخيَّل ، والمكتنِزات أو الدالّات على اللاوعي والرموز، والمفاتيح وأدوات الإلتقاط للمميَّز وكاشفاته.

ب / أمّا **المعجمة** لتلك **المفردات المرتضاة** ، المختارة ، **السمينة** ، فهي ، مثلما مَرّ وسبق ، البحثُ عن الأسباب المسبِّبة ، والرئيسية كما الثانوية ؛ وهي النظر في **المعنى** الأول ، والمعنى الثاني ، وفي الحقل المستجد ، والعقلِ الاستكشافي الإستطلاعي.

**

1 – ما هو غرض هذا العمل ؟ ماذا وأين تكون فوائده (= مجلوباته) ، أي أين أثّر أو طوّر، وأين قَدّم معرفةً نافعةً ، وأين طَرد مثلبةً أو انجراحاً ، أين سدّ نقصاً أو ملأ فراغاً؟ ([1]) .

2 – لقد أوضح وأبرز قيمة **علم المصطلح** في الفلسفة والفكر ، وفي التصوف والعلوم الانسانية كافةً (را : التجربة العربية الثالثة في الفلسفة) . وفي لوائح المصطلحات الموضوعة بالفرنسية أو الانجليزية ، وحتى في لوائح المصطلحات ذات اللغتَيْن معاً ، قدّمنا أشهر اللوائح التي اعتمدتها ، بشكلٍ خاص ، المدرسة العربية الراهنةُ في الفلسفة والانسانيات بعامة . وكان مقصودنا التشديد على إرادة القارئ كي **يلتقِط بنفسه** التطور البطيء الذي جرى على القوائم ، اللوائح . هذا ، وكي يرى أيضاً كم أنّ الحاجة ماسّةٌ لسلطةٍ لغوية تختار وتقود ، تَحكم وتساعِد ([2]). نشير ، أخيراً ، إلى أننا لا نجد إعجاباً أو تكرار إعجابٍ بالاستشراق ، والمستشرقِ و" المستهنِد " . ففي عالَم " مشروعِ المدرسة العربية في الفلسفة ... " نَعثر على لونٍ خفيفٍ سريع من الممجوجية تجاه تلك الظاهرة

غير البريئة . نُقدّر الحضارة الغربية عالياً ، كثيراً ؛ لكنْ نرى الاستشراق وما يُحِفّ به ويَعتوره ، قطاعاً مسيَّساً مربوطاً بسلاسل الإناسة ، أو بالدراسة المسيَّسة الجاهزةِ للأمم المستعمَرة، القليلة النمو ، وضعيفة التقدّم التاريخي أوالأدواتِ الإنتاجية كما العقلِ التاريخي الاستطلاعي والتنقيبي .

1 – الإرهاق الغَرْبي ، بنقده " **الدّجاجي – الضّفدعي** " لنا ، قد رجَّ ورَجْرج فينا الجذور ، وزعزع الأركانَ العميقة ، وضعضعَ الأُسسَ المحجوبة . وهكذا ابتلع الكثير من الأجيال السالفة الصورةَ السلبية

التسفيليةَ عن الكثير من الأمم والثقافات ، ولا سيّما عن الأديان والحضارات والتواريخ . وولّدوا فينا الشعورَ بالإضطهاد،والتقويضَ الذاتي ، ونقضَ أو سوءِ التقدير الذاتي بل وحتى **البَتر الذاتي** ، و قلّةَ الثقة بالمهارات والكفاءات الذاتية ، ومن ثم بالإمكان على التعافي والرضائية الذاتية، وعلى الانعتاق والابداع ، والتحرر والانطلاق .

2 – لقد تَصدّتْ لكلّ ذلك التجريحِ والضغوطِ بنجاحٍ الأريكةُ العربية الراهنة في التحليل النفسي ؛ وتماماً كما **المدرسةُ العربية** (أو حلقة بيروت) في الفلسفة والتصوف والفكر " العالَميني"؛ **وكرسي** العلوم الانسانية– الاجتماعية المخصوصةِ في اللغة والتاريخ والإناسة واللقمويات . لقد أحدثتْ هذه المِنصّات الإنهاضية التطوريةُ ، أو الأجهزةُ ومحرّكاتُ الدفع والرفع ، " **ثورةً** " على استمراريةِ الفكر التسفيلي للأمم المستضعَفة؛ واعتزازاً في فكر الرافضين للإنهزام ولقبولِ الإنكسار والرّضا بتسلطِ " المستعِزّين". إنّ ثورةً على مبخّسي العقل ، والمتخيَّلِ ، في الفكر العربي الراهن (را: الأبطال المازوخيين وأضرابهم في ذلك القطاع) ، هي ثورةٌ تستحق اسمها ، وجديرةٌ بأن تُعتَبر أحد العوامل الفعّالةِ النّصّارة في توقيدها ثم تأجيجِها للنور والنيران، للحَدْثنة الإنسانوية والتنويرانيةِ الكينونية .

3 – بحسب **التفسيرانية والتغييرانية** ، في قراءة المعجمة ، تتعدّد مستوياتُ **التفسير للنّصّ** ، **علمانياً كان** أو لاهوتياً وملهوَتاً، ومؤسطَراً كان أو معلْمَناً ومشيَّئاً . والحالُ هذا ، فإنّه من التفسيرات المتنوعة المتعددة هناك ، أوّلاً ، **الدرجةُ التفسيرية** التاريخوية، **الحَرْفانية** ؛ وهي متشدّدة ، متصلّبة، أحادية ، سيطرية ؛ لا تعترف بالنمو والتطور التاريخي واللغوي للفكرة أو الكلمة ، العقيدةِ أو القانونِ والفقه ، التنظيماتِ السياسية الإدارية كما التشريعيةِ والقضائية .

4 – وهناك **التفسير اللغوي** ، أي العائدُ إلى تحليل المفردة باعتماد القاموس اللغوي العام ، ومن ثم إلى **معجم الأفاهيم (المفاهيم ، الأفهومات) والمصطلحات والمفردات التقنية** العائدة إلى النّص المطروح على بساط التفسير والمساءلة ، أو القراءةِ والنقد والمحاكمة .

5 – **التفسير المتعالِم** ، أي الذي يفسّر أو يرى أنّ طيراً أبابيل ، كشاهد ، هي الجراثيم (والفيروسات)؛ هو تفسير ذو رخاوة وهُزال . غزا العقول والأخيلة في القرن الماضي، وقد نفع قليلاً ، ونال حظوة هشّةً عطوبة. لكنّ مثالبه سافرة تخلو من التفكير العقلاني ، و من النظر أو الرؤيةِ والأنموذجِ الفلسفي .

6 – **التفسير التحليلي المزدوج** ، هو القراءةُ المزدوجة التي تَعتمد التحليل السيميائي(=الألسني) والإناسي. ومن التحليلات القديمة في هذا المضمار نذكُر تفسير: التحية بالأنف والخشم؛ اللحية الطويلة ؛ تطويل شَعر اللِّحية ؛ الشَّعر ؛ الكرامة الصوفية ؛ الأسطورة ؛ الحلم ؛ الاستعارة ؛ المجاز؛ الرمز ؛ الحُلم ... (را : القراءة الثانية أو الاحصافية ، الطّبيبيةُ أو التحليلْنَفْسية) .

7 – ونذكُر ، أيضاً ، التفسير **العرفاني** المُشِيع للنفس ؛ بل والتفسير المُشِيع للمِلكية الفردية والأرضِ والسلطة (را : إبراهيم بن أدهم . أيضاً : **المعنى السِّرّاني الإستسراري** للتصوف الموصولِ بالتصوف **المَشاعي** في المِلكية والسلطة) .

8 – وهناك اعتماد تفسير **الحالة** ، نفسيةً سويةً كانت أو محجوبةً مطمورة ، بالبحث وتعقّبِ **أوالية الدفاع أو الإحتماء** المُحدِثةِ المؤسِّسةِ ، أي التي نسجت الطرحَ أو النسيجَ وأقامت الصرح . هنا نبحث في أغوار الحالة عن السبب أو العلة ، وعن المراد المستور ، والمعنى غير المفصوح . فهنا نستهدف **التعويض** ، التغطيةَ أو الإبدال ، التكوين العكسي ، النكوص، الفرار ، التلطّي ، النسيان ، التزكّي ، التفريغ ، التطهّر...

9 – **المنهج التفسيري** الذي ينهض من **الجذر اللغوي** طريفٌ ظريف ، خفيفٌ وغير وعِر؛ لكنه يُنتِج معرفةً هي " **كأنّماوية** " (راجع : كأنّما ، كأنّ) ، **ربَّماوية** ، **حيثُماوية** ، **ريثَماوية**... ومَثَل ذلك ما نشهده في الإنطلاق من الجذر **شَ – عَ – رَ**؛ أو : **ص – و – فَ** (= **ص– أ – ف**)[3] ؛ أو: رَ – ض – ع [4] ...

10 – وهناك **عادة فكرية** ، منهجٌ أو أسلوبٌ ، مفادها دعوةُ المستمِع (كان ذلك في"**أحاديث نفسية**"، في إذاعة لبنان) أو القارئ الفكري إلى صَبّ التفكير سعياً إلى إنتاج حلّ ، أو إلى **إجراء تحليلٍ** للمشكلة المطروحة . هنا يساعد طارح المشكلة على توجيه تَفكيرِ الصابرِ بغير ضغطٍ أو إكراه ، أو تدخّلٍ إنْ اعتباطي وإنْ تعسّفي أو حَرْفاني.

11 – ثمة أيضاً التفسير **الإرصاني** ، الثاني أو العيادي ، تحليلياً ورؤيةً ومنهجياً . فالتفسيرُ الصوفي للآية والمنسك ، ولشعيرةٍ أو حديثٍ ، هو **التفسير الصوفي** للنصوص اللاهوتية (الألوهية ، الإلهية) تفسيراً رمزيّاً؛ وهو نفساني وذاتاني ، أخلاقيُّ النزعةِ والرؤية كما النموذجِ والمنهجية. ذاك تفسير روحاني محض ، مثالي وبالغ التعقيد ، متعدد التراكيب أو الطِّباقات ، والشرائح المتراصّة ، ومرتفعُ المداميك واللَّبِنات .

يُختار لذلك التفسير آيةٌ ، أو فكرةٌ من آية ، أو حتى كلمةٌ أو بضعة كلماتٍ من جزء آيةٍ مختارةٍ ، ومستلةٍ من إحدى السوَر . لذلك أتى ذلك التفسير ، العابرُ للمذاهب الفقهية، ذا شخصيةٍ مكرَّسةٍ

ومستقِلة ، متميّزةٍ وغير مألوفة ، جديدةٍ وإنجاز ... ولذلك، أيضاً ، فإنّ ذلك الفكر التفسيريَّ جاء على شكل الفلسفة التفسيرانية (أو الفلسفة التفسيرية النزعة)، الغائصةِ والغوصية... هنا ، إذَن، قراءة تَتَعقّب وتُنقِّب في غياهب الكلمة المفتاحية،أو الأفهوم المركزي اللامفصوحِ وغير المسمّى ، المحمولِ أو المتضمَّن ، والغوري كما الفِيّاويّ، المحجوبِ كما المستورأو الدفين ، المَنسي كما المقنَّع . وفي مطلق الأحوال، يُفتِّش عن المعنى المخبوء في البُعد الواقع فيما بَعدَ اللفظة، أو فيما تحتها ويَتَعدّاها .

12 – أخيراً ، إنّ **النزعة ، أو المنهجيةَ والرؤية الشذَرانية** ، تكافأتْ مع نمطٍ شَذَري من الكتابة ، أي مع عودةٍ إلى أساليب الكتابة عند البسطامي أو النّفري وأضرابهما... لقد انتقل كتابنا هذا ، أدناه، **من أسلوب الكتابة المعتاد** إلى أسلوبِ التعبير بالشذرات، أي إلى **الكتابة الشَّذَريّة** المسماة أيضاً **الفَقارية** أو الفِقَرية (وحتى " الفَقَرية" السهلةِ النُّطق والكثيرة الذيوع حتى في العامّيّة). كما أنّ كتابنا سمّاها أيضاً : الكتابة فكرةً فِكرة ، أو فَقَرةً فقرة. هذه **الكتابة الفِكَرية** هي أيضاً فِقَرية. ويشدّد، هنا ، على أنّ الأُسّ لهذا النمطِ راسخٌ " **وميزةٌ مميَّزةٌ مميّزة** " للقلم الصوفي ؛ أي هو نوعٌ مأنوسٌ مألوف عند كبار الصوفيين وأشهرهم[5].

ع . ي . زيعور – 2022

(1) الكلام عن المجلوبات لفكرٍ أو علم لا يعني التناقضَ أو المزاوجةَ القسريةَ بين الآراء المختلفة عند الكلام ، أيضاً ، عن المرذول أو المنبوذ . التكرار يُمدح . ويُقبل القول فيه أيضاً أنّه كسلٌ ورتابة مُمِلّة أو إضجار ودليل فقرٍ لغوي وفكري.

(2) أشرنا الى لابدّيّة ولامَناصيه اللجوء الى معجم التحليل النفسي (بونتالِس) . ولائحة ج . زيناتي الفلسفية الفرنسية – العربية نافعةٌ وشِبه كافية

(3) را : الجذور الميثولوجية للتصوفات ، ثم للصوف ولا سيما صوفة بن مُرّ المنذورِ للكعبة أو المسيَّب لله تعالى .

(4) را : التفسير تبعاً للجذور الأسطورية والمعتقَدية لظاهرة الإسترضاع . أيضاً : ضَرْع ، تضرُّع ، العِرض ، الرضْع ، الأرض ...

(1 (5) صدر كتاب " ألف قولة وقولة ... " في طبعته الأولى عن دار النهضة العربية (بيروت) ثم أعيد طبعه منقّحاً ومزيداً في مكتبة حَسن العصرية ، بيروت ، 2018

سلسلة الكتاب العربي "وفي أنفسكم" (نحو لياقة نفسانية أفضل لحياة طيبة)

الكتاب العربي "وفي أنفسكم" – الإصدار الخامس

إسم الكتاب: الدعم النفسي ضرورة مجتمعية

المؤلف: د. مرسلينا شعبان حسن

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=94&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB5MS2013-Content.pdf

مقدمة حول الآثار النفسية للحروب واعمال العنف

1- انواع الخبرات الصادمة
2- المراحل التي يمر فيها المصاب باضطراب ما بعد الصدمة
3- مفاهيم الدراسة : الصدمة النفسية – الخبرة الصادمة – الضغط النفسي واعراض التوتر النفسي – العصاب الصدمي – الصحة النفسية ومظاهرها المنشط النفسي – السيكودراما والدراما العلاجية – اللعب واللعب العلاجي – الدعم النفسي الاجتماعي – سلوك التكرار كعصاب صدمي –
4- أهمية الجماعة في الدعم النفسي
5- أبرز أهداف برنامج الدعم النفسي
6- أساليب التعاون الذاتي في الدعم النفسي
7- الدعم النفسي الاجتماعي للأطفال والمراهقين
8- تصنيف الأذيات النفسية المتحصلة اجتماعياً .
9- اعتبارات اساسية قبل بدء برامج الاسعافات النفسية
10-الاجراءات النفسية الاسعافية
11-طرق التنفيس الانفعالي
12-التدابير الأساسية في مواجهة أعراض الصدمة

5- الاجراءات الوقائية للخفيف من الضغوط وتجنب وقوع الصدمات النفسية

6- عوامل الوقاية من الصدمات

مقدمة لابد منها حول الحرب واعمال العنف وآثارهما النفسية :

إن مظاهر العنف والدمار في بلادنا اليوم وفي بلدان أخرى عاشت أحداثاً مشابهة ، راكمت أثار نفسية عديدة تتفاوت من حيث الشدة ما بين عيش الصدمة الى الاضطرابات العارضة البسيطة ، ولكن الوهن النفسي بات سمة المرحلة المعاصرة ، من تاريخ بلدنا التي تتجلى بانخفاض الدافعية ،، و البعد عن تقبل معطيات الواقع المضنية بقسوتها من حيث حجم الخسائر البشرية وبالتالي حجم الفقد للأعزاء اضافة الى الدمار واعمال التخريب التي قل أن حيدت عن هذه الآثار اسرة على امتداد البلد ، فالكل يعيش الصدمة بمؤشرات ومعطيات متفاوتة ..

هكذا علمتنا كل أبجديات سيكولوجيا العنف قديماً وحديثاً ، وهذا ما نلامسه عيادياً من ان العنف في الخارج له اسقاطاته الخطيرة على الفرد من خلال التأثير الذي يطاله من المحيط الجغرافي والاجتماعي ، فمثلاً يلاحظ بان العنف الأسري يزداد شدة في ظل ظروف عدم الاستقرار ، كما أن العنف الجسدي يتصاعد بين الأقران في المدارس والعمل ... ، وأقلها العنف اللفظي .. وفي يومياتي العيادية ألحظ ما هو أخطر من ذلك ، من كون مظاهر العنف السياسية الحاصلة في بلادنا ، قد عممت على غالبية لا يستهان بها من مجموع المواطنين ..

كما يلاحظ أن ردود أفعال الناس تتباين تجاه الأزمات الكبيرة التي قد يعيشها الافراد فرادى او كمجموعات عبر عثرات الزمن والاحداث الكارثية المفاجئة سواء كانت طبيعية كما هو الحال عند تعرض بعض الدول و المدن للزلازل والبراكين والفيضانات ، او كانت من صنع البشر كالحروب واعمال العنف ، والصعوبات الحياتية تتباين تبعا لطبيعة الأزمة وظروفها وشخصية الإنسان المتعرض لهذه الازمات وتبعا لم مرّ معه من أحداث وتبعاً لتوقعاته واستيعابه لم حدث وقوة المتغيرات ، كل ذلك يسهم في تحديد المدى الذي يستطيع الإنسان التكيف مع مثل هذه الأحداث المفاجئة والقوية التأثير عليه في فترة معينة في حياته ، وإلى مدى سيتأثر بعواقبها

وقد تعم مظاهر سلوكية ، يمكن تسميتها بظاهرة التحرش النفسي ، المتمثلة بالابتزاز في كل الخدمات العامة ، وعدم قبول الاختلاف بين الناس لآراء بعضهم حتى في المسائل الصغيرة ، ولو بجزئية قليلة تطال الوضع العام وأزماته ، ليحل الخوف والحذر كسمة بارزة في أجواء الحياة اليومية ...

ومرات كثيرة نلحظ أيضاً أن يجر الانسان الى قول ما لا يريده ، بفعل الاستفزاز اليومي الذي يعايشه ...

فمن الآثار النفسية التي لا تخفى على العامة والخاصة من المتخصصين لعلم النفس والطب النفسي "إن الحروب تنشر ثقافة الخوف والقلق والفرار ، مما يعطل عند الأجيال التي تعاصر الحرب كيفية التواصل مع الحياة بشكل جيد ، وقد يمتد التأثير لبقية حياتهم فيما بعد ، حتى بعد انتهاء أحداث العنف وتوقف الحرب ، من كون هذه الذكريات يمكن أن تبقى في دواخلهم ، وتخلق أزمات نفسية ناتجة عن الخوف من مواجهة أحداث عنف مماثلة ، لِمَ يتم رؤيته على الشاشة كرؤية الأجساد مفتتة أو مقطع من خلال التماهي (identification) مع مشاهد العنف التي تعرض على الشاشات أمامنا .

ففي ظل الحروب والكوارث تتعرض الشعوب لأبشع أنواع الظروف الصادمة والضاغطة والتي تترك بصماتها على معظم نواحي الحياة من بعد عيشها ان لم تدرج برامج دعم نفسي متخصصة وداعمة لذلك

وهناك تجارب عالمية حول آثار الخوف الكبيرة نتيجة الحروب والكوارث ، فمثلا بعد حرب "كوسوفو" تمت ملاحظة أطفال كان عليهم أن يشهدوا مشاهد مهولة ، لم ينطقوا بعد ذلك لأشهر عدة بكلمة واحدة

ويبقى السؤال الرئيس حول كيفية التخلص من آثار المشاكل النفسية هذه عندما تقع علينا ؟.

إذ أن رواسب الحرب والصدمات النفسية ، من جراء تجارب الشعوب معها ، تظهر أنه لا يمكن لأية تدابير أن تمحو الصدمة من النفوس بشكل نهائي .ولكن هناك اجراءات تخفف من الضرر النفسي الحاصل ، وضمن هذا الكتاب سوف يتم تقديم عدة أفكار للعمل النفسي المجتمعي الداعم ، والمتمثل بمجموعة منهجيات واجراءات عملية ميّسرة للتطبيق المباشر في الحالات المشابهة للوصف الوارد للحالات المتأذية من جراء اعمال العنف والناجين من الموت ومن خطر الحروب ...

ولكن الأذيات الابرز من جراء الحروب ، وأعمال العنف هي الأذية الواقعة على الأطفال ، ومن الاثار البارزة للحرب على نفسية الطفل كما تجمع عليها غالبية الكتب والدراسات النفسية التي تحدثت عن الصدمة من جراء أعمال العنف اذ تبعاً للآراء النفسية والتربوية الأطفال هم الأكثر عرضة لهذا التأثير الضاغط ، وذلك نظراً لعدم اكتمال النضج النفسي والاجتماعي لديهم ، فإن كانت ظروف الحروب والعنف فوق طاقة الكبار ، فهذه الطاقة بلا شك آثارها مضاعفة لطاقة تحمل الأطفال ، من حيث انها تسبب اهتزازاً للثقة بالنفس وبالآخرين ، إذ أن شعور الطفل بالخطر الذي يهدد حياته والخوف والقلق

المتزايد الذي يؤثر في سلوكه ومزاجه كل ذلك مؤهب للعديد من ردود الفعل الحادة على الصعيد النفسي والاجتماعي وبكل تأكيد الفسيولوجي ، ليغدو بذلك الطفل ضحية الخوف الشديد والكوابيس والكآبة وغيرها من الاضطرابات الانفعالية ، وبذل الحاجة لتقديم المساندة والدعم النفسيين ، هنا تصبح هذه الحاجة ماسة وليس فقط من أهلهم بل من متخصصين ومتدربين نفسانيين .

الكتاب العربي "وفي أنفسكم" - الإصدار السابع

إسم الكتاب: اللغة العربية وتشكيل الوعي القومي

المؤلف: أ.د. يحيى الرخاوي

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=59&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB7RY2014-Content.pdf

مقدمة: موقع صاحب الرؤية

1- "آن وقت الفزع"

حين قرأت هذه العبارة فى كتاب الدكتور نبيل على "العرب وعصر المعلومات"، لم أكد أفزع حتى غضبت مرتين، مرة لأننى استجبت له ففزعت، ومرة لأن ما ورد فى هذا الصدد أدعى للغضب منه للفزع، صحيح أن ما ذكره المؤلف من أسباب الفزع هى أسباب مشروعة وملاحقة، لكن الغضب أقرب إلى من يدرك حقيقة ما يجرى: حيث ألعاب السلطة الآن أخفى وأخطر، الاحتلال يمتد إلى وعى الناس الأضعف، والأكثر كسلا، بعد أن عزف السادة عن احتلال الأرض، ثم عن احتكار سوق الحاجات، واتجهوا إلى العقول والوعى مباشرة. فالغضب أكثر إلحاحا ونحن نستمع إلى حديث عن 'فائض القيمة" المعلوماتية، وعن ربحية الثورة التكنولوجية، وعن مخزون المعلومات واحتكارها، الفزع تلوح من خلال فجواته سراديب الهرب، وحين فوجئت أنه حتى هذه السراديب مغلقة، لم يتبق لى إلا الغضب، وهذا الغضب هو الذى شجعنى أن آخذ بهذه المخاطرة بالإسهام فى الحديث بين هؤلاء الثقات من واقع ممارسة شخص عابر من "أصحاب المصلحة" وليس من أهل الاختصاص.

وإسهامى فى المشاركة من موقع مواطن عادى هو إسهام من يستشعر الخطر المباشر على وجوده وهو يتابع ما يجرى على الساحة العالمية فى مجال المعرفة وكيفية تأثيرها فى تشكيل وإعادة تشكيل الحياة المعاصرة، وسواء وجدت نفسى فى موقف الفرجة عجزا، أو اجتهدت مشاركا فتبينت فارق السرعة واتساع الهوة، فالغضب أقرب على كل حال، غضب مشوب بحسرة مؤلمة ومرة.

وهذه المداخلة هى نتيجة لما أتاحته لى مهنتى فى الممارسة العملية حيث أواجه يوميا إنذارات مبكرة، وإن كانت بشكل فردى متقطع، إنذارات تعلن أنه ما لم نبادر باليقظة فالفعل، فهذه الصور الفردية التى تواجهنى فى شكل معاناة مرضاى يمكن أن تصبح كارثة جماعية فى وقت قريب.

إذن فمنطلقى إلى هذه المداخلة هو من واقع ممارستى الإكلينيكية على أرضية بيولوجية (بالمعنى الأشمل لكلمة بيولوجى)، وحين أتذكر كلمة تشومسكى من أن 'مدخل" الحل فى مسألة اللغة هو البيولوجى "أشعر أن لإسهامى المتواضع هذا مكانه المناسب.

فالمفروض أننى أنتمى إلى تخصص بيولوجى أساسا، وأنى أمارس واقعا إكلينيكيا يسمح لى بما يسمى أخيرا "ألعاب اللغة"، مع متحاورين يتكلمون لغات خاصة، بل يتناثرون إلى ما هو "ضد اللغة"، فأتعرف على اللغة من ضدها (وبضدها تتميز الأشياء).

ثم نأتى إلى 'الوعي" (وهو الشق الثانى من العنوان) فلا يحتاج الأمر إلى تفسير خاص يبرر مشاركتى من موقعى هذا، حيث أن الوعى هو تشكيل بيولوجى، وجودى، كلى بالضرورة.

2- المفاهيم البدئية

من الأفضل أن أحدد نفسى بألفاظ العنوان، فأبدأ بتحديد ما تعنيه المفاهيم التى حملتها ألفاظه المحدودة، ورغم أن غيرى من أهل الاختصاص لا بد وأنهم أقدر على أن يقوموا بهذه المهمة (مهمة التعريف) إلا أننى أشعر أن هذا الاستطراد سوف يجنبنى كثيرا من الشبهات إذا ما تلقى المتلقى معنى هذه الألفاظ كما اعتاد أن يفعل.

وبداية سوف أتناول مفهوم كل من "اللغة" و"الوعى" مرجئا الحديث عن "العربية" والقومى" إلى فقرة لاحقة.

2 – 1- اللغة – الوعى: تعرف لا تعريف

أما اللغة فهناك من الملامح والتحديدات ما كاد أن يصبح من البديهيات مما لا أرى مبررا للخوض فيه مثل أن اللغة غير الكلام،

ومثل أن اللغة لغات كثيرة، لها ألسنة كثيرة، ومثل أن اللغة أصل لعلوم عديدة، وليست أداة لغيرها من العلوم، وهكذا، لكننى أشعر أنه من المفيد التأكيد على أهم مناطق النفى قبل أن أستطرد إلى تقرير ما ينبغى إثباته:

فاللغة ليست إضافة لاحقة لظاهر الوجود الفردى أوالجماعي

وهى ليست أداة للاستعمال الظاهرى

وهى ليست كيانا مستقلا عن الوعى، ولا عن الوجود ولا عن المخ

وهى ليست الكلام طبعا

فاللغة "لم تعد تمريرا جيد التقنين وخاليا من التشويش لنقل العلامات من يد ليد"

إذن ماذا هى اللغة التى سوف أتحدث عنها ؟

(1) هى:ذلك الكيان البيولوجى الراسخ/المرن/ المفتوح فى آن، القادر على تفعيل المعرفة فى الوعي.

(2) هى: الوجود البشرى نفسه فى أرقى مراتب تعقده وفاعليته.

(3) هى: التركيب الغائر لمصدر السلوك المحدد للشكل الظاهر.

(4) هى الوعى الدائم التشكل والتشكيل بما يسمح باحتواء المعنى – إذ يكونه– وإطلاقه بما تيسر وتناسب من أدوات.

(5) هى إبداع الذات المتجدد إذ يصاغ فى وجود قابل للتواصل.

(6) هى: تجلى المعنى فى تركيب قادر على التماسك فى وحدات متصاعدة.

(7) هى: حركية المخ البشرى فى كليته البالغة التنظيم، البالغة المطاوعة فى آن.

(9) هى: 'علاقة نزاعية بين متحايلين (ممارسة الحيل للتغلب على خصم تواصلى)'.

(10) هى: 'تبادل غير مستقر لمن يمسهم الأمر الذين بوصفهم مشاركين فى خطاب علمى يختبرون مزاعم صلاحية معاييرهم".

(11) هى: مشروع متجدد وليست خطابا محددا.

* * *

ألسنة كثيرة، ومثل أن اللغة أصل لعلوم عديدة، وليست أداة لغيرها من العلوم، وهكذا، لكننى أشعر أنه من المفيد التأكيد على أهم مناطق النفى قبل أن أستطرد إلى تقرير ما ينبغى إثباته:

فاللغة ليست إضافة لاحقة لظاهر الوجود الفردى أوالجماعي

وهى ليست أداة للاستعمال الظاهرى

وهى ليست كيانا مستقلا عن الوعى، ولا عن الوجود ولا عن المخ

وهى ليست الكلام طبعا

فاللغة "لم تعد تمريرا جيد التقنين وخاليا من التشويش لنقل العلامات من يد ليد"

إذن ماذا هى اللغة التى سوف أتحدث عنها ؟

(1) هى:ذلك الكيان البيولوجى الراسخ/المرن/ المفتوح فى آن، القادر على تفعيل المعرفة فى الوعي.

(2) هى: الوجود البشرى نفسه فى أرقى مراتب تعقده وفاعليته.

(3) هى: التركيب الغائر لمصدر السلوك المحدد للشكل الظاهر.

(4) هى الوعى الدائم التشكل والتشكيل بما يسمح باحتواء المعنى – إذ يكونه– وإطلاقه بما تيسر وتناسب من أدوات.

(5) هى إبداع الذات المتجدد إذ يصاغ فى وجود قابل للتواصل.

(6) هى: تجلى المعنى فى تركيب قادر على التماسك فى وحدات متصاعدة.

(7) هى: حركية المخ البشرى فى كليته البالغة التنظيم، البالغة المطاوعة فى آن.

(9) هى: 'علاقة نزاعية بين متحايلين (ممارسة الحيل للتغلب على خصم تواصلى)'.

(10) هى: 'تبادل غير مستقر لمن يمسهم الأمر الذين بوصفهم مشاركين فى خطاب علمى يختبرون مزاعم صلاحية معاييرهم".

(11) هى: مشروع متجدد وليست خطابا محددا.

* * *

والوعى عملية، وفى نفس الوقت هو وساد ومنظومة ومستوى:

يقول هنرى إى '...أن تكون واعيا هو أن تعيش تفرد خبرتك حالة كونها تتحول إلى حضورها المعرفى الشامل"

والعلاقة بين كل من الوعى واللغة هى علاقة وثيقة حتى لتوحى بالتماثل، وبالرغم من ذلك فهما ليسا واحدا، فرغم اتفاقهما فى أن كلا منهما(ا) عملية،(ب) تخليق وتشكيل (ج) منظومة(ء) ملتحمة بما تحتويه، فإن ثمة فروقا ضرورية لابد من التنبيه عليها مثل:

إن اللغة توليد ذو وحدات أوفر كثرة وأنشط تشكيلا وأحضر إبداعا وأقدر حوارا

فى حين أن الوعى هو أكثر منظومية، وأعمق رسوخا، وأطول زمنا، وأجهز تنسيقا

فاللغة هى وحدة الوعى وفى نفس الوقت هى تشكيلاته المتداخلة القادرة على الإفصاح المعرفى دون إلزام بافصاح محدد

والوعى هو كلية اللغة حالة كونها منظومة مستقرة نسبيا.

ومن هنا فإن تشكيل الوعى يعتمد بالضرورة على ما تتصف به اللغة من قوة وضعف، وإحكام وترهل، وإبداع وتناثر

وقبل أن نختتم هذا التقديم المبدئى، لا بد من توضيح أن اللغة ليست كيانا داخليا منفصلا كما يمكن أن يكون قد أثاره كل هذا التجذير لماهيتها، كذلك الوعى.

فعمليات اللغة وتشكيلات الوعى كلها مرتبطة بما تتغذى به من معلومات، وما تمارسانه من إبداع تواصلى وحوار نزاعى.

وأجده مناسب أن أوضح بشكل ما علاقة اللغة والوعى بكل من المنهج العلمى والثقافة، ومن ثم الثقافة العلمية. فمن ناحية فإن اللغة وعلومها تقود وتثرى المنهج العلمى عامة (فهى لا تتبعه، كما أنها ليست مجرد أداة له)، ومن ناحية أخرى فإن الحكاية (المعرفةالحكائية) قد بدأ الانتباه المنهجى يعيد إليها موقعها المناسب فى المنهج العلمى، حتى راحت تنافس (أو تتفوق على) المنهج القياسى، رغم أنهما يكمل أحدهما الآخر، المعرفة الحكائية عادت تؤكد أنها لغة لها مشروعيتها ومصداقيتها الخاصة، ويمكن الرجوع فى ذلك إلى فرانسوا ليوتار فى 'ما بعد الحداثة".

أما علاقة كل من اللغة والوعى بما هو ثقافة، فهذا أمر لا يحتاج إلى تبيان، ونكتفى بالتذكرة بأن الثقافة هى الوعى العام وقد تشكل من واقع إبداعات كل اللغات المتاحة بمنظوماتها الغائرة، ثم الظاهرة، فى تشكيلاتها المتنوعة. والمثقف: هو ذلك الشخص الذى صار وعيه الخاص فى متناول إدراكه حالة كونه ملتحما مع، ومتداخلا فى: الوعى العام، ومن هذا المنطلق يصبح كلا من اللغة والمنهج والوعى العام فالخاص هى محركات الثقافة، بل هى هى .

الكتاب العربي "وفي أنفسكم" - الإصدار الثامن

إسم الكتاب: "العربية" و علوم النفس

المؤلف: أ.د. يحيى الرخاوي

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=86&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB8RY2014-Content.pdf

البدء من العربية

لا الاقتصار على: الترجمة أو التعريب

- **أولا: تصدير**

اللغة هي الأصل، وهي التركيب الغائر للكيان البشري، والكلام أحد مظاهرها، ونحن حين نتكلم عن التعريب نركز على الكلمات، الأصوات اللهجات، وكأن القضية هي هذه، و الأمر ليس كذلك.

ولا بد- إذن- أن نبدأ من حيث ينبغي، من النظر في التركيب الكلى لجوهر قوم لهم ثقافتهم الخاصة، وطريقة صياغتهم للكون من حولهم: تلقائيا، وإصدارا.

وفي مسألة تعريب الطب: لاحظت أن التركيز كل التركيز يكاد يكون منصبا على فعل الترجمة، الأمر الذي يبدو أحيانا وكأنه وضع للألفاظ المعجمية المقابلة بجوار بعضها، وقد يصح هذا في الجهاد لتسمية بعض المصطلحات، وخاصة تلك المصطلحات التي تصف أجزاء هي متجزئة بطبيعتها، مثل إسم عصب منفرد أو فقرة عظمية بذاتها، لكن المسألة تختلف تمام الاختلاف حين تكون وصفا إكلينيكيا لمرض أو متلازمة بذاتها، وصفا يخرج من تركيبة عقل ذي بنية أخرى، لها ما يميزها، ليس بمعنى الاختلاف وإنما بمعنى التفرد، عقل يعمل فيإطار ثقافة خاصة به، ليخطب البشر كافة – عبر بنى ثقافته– بشيء له معنى حقيقي.

ويبلغ التحدي أقصى مداه حين يكون هذا المرض " معتقد " أو ما هو " وجدان " أو بكل ذلك، مثلما هو الحال في الطب النفسي. لكل ذلك: فإن هذه الورقة إنما تؤكد على ضرورة الانتباه إلى أننا ونحن نسعى جاهدين لمما أسميناه خطأ "تعريب الطب " قد نكون مجرد مترجمين لثقافة أخرى، من سياق آخر، له تاريخ آخر، الأمر الذي سيصنع منا الأوعية مع اختلاف المحتوى لونا فقط (لا حركة ولا توجيها)، وهذا ما عنيته بتسطيح الوعي. ولا يحتوى هذا الكيان الوعائي (المعرب) إلا ما هو: رص معرفي متباعد بعضه عن بعض، ننطقه بأصوات مألوفه لنا (أو لبعضنا) نسميها "لغة عربية"، فنسمى ما نفعله تعريبا، وهذا هو ما أشرنا إليه بتعبير"اختزال المعرفة"، وأعنى به اختزال المعرفة إلى مفرداتها المتباعدة.

والرأي عندي أنه إذا كان هذا أو ذاك هو غاية حركة التعريب، فلا داعي لها ولا جدوى منها، والأولى بنا أن نرضى بالصوت الأعجمي الذي قد يوصل لنا كلية معرفية حتى على حساب تركيبنا اللغوي.

وبالتالي، وإذا أصر بعضنا على أن يكون الصوت عربيا: فلتكن التسمية "ترجمة الطب إلى العربية"، وكأن الطب ولد أعجميا ونحن نصبغه بظاهر ألفاظنا!!! وهذا أمر ليس به– في نظري– ما يستدعى بذل أي جهد صادق في اتجاهه.

أما المسألة التي تستأهل جهدنا وتوجهنا جميعا فهي أن المعرفة الطبية هي أصل في المعرفة الإنسانية بكل لغة وتركيب، ونحن نبحث فيها من منطلق تركيبنا اللغوي، فنتعرف على حقائقها في سياق ثقافتنا، وكلية بنيتنا، وهذا بالذات هو ما يحتاجه الآخرون منا: إن أهل اللغات الأخرى ينقصهم بعض ما عندنا (تركيبات وكليات وسياقا)، كما ينقصنا ما عندهم سواء بسواء، وحين يبدأ كل كيان بما هو، فإنه يصبح قادرا على أن يضيف ليس فقط إلى ما هو، وإنما إلى من يتحاور معه من ثقافات وحضارات ولغات أخرى.

ومن هذا المنطلق تصبح الترجمة هي تسهيل للمواصلات بين هذه البنيات اللغوية المتميزة والمتحاورة، وليست تلونا لنفس الشيء المغترب عنا بألوان نحسب أنها نحن، وهي ليس إلا طلاء محايدا فاسدا.

وهذه الدراسة تتناول مخاطر هذه المسألة، وبعض تساؤلات عامة مع محاولات إجابة، ثم هي تعرض مثالا من خطر ترجمة العلوم الطبية النفسية، وإن كان لا ينطبق على سائر العلوم الطبيعية إلا أنه يجسد فكرة هذه الأطروحة بشكل أو بآخر.

- **ثانيا: تساؤلات مبدئية**

خطر ببالي أن أعرض هذه التساؤلات دون أن أجيب عليها، وأن تكون من بين ما يطرح في حلقة النقاش التالية، وخاصة أنني لا أملك تماما الإجابة علها، فكل إجاباتي هي اجتهاد محدد، قد يصل إلى درجة الفرض وقد لا يصل، لكنني عدت فوجدت أن من الأمانة ما دام عندي مشروع إجابة، حتى ولو لم يكتمل، فإنه لابد أن يكون في متناول المهتمين بالأمر، وخاصة وأنا أعرف أن الوقت لن يسمح بعرض أية تفاصيل حول بعض هذه القضايا، ناهيك عنها جميعا.

وقد جمّعت التساؤلات في مجموعات، وإن كنت قد لاحظت التداخل على الفور، لكنى لم أعمد إلى إلغاء هذا التقسيم التقريبي حتى بعد أن بعد عنى ما يبرره.

المجموعة الأولى

1– هل المسألة هي مجرد تبديل ألفاظ مألوفة بألفاظ أعجمية واردة؟

2– هل نتناول القضية بتساؤل عن:

ما هو الأسهل وما الأصعب؟

أم: ما هو الألزم وما هو الأخطر

(ولا أقول: ما هو الأنفع وما هو الأتفه)

– هل المسألة هي: تعريب الطب أم تعريب دراسة الطب، أم دراسة الطب العربية

المجموعة الثانية

4– هل هناك فروق جوهرية (ثقافية وحضارية) بين من يتكلمون الإنكليزية بوجه خاص (كممثل للسان الأعجمي الأنجلوسكسونى) وبيننا نحن الذين بتكلم اللغة العربية؟

5– هل هذه الفروق– إن وجدت– هي فروق لغة أم أنها فروق تاريخ، ودين (وموقف إيماني) وأهداف وأعراف مختلفة إلخ؟

6– هل المسألة هي مسألة تعصب قومي لإحياء تاريخ مجد قديم، أم أنها مسألة إتاحة فرصة لحوار حضارات وإسهام بشرى متضافر؟

المجموعة الثالثة

7– ماذا عن ضرورة التواصل بين العلماء بلسان واحد؟

8– من ينقل من من؟ ومتى؟ ولماذا؟

9– لماذا كان عصر محمد على باشا. يدرس الطب بالعربية؟ وهو الذي لا يجيد العربية أصلا؟

المجموعة الرابعة

10– هل مازالت غاية مرادنا هي نموذج ما يسمى عصر التنوير؟

11– ماذا عن المستقبليات وأين تقع اللغة العربية بمنظور علوم المستقبل؟

12– ماذا عن العلاقة بالدين (الإيمان) عامة والإسلام خاصة؟

المجموعة الأخيرة

13– هل للعربية سمات خاصة يمكن أن تضيف إلى العلوم، الإنسانية خاصة

14– هل الطب علم إنساني إمبريقى أم هو من العلوم التجريبية المحكمة؟ وما تأثير التدريس العربية في ترجيح أحد النوعين على الآخر

15– هل يتغير المنهج العلمي بتغير اللغة أم أن المسألة هي مجرد تغيير ألفاظ

16– هل يستعيد العقل العربي استقلاله وحريته إذا درس وتكلم وبحث بالعربية؟ أم العكس:

الكتاب العربي "وفي أنفسكم" - الإصدار التاسع

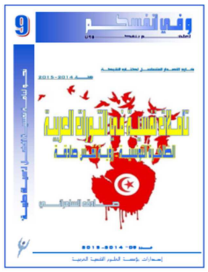

إسم الكتاب: " تأملات نفسية في الثورات العربية

المؤلف: صادق السامرائي (العراق)

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=25&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB9SS2014-Content.pdf

عاش الشعب التونسي!!

"إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر"

هكذا صدح أبو القاسم الشابي في القرن الماضي , واليوم عبر الشعب التونسي الثائر عن معنى القول بالفعل والإرادة الإنسانية الحية الصادقة .

فلا توجد أخبار سارة في عالمنا العربي ولا تتحقق أحداث تبعث الأمل والقوة والحياة , وإنما هو اليأس والقنوط والخنوع وعدم الثورة بوجه الظلم والطغيان وإغتصاب الحقوق والإمتهان. نعم , لا توجد أخبار مفرحة , بل الجميع قد إستلطف الحزن والألم والإذعان والدموع وجلد الذات والموضوع , والتمتع بالتبعية والذل والتهليل للكراسي والطغاة الظالمين , الذين لا يأبهون لمصالح الناس ويحسبون أنفسهم فوقهم وضدهم ويحمون أنفسهم منهم , ويتمسكون بالكرسي إلى حد الجنون والوسواس, وتتعاظم في رؤوسهم الشكوك والمخاوف والهواجس , حتى يغادرون مرابض المظالم أذلة مطرودين من الوطن والتاريخ ومكروهين من الشعب.

وفي هذا الزمان المهان , ينهض الشعب التونسي بثورته الجماهيرية الحقيقية ويعلن التعبير عن إرادته بالتفاعل الوطني المتماسك من أجل صناعة الغد الذي يطمح إليه.

هذا الشعب الذي يستحق كل التقدير والإحترام والإسناد المعنوي والثقافي , لأنه قد أوقد شعلة الأمل في نفوسنا وأثبت أن الأمة حية وقادرة على صناعة المستقبل اللائق بها وطرد قوى الظلام والإمتهان. فقد قام بأول ثورة شعبية أصيلة أنجزت أهدافها وأزاحت طاغية بفعل جماهيري إنساني حقيقي. الشعب التونسي العربي المتطلع إلى مجد الحياة وعزتها , وإلى تفاعل معاصر وإنطلاقة إنسانية منيرة , نقدم له الإعجاب والشكر , ونفخر به لأنه بعث الأمل في القلوب وأخرج أبناء الأمة من أسر اليأس والقنوط والخنوع والإذلال.

الشعب التونسي العربي الباسل , قدم مثلا إنسانيا حضاريا ديمقراطيا رائعا للتعبير الصادق عن الإرادة والقوة , والسعي الشعبي الجماعي المتكاتف ضد مَواطن الظلم والقهر والتنكيل ومنع الفرص وحرمان الناس من حقوقها , وعدم مساعدتها على صناعة حياتها والتمتع بخيرات بلادها , وما فيها من الموارد الطبيعية التي من حقها أن تتمتع بها.

الشعب التونسي العربي الثائر قد فتح بوابة المستقبل العربي , وأخرج الإنسان من محنته وورطة اليأس والعجز , وأعطاه الآليات والقدرات والعزم على أنه يستطيع تحقيق التغيير الذي يريد , إذا إنطلق بكل ما فيه من الطاقات الوطنية الساعية إلى بناء حالة الحياة الجماعية , التي تضع مصلحة المجتمع والوطن فوق المصالح الفردية والشخصية والفئوية.

الشعب التونسي المقدام قد حقق ما يجب أن يحققه كل المجتمع العربي النائم تحت وطأة التنكيل به وبقيمته ودوره , والذي تم مصادرة حريته ورأيه وثرواته وتحويله إلى قطيع مدجّن في حلبات الكراسي المقبوض عليها من قبل الطامعين بالبلاد والعباد.

الشعب التونسي صنع ملحمته في بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين , ولا بد للعرب في كل مكان أن يحذو حذوه لكي يؤسسوا لوجودهم الصحيح . فلا يمكن أن يكون العرب إن لم ينبعث التغيير من أعماق المجتمع , ويتم التعبير عن الإرادة الحرة الواعية المنطلقة نحو آفاق الفضيلة والحياة الواعدة الآمنة , التي تراعي مصالح الأجيال وترتقي إلى مستوى طموحات كل إنسان عربي يحلم بالحرية والديمقراطية والقيمة والقوة.

نعم لقد أوقد الشعب التونسي الأمل في قلوب العرب ورسم خارطة صيرورتهم وأصبحوا على يقين بأن الشعب إذا اراد فأنه يكون , وإذا بقي خانعا مسلوب الإرادة فأنه يبقى هدفا لكل ظلاّم أثيم , ولقمة سائغة للطامعين الجشعين.

فهل من نهضة عربية بعزم الإرادة التونسية وتطلعات شعبها المكافح الأبي الحي الطامح نحو المستقبل الزاهر السعيد.

هكذا أراد الشعب التونسي الحياة الحرة الأبية فإستجاب له القدر وتفاعلت معه إرادة الخير والكرامة والإنسانية.

فتحية للشعب لتونسي العربي الذي فتح بوابة التفاؤل والقدرة على التعبير الأصدق عن الإرادة العربية الفاعلة المنيرة المشرقة.

فهل ستستيقظ مجتمعاتنا من رقدة العدم وترتقي إلى مستوى حقيقتها ودورها الحضاري , وتتخلص من طغاتها ومستبديها والجاثمين على صدورها من أصحاب الكراسي المسخرين لتحقيق أهداف الآخرين.

وما هي إلا ظاهرة تونسية عفوية إنطلق بها الإنسان العربي الواعي من "سيدي بوزيد" وستشمل جميع البلاد العربية حتما , ولا خيار إلا للرضوخ لإرادة الشعب وتحقيق إنسانيته وقيمته وكرامته ودوره الحر في الحياة.

الكتاب العربي "وفي أنفسكم" - الإصدار الحادي عشر

إسم الكتاب: سكينة الايمان

المؤلف: محمد كمال الشريف (سوريا)

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=81&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB11KS2015-Content.pdf

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين..... والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: هذه تأملات طبيب نفسي، وقارئ لعلم النفس مسلم، في أمور تهم المسلم المعاصر، جمعت فيها بين المنظور الديني والنفسي العلمي بالقدر الذي فتح به علي ربي.

وأكثر هذه الفصول القصيرة نشرت في رمضان الماضي (1415 هـ) على صفحات الملحق الديني لصحيفة "الإتحاد" الصادرة في "أبو ظبي"، ثم أعدت كتابتها موسعة قليلاً، وقرأتها على الأخوة المستمعين من إذاعة الإمارات العربية المتحدة من "أبو ظبي" خلال شهري أغسطس (آب) وسبتمبر (أيلول) سنة (1995 م) من خلال برنامج "أنوار الإيمان".

ومن هذه الفصول ما سبق نشره على صفحات مجلة "منار الإسلام" التي تصدرها وزارة الأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، وقليل آخر ينشر في هذا الكتاب لأول مرة.

وقد كانت نيتي أن أقوم بالتوسع في هذه التأملات، بحيث تكون بمثابة دراسة وافية مشبعة في موضوعاتها، ولكنني أنشرها اليوم لعلمي أنه قد تمر عدة سنوات قبل أن أتمكن من إنجاز التوسع الذي أرجوه فيها، وللتشجيع الذي لقيته ممن قرأها، وهي مقالات على صفحات جريدة "الإتحاد"، أو مجلة "منار الإسلام"، أو استمع إليها من إذاعة "أبو ظبي".

وكان الثناء والتشجيع صادرين من أهل علم وخبرة، كالأستاذ واصف باقي، والشيخ أحمد الموسى، والشيخ حمد رقيط... أما الأستاذ إسماعيل الفخراني مسؤول الملحق الديني بجريدة الإتحاد، فكان أول من أشار علي بجمع هذه المقالات في كتاب، ثم كان بعدها بأيام أن حثتني الأخت الكريمة، والزميلة الدكتورة إيمان محمود القماح، المختصة في علم النفس الإكلينيكي (أي: التشخيصي والعلاجي) على نشرها في كتاب، وكان رأيها أن المقالات مفيدة بوضعها الحالي، وتسد ثغرة قائمة، ولا بأس من توسيعها عندما يمكن ذلك...

فاستشرت صديقي وزميلي الدكتور عبد الرحيم حسين هويدي، فكان جوابه على الفور مؤيداً للفكرة، ومبدياً رغبته في تقديم الكتاب إلى الأخوة القراء، وذلك فضل من الله علي أن يتحمس لكتاباتي رجل في خبرة الدكتور هويدي، ومعرفته الواسعة في العلوم النفسية، وبخاصة علم النفس الإكلينيكي.

فاستخرت الله سبع مرات، ووجدت انشراحاً في صدري لإصدارها في كتاب قبل توسيعها كما كنت أحب. ولعل في بقائها فصولاً صغيرة ما يجعل قراءتها أسهل وأمتع في عصر الانشغال والاستعجال الذي نعيش فيه، إذ يمكن للقارئ الكريم أن يقرأ فصلاً خلال بضعة دقائق، ويترك الكتاب إن شاء ليعود إلى فصل مستقل إلى حد ما في مناسبة أخرى، إلى أن يتم الكتاب كله.

وأحب أن أقص عليكم كيف أنني أبديت رغبتي في الاستزادة من علم النفس والتخصص فيه إن أمكن لصديق لي، وذلك عندما كنت طالباً في كلية الطب البشري، فكانت نصيحته لي أن أبتعد عن علم النفس، لأنه بظنه قد يقود إلى الكفر، لكنني بعد هذه السنين الطويلة

من القراءة في علم النفس، والعمل في الطب النفسي، أقول لكم: إنني كلما ازددت من علم النفس المعاصر، ازددت إيماناً بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

ولعل فصول هذا الكتاب – على ما فيها من اختصار– تبين لكم مدى التناغم والانسجام بين الثابت من علم النفس المعاصر وبين الفهم السليم لنصوص القرآن والسنة.

إنها آيات الله في الأنفس تشهد بعظمة الخالق، كما تفعل آياته في الآفاق .... فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الكتاب العربي "وفي أنفسكم" - الإصدار الثاني عشر

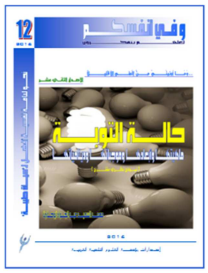

إسم الكتاب: حالة التوبة

المؤلف: محمد سعيد أبو حلاوة (مصر)

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=87&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB12MS2016-Content.pdf

ملخص الدراسة

الملخص العربي

تناولت الدراسة مفهوم التوبة من المنظور النفسي كعملية وحالة نفسية قوامها الإنابة والرجوع إلى الله يصاحبها تغير في وجهة التفكير ومساره وتأنيب للذات وشعور بالندم في علاقتها بالإيمان مع وضع تصور للتغيير الذاتي والالتزام به، وافترضت الدراسة أن التوبة والإيمان وجهان لعملة واحدة، فإذا كان الإيمان حالة معرفية ووجدانية وسلوكية قوامها تسليم الشخص وانقياده لله تبارك وتعالى وتعهد إرادي بإنفاذ مشيئته سلوكيًا، فإن التوبة تجديد على الدوام لهذه الحالة في سياق مسار الحياة الإنسانية التي لا تسلم من إمكانيات ارتكاب المعاصي والذنوب.

وانطلقت الدراسة من التسليم بأن التوبة كعملية نفسية تحرر الإنسان من عبوديته للذات والظرف والسياق، وتوصل إرادته الحرة في نظم وجهة ومسار حياته مع الانفتاح على الدوام للمراجعة والتطهير والتزكية للذات.

وسلمت الدراسة بأنه على الرغم من أن التوبة الحقيقية لا تعرف إلا بتجلياتها السلوكية خارجية الوجهة Externalizing Expressions، إلا أنها وفي المقام الأول عملية نفسية داخلية Internalizing Process يتعذر فهمها دون تبين ديناميات الدفع باتجاهها والتحولات النفسية الداخلية المصاحبة لها.

واستهدفت الدراسة تحديد ماهية مفهوم التوبة وأبعاده ومساراته وديناميات تشكيله، وعلاقاته ببعض المفاهيم النفس دينية الأخرى كالرجاء والإحسان والحياء والضمير والتسامح ومحاسبة الذات.

كما تعرضت الدراسة لوصف ملامح شخصية التائب قبل وأثناء وبعد اتخاذ قرار التوبة وإنفاذ مضامينه السلوكية، ثم قدمت الدراسة نموذجًا نظريًا مقترحًا يمكن بموجبه وصف وتفسير حالة التوبة من الوجهة النفسية، انتهت الدراسة بوصف القيمة والوقائية والعلاجية للتوبة في مجال الصحة النفسية والإرشاد والعلاج النفسي.

الملخص الأجنبي

The title: repentance State: It's essence, dimensions, Necessities, and It's Dynamics. "Propoesd model"

The study dealt with the concept of repentance from the psychological perspective as a process and Psychological state to strong representation and return to God accompanied by a change in the point of thinking and path, The reprimand of the self and a sense of remorse in relation to the faith with a vision of self-change and commitment. The study assumed that repentance and faith are two sides of the same coin, if the faith cognitive, emotional and behavioral case-strong delivery person and Ankiedh God, the Almighty and vowed to involuntary his will behaviorally enforcement, the repentance renew constantly to this case in the context of human life that are not spared from the potential of committing sin and guilt path. The study was launched from the recognition that repentance human psyche as a process of liberation from bondage of self and circumstance and context, and established his free will hand and in the course of his life systems and with openness to constantly review and cleansing and Testimonial of the self. The study aimed to

determine what the concept of repentance and its dimensions and its tracks and the dynamics of composition, and its relations with some religious concepts as hopfulness and charity and modesty, conscience, tolerance and self-accounting. The study also came to describe the features of a personal repentant before, during and after the decision of repentance and the enforcement of its contents

behavioral, and then study provided a theoretical model a proposal under which description and interpretation of the state of repentance from the psychological point of view, the study concluded by describing the value and preventive and curative for repentance in the field of mental health and counseling and psychotherapy.

الكتاب العربي "وفي أنفسكم" - الإصدار الرابع عشر

إسم الكتاب: أعلام العرب في علوم النفس . 1

المؤلف: د. عبد الرحمان إبراهيم (مصر)

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=219&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB12MS2016-Content.pdf

ابـن باجـة

ابن باجّة Ibn Bajja (Aven Pace) (..... - 533هـ/.... - 1138 م) أبو بكر محمد بن يحيى التُجيبي السرقُسطي، الملقب بابن باجّة (الباجّه بتشديد الجيم هي الفضة بلغة الفرنجة الأندلسيين)، ولعل أسرته كانت تشتغل بالصياغة، فعُرف بابن الصائغ، ولد في سرقُسطه Zaragoza بإسبانيا الإسلامية..

يعتبر ابن باجة من الفلاسفة العرب الأعلام الذين ظهروا في الأندلس في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد, ألم بعلوم الثقافة الاسلامية في عصره، وبعلوم اليونان، واشتهر بتضلّعه في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك والموسيقى ونظم الشعر, وكان محل تقدير العلماء والمؤرخين. فقد اعترف بفضله ابن القفطي, وابن أبي أصيبعة, وابن خلدون, والمقري, ولسان الدين الخطيب, وغيرهم وقالوا عنه إنه علامة وقته ومن أكابر فلاسفة الإسلام. ولقد بلغ الغاية في بعد الصيت والشهرة والذكر الواسع العريض ونال إعجاب ابن رشد وابن طفيل. جاء في كتاب (حي بن يقظان) عند التعرض لأهل النظر (ان ابن باجة كان ثاقب الذهن صحيح النظر صادق الرؤية...).

وضع ابن باجة كثيرا من المؤلفات, في أرسطو وشروحه, والمنطق, والطب, والهندسة, والنبات والأدوية المفردة,

والفلك, والنفس, والعقل. ولسوء الحظ ضاع معظمها وبقي منها رسائل وصفحات في ترجمات لاتينية وعبرية. وله كتاب عثر عليه أخيرًا في مكتبة برلين. قال عنه د.عمر فروخ: (غير أن الدهر لم يشأ أن يقسو على ابن باجة كثيرا فإنه قد حفظ لنا مخطوطة عظيمة الفائدة في مكتبة برلين العامة تقع في 440 صفحة).

وهذا المخطوط قد غير أحكام العلماء على ابن باجة, وأزال الغموض عن بعض النقاط وألقى نورا على تراثه وآرائه.

عمل أكثر من عقدين من الزمن كاتبا ووزيرا لأبي ابراهيم بن تيفلويت المسرفي صهر علي بن يوسف بن تاشفين، وبعد وفاة ابن تيفلويت عام 510هـ / 1116م، وقيل بعد سقوط سرقُسطه Zaragoza بيد ألفونسو الاول ملك أرغون Aragon عام 512هـ / 1118م، غادر ابن باجة الى جنوب الاندلس، فسكن المريّة وغرناطة ثم رحل الى فاس، وفيها اتهم بالالحاد ومات مسموماً.

كان بينه وبين بعض الاندلسيين خصومة شديدة، فقالوا إنه: (قذى في عين الدين وعذاب لأهل الهدى). ومن هؤلاء الفتح بن محمد بن خاقان (528هـ/1134م) الذي حمل على ابن باجة بعنف واتهمه بالالحاد في كتابه "قلائد العقيان" وجاء في هذا كتاب (وقد اشتهر ابن باجة بين أهل عصره بهوسه وجهوده واشتغاله بسفاسف الأمور, ولم يشتغل بغير الرياضيات وعلم النجوم, واحتقر كتاب الله الحكيم وأعرض عنه. وكان يقول إن الدهر في تغير مستمر وأن لا شيء يدوم على حال, وإن الإنسان كبعض النبات والحيوان, وإن الموت نهاية كل شيء...).هذه الأقوال التي نسبت إلى (ابن باجة) دفعت بعض منافسيه ممن أعماهم الحسد والجهل إلى اتهامه بالزندقة والسعي الى قتله والتخلص منه.. ومن خصومه أيضا ابن البطليوسي تلميذ الفتح بن محمد بن خاقان وكثير من كتاب الدولة والاطباء ومنهم الطبيب المشهور أبا العلاء ابن زهر (557هـ/1162م) الذي قيل أنه احتال على ابن باجة حتى وضع له السم في أكلة باذنجان(533هـ/1138م).

تخصص في علمين اثنين، هما: علم النفس والعلم الطبيعي.

و رأى أن الإنسان والحيوان غير الناطق يتشاركان، في النفس الغاذية والمولّدة والنامية، وفي الإحساس والتخيل والتذكر، غير أن ميزة الإنسان عن كل المخلوقات والكائنات والجمادات هي القوة الفكرية، وهي التي تصنع منه إنساناً وتوجب له صفة النطق. ولابن باجة في علم النفس رسائل "في البحث عن النفس النزوعية" و"في النفس".

ابن باجة فيلسوف, بنى فلسفته على الرياضيات والطبيعيات, وهذا ما أراد الفيلسوف الألماني كانت أن يسير عليه في فلسفته. ومن هنا يرى بعض الباحثين أن (ابن باجة خلع عن مجموع الفلسفة الإسلامية سيطرة الجدل, ثم خلع عليه لباس العلم الصحيح وسيره في طريق جديد...). وكذلك فصل الدين والفلسفة في البحث, فهو بذلك أول فيلسوف في العصور الوسطى نحا هذا النحو. ويقول د.فروخ: (... لما وقف ابن باجة – كما وقف من سبقه من فلاسفة الإسلام – أمام مشكلة الخلاف بين الشريعة والحكمة, نتجت له عبقريته أمرا مهما جدا. ذلك بأنه ليس من الضروري أن يهتم بأمر لم يستطع أحد من قبله أن يبحث فيه. من أجل ذلك لم يتعرض ابن باجة للدين بل انصرف بكليته إلى الناحية العقلية...).

وحياته لم تكن هادئة سعيدة, بل كانت حافلة بالقلق والاضطراب, فلم يجد في عصره أنيسا يشاطره آراءه (وكان يرى نفسه أنه في وحدة عقلية...)

فلسفة ابن باجة

يعتبر ابن باجّه أول الواقفين في الأندلس والمغرب على فلسفة المشائين فشرح قضاياها، ومن أشهر تلامذة ابن باجّه أبو الحسن علي بن الإمام وابن رشد الذي ذكر في كتابه "النفس" بعضا من آراء ابن باجة، واعترف بفضله في حقل الفلسفة.

عمد ابن باجة إلى العودة بالفلسفة على أصولها الأرسطية كما هي في كتب أرسطو، مبتعدا عن أفكار العرفان والأفلاطونية المحدثة . وهو بذلك أحد أفراد التيار التجديدي الأندلسي الذي حاول فصل الأفكار العرفانية التي اختلطت كثيرا بالفكر الإسلامي ، والذي بدأ بمشروع ابن حزم الذي عمد إلى تأسيس منهج العودة إلى الأصول واستبعاد القياس في الفقه والذي استأنفه ابن رشد أيضا بعد ابن باجة ، حيث عمد ابن رشد إلى فصل نظام البيان الفقهي عن نظام البرهان الفلسفي بمصطلح آخر فصل الدين عن الفلسفة كأنظمة استنتاجيه وربطها عن طريق الغايات والأهداف.

قال ابن باجة في الإنسان: كل حي يشارك الجمادات في أمور، وكل إنسان يشارك الحيوان في أمور، لكن لإنسان يتميز عن الحيوان غير الناطق والجماد والنبات بالقوة الفكرية، ولا يكون إنسانا إلا بها.

وقسم ابن باجة منازل الناس أو "المراتب" إلى:

- المرتبة الجمهورية: وهؤلاء لا ينظرون إلا للمعقول.
- المرتبة النظرية : وهؤلاء ينظرون إلى الموضوعات أولا، وإلى المعقول ثانيا و لأجل **الموضوعات**.
- مرتبة السعداء : وهم الذين يرون الشيء بنفسه.

ويمكن أن نطلق على فلسفة ابن باجة اسم علم الإنسان فقد كان جل ما تناوله فيها يبحث في ميدان الإنسان، والفكرة الأساسية التي أضافها إلى التراث الفلسفي هي ما يتصل باتحاد العقل الفعال بالإنسان.

الأفعال والانفعالات الإنسانية عند ابن باجة

كل ما يفعله الإنسان باختياره هو فعل إنساني، وكل فعل حرّ هو فعل يتم له اختياراً وبالإرادة. وأما الأحاسيس وما يتعلق بها فهي أفعال لا اختيار له فيها كما عند الحيوان. والانفعالات، كالتشهّي والغضب والخوف. والسلوك البهيمي هو ما يتحرك في الحيوان من انفعالات بتأثير النفس البهيمية. والسلوك الإنساني الذي ليس انفعالاً هو الصادر عن تفكير وروية، وسلوك الإنسان فيه البهيمي والإنساني.

مراحل النمو الانساني عند ابن باجة

يمر الإنسان في نموه حالات يكون فيها أشبه بالنبات وبالحيوان. وتحرّكه خلال نموه ثلاث قوى: القوة الغاذية النزوعية، والقوة المنمية الحسّية، وقوة التفكير. في المرحلة الجنينية: يحيى حياة نمائية اغتذائية كالنبات، وبعد الميلاد تكون له حياة حسّية،

وفي مرحلة اليفاع: حيوان حسي ينفعل عن النفس البهيمية، ثم يكون له بالتفكير حياة معرفية عاقلة باستمرار نموه إلى الرشد.

والإنسان قد يتصف بصفة حيوانية كالمكر مثلاً، إلا أن الاختلاف بين الإنسان والحيوان في ذلك، أن المكر في الثعالب مثلاً صفة حيوانية نوعية، ولكنه إن وُجِدَ في الإنسان كان بواحد بعينه، أي يكون به بصفة شخصية وليس بصفة نوعية.

الصور النفسية والحسية

وكل إنسان له في مخيلته صورة حسّية، ونفسية عن نفسه: الصورة الحسية لا يهتم لها إلا الخسيس، وكلما ارتقى الإنسان كان اهتمامه بصورته النفسية وبتكوينه النفسي وليس بمكوناته الجسمية.

وقد يتحدث ابن باجة عن النفس باعتبارها روحاً، ويقول إن النفس والروح اثنان بالقول وواحد بالموضوع. والمعاني الموجودة في النفس هي التي يوجدها الحس المشترك والتخيل والتذكر.

الصور العقلية والحسية: يصف ابن باجة الصورة المتخيلة لجبل أُحُد مثلاً عند مَن لم يره بأنها صورة عقلية، في حين أن صورته عند من يراه بعينه هي صورة حسية، والأولى تتأثر بالقوة المتخيلة وبالتذكر، والثانية قوامها حسي، والأخيرة يطلق عليها اسم الصنم، لأنها جسمية، ويقول إن الحس المشترك فيه صنم المحسوس. ثم تأتي بعد هذه الصورة التي في القوة الخيالية وهي أكثر شرفاً من الأولى وأقل جسمانية، ولها تنسب الفضائل النفسانية. ثم تأتي بعدهما في المرتبة الصورة في قوة الذاكرة.

الكتاب العربي "وفي أنفسكم" - الإصدار العشرون

إسم الكتاب: المدرسة العربية الراهنة... بحسب علي زيعور

المؤلف: د. جمال التركي (تونس)

رابط تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني للمؤسسة

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=413&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apneBooks/eB12MS2016-Content.pdf

تقديم الكتاب: حتى نخرج من عتمة جهالة علوم النفس

نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، طرقت ثورة الاتصالات والمعلوماتية والرّقمنة بعنف أبواب السيكولوجيين العرب، ليستفيقوا على واقع نفساني بائس اتسم بالتشرذم والتقوقع والانغلاق، كلّ يعمل في دائرته الضيّقة في عزلة عن الآخر، كان انقطاع حبل التواصل والتعاون بين السيكولوجيين العرب امرا واقعا، لا المغاربة تصلهم أعمال المشارقة، ولا الخليجيين على اطلاع بإصدارات المغاربة.. كل يسبح في دائرة فلك حدود وطنه،إضافة إلى تدني النشر السيكولوجي الورقي، بالكاد تصدّر كتب أو دوريات أو مجلات في هذا البلد أو ذاك (استثناء مصر ولبنان)، وان وجدت لا تصلنا ولا نعلم عنها إلا القليل، سواء من خلال ما جادت به معارض الكتاب او ما تمكنا من اقتنائه عند زيارة بعض البلاد العربية.

رجت ثورة التواصل والرّقمنة الحارثين في حقول علوم وطب النفس وهزّتهم هزّا عنيفا، **البعض انسحب واتخذ موقفا دفاعيا**، كقول أحدهم اثر محاضرة لي في أحدى البلاد العربية: " احترم جهودك، لكني لا اوافقك ان حصلت ثورة حقيقية في هذا العصر على مستوى التواصل الرقمي الالكتروني، أنا ليس لي كمبيوتر، ولا استعمل البريد الالكتروني ولا أتصفح مواقع الويب، ولا أعتمد إلا على المراجع الورقية!!! "، آخرون أدركوا أن لا خيار لرقي العلوم النفسانية الا الانخراط في هذه الثورة الرقمية، وسعوا للتواجد بفعّالية في الفضاء الافتراضي والعمل على استغلاله أفضل الاستغلال، رقيا بمستوى اللياقة للمواطن العربي وبخدمات الصحة النفسانية والعقلية، والا فان المآل الاندثار تحت أقدام الغالب، القاهر، الماسك بلجام المعرفة والعلوم والتكنولوجيا. فكان ان اقتحم البعض باحتشام وحذر هذا العالم، اهتماماتهم لم تتعد متابعة بعض المواقع والتواصل الالكتروني، في حين ان البعض الاخر اخذوا الأمر بأكثر جدية، اقتحموا العالم الرقمي بقوّة وعزيمة ووعي وارادة وثبات، ولجوا اليه من بابه الكبير، كنّا في " شبكة العلوم النفسية العربية " من بين هؤلاء، سعينا جهدنا لتأسيس فضاء علمي أكاديمي للسيكولوجيين والاطباء النفسانيين العرب على شبكة الويب، عرّفنا فيه بالأعمال العلمنفسانية والطبنفسانية العربية، قدّمنا من خلاله الأعمال البحثية والدراسات، شجّعنا الأنشطة العلمية والندوات والمؤتمرات، ساهمنا في تفعيل الجمعيات والاتحادات من خلال التعريف بأعمالها و مؤتمراتها.

عملنا منذ تأسيس مشروع " شبكة العلوم النفسية العربية" على ان تكون حلقة الوصل المفقودة للتواصل والتعارف والتعاون بين العاملين في حقول طب وعلوم النفس، ليكونوا على اطلاع بمستجدات الاختصاص وبأنشطة أطباء وأساتذة أبعدتهم المسافات، وقرّبتهم ثورة التواصل الالكتروني والعالم الرقمي، ساعين معهم وبفضل تعاونهم لرفع مستوى العلوم النفسانية وخدماتها الصحية، وّفّقنا الى حد ما في التعريف بعلمائنا الاجلاء الذين نذروا حياتهم لخدمة هذا الحقل من العلوم، الذين قدّموا عُصارة فكرهم لنهضة مجتمعاتنا، أنزلناهم المكانة التي هم أهل لها، سعينا الى تكريمهم التكريم الذي جديرون به، كان ذلك رمزيا، لكنه بتقديرنا شديد الدلالة.

عملنا في هذا الاتجاه لعقدين من الزمن، ما كان ذلك بالأمر اليسير، المعوّقات كانت أكثر من أن تحصى، لأسباب عدّة، منها الموضوعي، يتعلّق بسوء التواصل لعدم التحاق العديد من النفسانيين بركب الرقمنة، ومنها الذاتي، يتعلق بالشخصية العربية التي رفضت الانخراط في ركب المعلوماتية، إلى حد اعتبرها احدهم نوعا من المظاهر الاستعراضية التي لا يقدم أو تؤخر شيئا.

منذ تأسيس " **شبكة العلوم النفسية العربية** "**العام 2000** ،كنّا نعتقد أن مشروعا بهذا الحجم في عالم عربي، المفروض ان الذي يجمعه أكثر مما يفرّقه ، لن يجد المعوّقات بحكم وجود أرضية ثقافية وتاريخية مشتركة بين الجميع ولنبل تطلّعاته العلمية، عمليا الوضع كان مختلفا، عديد المعوّقات واجهتنا، اربكت مسيرتنا لفترات ، قدّرنا ألا نتوقف وأن نواصل المسير رغم الأشواك، تحمّلنا ان تدمى أقدامنا لتحقيق المشروع الحلم، الذي عدّه البعض من باب السراب والوهم الكبير، في عالم عربي تطحنه الصراعات، ربّما كانوا مُحقين نسبيّافي إننا لم نكن ندرك حق الادراك الخلافات والصراعات العميقة العربعربية، ومن ان مشرط السياسة فعل فعله في جسد الامة، فمزق اوصال اوطاننا وقسّمها، ربما ايضا لم نقدّر حقيقة المقاومة التي قد يلقاها مثل هذا المشروع العلمي الذي اردناه جامعا لكل التوجهات والمدارس، لكن عزيمتنا وارادتنا كانت اقوى من تحديات مقاومته، وكان التزامنا النأي عن التجاذبات السياسية خيارا أساسيا جنّبنا الكثير من المزالق، احترمنا قناعات الاشخاص وحرّياتهم الفكرية والايديولوجية، وفّقنا في لم شمل العاملين في حقول علوم النفس من أطباء وعلماء بشهادة من خالفنا الرأي قبل من اتفق معنا.

وسط مناخ عربي شديد التعقيد، سعينا وُسعنا لاداء رسالتنا بامانة وحيادية ومهنية، مرحّبين بكل من مدّ يده إلينا، تعاونّا مع من رغب في التعاون، من تجاهل واستخفّ بالمشروع أو همّشه، اكتفينا بالهجر الجميل والابتعاد عنهم، شعارنا ان كل يعمل على شاكلته وربّكم أعلم بمن اهتدى.

خلال عقدين كاملين ، وفّقنا في تحريك مياه العلوم النفسانية الراكدة في أوطاننا، حقّقنا التواصل بين أهل الاختصاص، رفعنا نسبة الأعمال العلمية باللغة العربية، ساهمنا في ترسيخ المصطلح النفساني العربي والتعريف به، أبرزنا للعالم أعمال مفكّرينا الذين ترقى أعمالهم إلى مستوى العالمية، أزلنا الغبار عن كنوز من المعارف العلمية كانت مهجورة على الرفوف وقدمناها للعالمين، انتفعنا بها ونفعنا بها.

في هذا الإطار يتنزّل سعينا إصدار هذا الكتاب، الذي يعرّف بالأعمال العلمية **لقامة كبرى من أهل الاختصاص**، نقدّر أن أعماله لم تلق ما هي أهل له من الاهتمام في الأوساط الاكاديمية السيكولوجية العربية، عملنا من خلال هذا الكتاب إلى تقديم ملخصات كنوز المعارف السيكوتحليلية لاعماله والتعريف بها لدى المختص والمثقف العربي، مما نعتقد انه سيساهم بشكل كبير في تجاوز حالة الوضع المتردي لما عليه البحث النفساني العربي, ولاحقا في رفع مستوى اللياقة النفسانية وخدمات الصحة الإنسانية في أوطاننا.

إنها **أعمال البروفسور** " **المعلم" علي زيعور**، استاذ الفلسفات و النفسانيات، والعلاّمة المرجع في التحليل النفساني للشخصية العربية التى كبّلتها الصراعات والعقد، فاربكتها وأحبطتها وأقعدتها، واعاقت انطلاقتها الحضارية، شاكرين له كرم الاطلاع على هذا العمل وابداء الرأي حوله، الذي سيصدر ضمن سلسلة الاصدارات الرقمية لشبكة العلوم النفسية العربية، له منّا كل الاعتراف بالفضل والتقدير سائلين الله أن يجزيه عنّا ما هو أهل له من خير الجزاء، لما قدمه لأمته وللإنسان في العالمين

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين"

د. جمال التركي- الطب النفساني (تونس)

رئيس مؤسسة العلوم النفسية العربية

الكتاب العربي "وفي أنفسكم" - الإصدار الثالث والعشرون: 2021

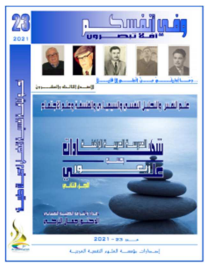

إسم الكتاب: شهادات ... المدرسة العربية الراهنة بحسب علي زيعور (الجزء 2)

المؤلف: إعداد وإشراف: د. جمال التركي

تسوّق الكتاب من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=451&controller=product&id_lang=3

الفهرس والمقدمة (تحميل حر)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=450&controller=product&id_lang=3

إستخدام وسائل التّواصل الاجتماعي حدا وسواسًا قَهْريّاً قاد إلى غياب الاهتمام بالذّات- ريتا فرج - فبراير 6, 2019

علي زيعور: الفلسفة الغربية تُعاند الدين لكنّها غالباً ما تعود لتذوب في اللاهوتي المعلمَن

يطرح، علي زيعور، أستاذ التحليل النفسي والفلسفات النفسية، في هذا الحوار قضايا فلسفية شائكة في الفلسفتين العربية/ الإسلامية والغربية، محاولاً تحديد المبادئ العامة ا لتي يجب أن يسير نحوها الفيلسوف "طالب الحكمة"، ومحدداً موقع الفلسفة من زاوية انفتاحها على العالم بكل تعقيداته وهمومه وآفاقه.

يرى صاحب "التحليل النفسي للذات العربية" أن الفلسفة الغربية اليوم لديها معاناتها، لا سيما مع الدين، الذي تعانده ولكنها تتدرج نحو "اللاهوت العلماني (Secular theology) "عند نهاية الشوط.

يذكرنا كلامه هذا بالتنظيرات التي أرساها عدد من فلاسفة "ما بعد العلمانية"، الذين باتوا على يقين بأهمية إيلاء الأديان مساحة أرحب في تنظيراتهم، بعدما ظنوا أن الله في الغرب خرج من التاريخ إلى غير رجعة؛ غير أن التحولات في أنماط المنظومات الإيمانية وحضور المتدينين في الفضاء العام، والحديث عمّا يطلق عليه "الأديان البديلة"، يحتم تعميق الفهم الفلسفي حول هذه الظواهر الجديدة.

يعتبر "المعلم" زيعور أن توجه الحضارة الغربية بقفزات كبيرة نحو التكنولوجيا أفقدها "روحها" وأن الفلسفة ستكون السبيل وطريق الخلاص الذي سيواجه "الرَّقمانية"، ملاحظاً من جهة أخرى أن سيطرة وسائل التواصل الاجتماعي على الأفراد ويومياتهم أدت إلى اضعاف الروابط الاجتماعية وبرود المشاعر الإنسانية وإلى ولادة ما يطلق عليه "الإنسان التكنولوجي" "بخصائصه الجبّارة الاستكبارية والمغطرِسة حيال ما آل إليه موقعه الجبَروتي في الوجود والمعرفة والتكنولوجيا."

في ما يأتي تفاصيل الحوار:

- **من هو الفيلسوف، طالب الحكمة؟**

_الفيلسوف هو في المأنوس المألوف، المُحِبّ للحكمة؛ وقد يَصْلح أن نقول إنّه صديق الحكمة. وفي الفكر العربي الإسلامي، إنّ الفيلسوف طالبٌ للحكمة؛ إنّه يسعى لتحصيلها، وتحقيقها في نفسه؛ وهو يَبْذل الوُسْع بحثاً عنها "وجرياً وراءها". لكأنَّ هذا المعنى للفلسفة، أي من حيث هي طلبٌ للفلسفة وتعلّمٌ لها واستذوائتها، شأن مَنْسي أو مطمور، متضمَّن أو مستتِر، محمولٌ أو هاجع...

تتّفق المواقف والأحكام، عند الأمم المُعجَبة بتاريخِها، حول ضرورة العناية بالفلسفة، وبخاصةٍ من حيث هي حبُّ الحكمة أو صداقتها؛ أو إيثارها ونشدانها، عند العربي بأجنحته ومواقعيّته داخل الدار العالمية للفكر النفساني الاجتماعي والفلسفيّ؛ ولشتّى أنواع التصوّف... وتتّفق، أيضاً، هذه الأمم، أو الثقافات "المغرومةِ" بالفلسفة، على اعتبار الفيلسوف إنساناً يلتزم الفكر الإنسانوي والحداثاني، أو الأنسنة كما الكينوني، والعقل الكونيَّ؛ وما هو خاصٌّ بالبشريّ والبريَّة، أو مستقبلانيّةٌ (فلسفة المستقبل (ومستقبليات (علوم المستقبل.(

يُعتبر الفيلسوف، مبدئياً، إنساناً يلتزم، أيضاً، بكشف الفساد والضلال، ونقد المعهود والنقلي، والاستبداد كما الظلم وتوعّك العدالة الاجتماعية، أو تغييبِ الحرية والتعتيم على كافة المدَنيّات... الغربيّون، في نظريّاتهم "الفلسفية" الأخيرة، قتلوا الحداثة والفلسفة. لم يكفِهم قتلُ مبادئها ثم قِيمها؛ فهم قتلوا أيضًا الحرية والتقدم، القانونَ والتشريع، السياسةَ والسببية والعِلم... وقالوا بموت العقل والمجتمع والعقلانية؛ كما قالوا بموت الإنسان ومعناه، والما يجب أن يكون ويمكن له أن يكون. وفي جميع الأحوالِ، يُسقَط على الفيلسوف رغبات البشرية بتصحيح الطريق المؤدي إلى السَّلاموية والسَّلْماوية، وإلى الخير والعمل الفاضل، وإلى الما يَنْبغي والما يَجب، وإلى قيم التكافل البشري والتضامن والتضافر كما التراحم.

أخيراً، إنّ الفيلسوف بطلُ الإلتزام العام بقضايا الإنسان والمجتمع كما الوطن والفكر. هنا تتلاقى وتتقاطع النظريتان، العربية والغربية، عند القمّة أو حيث القانون القاضي بأنّ الفلسفة مَهَمّةٌ أو رسالة، نداءُ الحكمة المسكونيةِ العالمينيةِ، والحضارةِ البشرية المتكافلةِ المتضامنة؛ وبأنّ الفيلسوف ملتزِم بالما يجب أن يكون، أو بالواجب والفضيلة الخُلُقيةِ والكينونةِ البشرية. في ذلك الشأن، تَطرح الفلسفةُ العربية مقولاتٍ إنقاذية من نحو السِّلماوية والسَّلامَوية في الوجود والمستقبل والبَريّة؛ كما تطرح الفلسفة الغربية نظرياتها وممارساتها المزخِّمة للعولمة، والرأسمالية الضّارية والالتهامية، والنُّظم السياسية، كما الدينية، المتحكّمة المتجبِّرة أو الخَرْفانية وغير الإنسانويّة... والذي يعادي أو يُسفِّل موقعها وطِباقاتها، بل حتى الذي يلغي الفلسفة، هو فيلسوفٌ ملتزم بالمجتمع والفكر، وبالدفاع والحِفاظ على الحقوق المدَنيةِ واللُّقْموية، وعلى قيم الإنسانيةِ جمعاء.

- **الفلسفة ضرورة حضارية، ما هي وظائفها وضروراتها؟**

_يُدرَك فوراً وللتوّ المحمودات كالمرذولات الفلسفية ذات وقعٍ؛ وسويّة. في الصفحة عينها، وحتى في المقطع الواحد، يصلُح وينفع مديحُ الفلسفة مع رفضٍ لاعتبارها رطانة وبلا معنى من جهة، ثم تبخيسٌ لها وامتناعٌ عن اعتبارها ضرورةً حضارية، أو ذات وظائف وتأثيراتٍ فاقعة في المجتمع والفكر، وفي المعرفة والسلوك، وتفسيرِ الحياة والوعي أو الفنِّ والقيمة، والمعنى والخير، والتعميرِ والتثمير.

ليس هذا تناقضاً؛ حتى وإنْ بدا أنّه خطاب محتواه هو الناقض والمنقوض، المقبولُ والمرذول، السّويّ وغير السّويّ. ذاك أنّ الفلسفة "شخصية" أو تجربةٌ اعتبارية؛ وهي إدراكٌ عامّ كُلّيٌّ لما في الأعيان وما في الأذهان، وفكرٌ تزامنيّ وتعاقبي، أو فكرٌ عقلاني كوني. الفلسفة، في دارها العربية، غنية ومدلَّلة؛ وهي راسخة مترسّخة، منيعةٌ ومحترمةُ الموقعِ عاليةُ المكانة. إنّها ذات كيانٍ معنويّ مفَخَّم باسق، وقيمة مستقلة، مكرَّسة الموضوعات ومرِنة التخوم. وهي تعدّدية ومتنوّعة، أصيلةٌ ومصقولة وصيرورِيّة، ضراميةٌ وذات أسسٍ ومبادئ تطورية.

تَتَّسِم الفلسفة بأنّها منفتحة على الفكر في العالم قاطبةً، وخصوصاً على الشريك التقليدي "المعهود"، أي البُعد الذي يَمثُل في الدار الأوروبية للفلسفة التي لا تنفصل أو لا تَنْسى جذورها اليونانيةَ – العربية – اللاتِينية أو مِنصّةَ انطلاقها الشّرْكيّة – الإسلاميّة – المسيحيّة، ثمّ انفتاحها على الهندية – البَيْرونيّة. لا تكون الفلسفة

قوميّة؛ ولا تَتَقَوْمن. فما للفلسفة من معنىً إنْ لم تكن هي السعي لتحصيل الحكمة الصوفوية نسبةً إلى صوفة الجاهلي؛ أو الحكمة الصوفانيّةِ، نسبةً إلى الصوفا بالمعنى السَّاميّ (=الأعرابيّ) العام حيث المشاعية إنْ للنفس وإنْ للدولة والسياسة والسلطة. فالفلسفة ما كانت لِتُقْبَل وتنغرس بيسرٍ وسرعةٍ لو لم تكن هناك أفكارٌ "فلسفية" عربية ممهِّدة، وحكمةٌ مسبقة في الحياة والبشر أو البقاء والتضحية والمعتقدات حتى فيما قبل الرسالة – البعثة المحمّدية.

- **ما هو التقسيم المعتمد عندكم في الفلسفة خصوصاً أنكم تميزون بين العقل النظري والعقل العملي داخلها؟**

_قسّمنا، مبدئيّاً أو بوجه عام، الفلسفةَ إلى عقلٍ نظري وعقلٍ عملي؛ منطلِقين أو متغاذين متفاعلين مع الحال في الفلسفة اليونانية العربية اللاتينية، أو الشِّرْكية المسيحية الإسلامية. تلك القراءة هي التي عند ابن سينا، على سبيل الشاهد، وزّعتْ الحكمة (= الفلسفة، العقل) إلى نظرانية محضة، وإلى حكمةٍ أو فلسفة في الفعل والمعيار، في العمل والممارَس كما المعيوشِ والمطبَّق، والسائدِ الشائع في المجتمع والفكر والتواصلية، وشتى مستويات المعيشة في الفرد والعائلة كما في المدُن(= الدساتير، السياسيات) المتنوعة، وفي مدينة الاجتماع البشريّ العام.

ليس ذلك التقسيم للحكمة، عند طالبيها أو الساعين لتزمينها وتحيينها، سوى أواليةٍ هدفها تسهيلُ النظر وتعجيل الظَّفَر؛ فهي ليست إنْيَةً أو أنْية، أو جوهراً خالداً ثابتاً، أو حقيقةً يقينيّة سَرْمدِية... الأهَم أو المُرام، بات، إذَن، القبولُ بمبدإ إمكان وصلاح الأخذِ، راهناً وظرفياً بالعقلَيْن النظري والعملي داخل متكافئةٍ متفاعلةٍ أو متناذرةٍ ومتلاصقةٍ. هنا نصل إلى الاستنتاج، أو الاستخلاص، لمبدأ إمكانِ بل منفعةِ وضرورةِ متابعة أو إعادةِ اعتماد التقسيم المذكور، غير القَطْعي وغير النهائي أو غير الجازم الحاسم، من أجل الدراسة الراهنة تأرخةً وتحليلاً ومن ثم فهماً وتفسيراً وتأويلاً، لقضايا المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة، ولإشكالياتها، ولأسئلتها ومفاهيمها المستجِدّة والراهِنَوية (=المُعادة الرَّهْونةِ، والأشكلةِ، والتسميةِ والمَعْنية). فعلى سبيل العيّنة، تمركزت المدرسةُ العربية على النظر وإعادة الإدراك في حَقْلَيْن متداعِمَيْن متداخلَيْن متميّزَيْن خصوصاً في المحتوى؛ وهما: أ/ العقل النظري المحض أو الصِّرف؛ الفلسفة الأولى أو الماورائيات (= الميتافيزيقا)؛ ب/ العقل العملي وهو الحاوي والضّامُّ المشتمل على: الأخلاق، القيم، فلسفة الفعل، الاقتصاد، الثقافة – الحضارة، السياسة، التربية، التنمويات للفرد والمجتمع، للفكر واللغة، التبادلية، التداولية، فلسفة المنفعة، النظرية في المصلحة، النظريات المادية في التاريخ والطبيعة البشرية والتطور...

تميّز العقل العملي، عموماً أو في قطاعه التربوي، كشاهد، بأنّه ينقل الواقع وما يجري في الواقعِ؛ وهو قياسي وتشبيهي، تكراري ومِنبري، وعظي وتبشيري. وهو ينطلق من ثقةٍ بأنّ الإنتاج المعرفي يكون نتيجة اعتمادٍ لما يقوله القرآن والسنّة أو الحديث؛ ثم لِما يقول الفقيه والمفسِّر للدين، والممارِس أو المتعيّن المُعاني. سوف نرى، إذن، أنّ التربويات ممثّلٌ بارز للعقل العملي؛ وهنا نقول ليس أبرز من ابن خلدون، ومن ثم ابن الأزرق، بين التربويين والمؤرِّخين، مَن عمِل على تحليل الوقائع والمناهج التربوية في عصره.

وهو قد عالج أساليب التدريس؛ وقارنَ بينها؛ وانتقد بوضوحٍ فالحٍ نافع "آداب التعلّم والتعليم"، وأدب العلم وشرفه وتاريخه؛ وأسّس علم التعليم وتربية الأطفال.

- **هل ترون أن ثمة منطلقات مشتركة بين الفلسفتين العربية والغربية؟**

_تنهضُ الفلسفةُ العربية والغربية من انطلاقٍ مشترك على صداقةٍ وتشاركٍ بين قطبَيّ القيمةِ الواحدة... كلُّ الحقّ والسداد كلُّه، في القول إنّه لا دقةَ أو حقيقة في أن تَدْرس الفلسفةُ الغربية حقولها وأخاديدها معزولةً منفصلة عن منطلقاتها الشِّرْكية – الإسلامية – المسيحية. فاستكفاء الفكر الغَرْبي بنفسه، وإبعاد ذاته عن البُعد العربي الإسلامي، نقصٌ أو شأنٌ عطوبٌ غير معافَى ولا يعافي القراءة الكُلّيانيةَ الأنجح والأنفع.

إنّه لصائبٌ سديد أن نقرأ الفلسفَتَيْن العربية والغربية، في هذا الأوان وداخل هذا العالم القائم، مُدركتَيْن في وحدةٍ وكلّ، وتلاقٍ تضافري وتعاونٍ تكاملي للموضوعات الفلسفية الراهنة، أو لعقل البشرية الكوني والمسكوني، وللسياسة العالمية والأنظمة العالمية النافذة. ليس تاريخيّاً أو فلسفياً أن تقول الفلسفةُ الغربية إنها غير معنية بالفلسفة العربية المعاصرة، ثم الراهنة، بذريعة الاكتفاء بالذاتي عند الغربي ومن ثم بنفوره من أن يكون له العَرَبيُّ شريكًا أو شبيهًا، منافسًا قديمًا، أو مستقبلياً وفي القادم من تاريخ الفكر.

- **ما هي استراتيجيا الفلسفة الغربية أو خطابها في المعنى والوجود وأين تنفصل عن الفلسفة العربية؟**

_تبدو الفلسفة الغَرْبية أجموعةَ مقولاتٍ نظريةٍ عقلانيةٍ، وتنظيريةٍ متماسكة ومتساوقة، متوازنةٍ يتفاعل داخلها الخاصُّ مع العامّ، والمحلّي التراثي والواقعي مع الكوني كما المسكوني والعالميّ. وتلك نظرية، نسقٌ أو نظام أو كلٌّ يحرّك ويتحرَّك بحق الاختلاف؛ يكن بغير إسرافٍ، أو رحيلٍ إلى العَدَمانية؛ أي إلى رفض كلِّ نظرٍ في التعاون والتكافل، التآلفِ والتعاطف، الانضمامِ والتواحد...

وهذا، بغير الذهاب، أيضاً، لِتبنّي الأنظمةِ الشموليةِ النزعة أو الاستبداديةِ السيطرية؛ أو لِتبنّي الفردانية المسرفة المنفلِتة، والذاتانيةِ المستغرِقة في الانقفال على الذات أو المستكفية، ومن ثم المبعِدة والبعيدةِ عن العلائقية الإيجابية الإسهامية مع الآخر، أو مع الغير ضمن حقلٍ هو تعاوني وتراحمي، مَحبَّاوي ورحْمَوي، رحماني وغير مستكسِباً ومستنفِع يسعى إلى تحقيق مصالحه ومنافعه، وإشباعِ رغباته المرتجاة، وتحقيقِ دوافعه الحضارية...

الفلسفة الغربية، فلسفة أوروبا الغربيّة، أضحت تُعاند الدين وتبتعِد عن الإيمان عند الابتداء؛ لكنّها غالباً ما تعود لتذوب في اللاهوتي المعلمَن عند نهاية الشوط، عند القمة أو النقطة ياء .**إنّ كانط، بما هو حالة ممثِّلة، ينتهي مفكراً لاهوتيَّ المقصَد والمنهجية، والوعي كما الرؤيةِ والتأويلية ...**ذاك ما نقوله أيضاً، بحقّ وحقيق، في شأنية النظام أو النسق الفلسفي عند هيغل؛ فهذا قد سُمِّيَ الفيلسوف اللاهوتي أو اللاهوتي الفلسفي؛ ومقولاته المخصوصة، الخاصة به، تَستمدّ وَتمْتح من الأعراف والمعتقدات والظواهر النفسية والاجتماعية العائدة إلى بيئته وشروط مجتمعه وتاريخه، كما ثقافته ولغته وأُمَّته.

العِلْم مختلف عن الاعتقاد، والمدرسة العربية الراهنَة تعتقد، ولا تَظُنّ، أنّ الفلسفة الغربية، الممثَّلةَ بأوروبا الحضارية كما مَرّ، متمَحورةٌ بقسريّةٍ، وشِبه انتحاءٍ بيولوجي أو طبيعي، حول بعض مقولاتٍ "سحريةٍ" أو مقَدْسَنةٍ ومباركة، لاهوتيةٍ أو ماورائية... تلك هي مقولة الإنسان المتفوّق، والرغبةُ بالسيطرة، وإرادةُ القوة والتغلّب، وهوسُ الانتصار والفوز والمنافسة أو النجاح واكتسابِ الأشياء أو تحصيل المال، والتعبّد للمنفعة واللُّهاث وراء المصلحة وما هو رمزي وجاه وهالةٌ مُضيئةٌ وهّاجةٌ، ومبادَرَةٌ أو مُبادأةٌ نفسية اجتماعية، جمعية وفردية...

ترتبط هذه الأفكار، الحقولُ أو الموضوعات العائدةُ إلى الفلسفات والنظريات الأوروبية، بأفكارٍ غدتْ فيما بعد كثيرةَ السلبية، وقاتلةً للروحاني والقيم والمكانةِ المتميّزة للإنسانويّ والأخلاق، ولما هو روحانيات وكينوني، أو خاصٌّ بالإنسان ومعناه ومصيره. في عبارة أخرى، **لقد غدتْ أزمةُ الفكر النفساني الفلسفي، كما الفلسفي النفساني، تُدْرَك عبر مقولة "موت الإله" أو القيم، والفضيلةِ كما العقل، والدولةِ كما الهويةِ والحقيقة** ...وعلى ذلك، فقد "ملأ" العدم أو اللَّيسُ ما هو غير العدم أو غير اللَّيْس... فقد ثَقُل وسَطَع الفراغُ واللاشيءُ واللاحقيقة، واللامعنى واللاثبات، وزوال كل القيم والعجز عن إثبات قيمةٍ بديلة، أو قيمٍ جديدة وذات وظائف تغييرية.

يُدرَك التشخيصُ والتحليل، كما التطوير والإنتاج المُحاكِم والمتأوِّلُ، في حقول اللسان واللغة والمنطق اللغوي، داخل الفلسفة "الغربية"؛ أو الأوروبيةِ الشماليةِ بحسب ما يرغب بعض المفكّرين الأبطالِ في ألمانيا (نيتشه، هايْدِغر؛ كخزعةٍ أو شاهد)، إدراكاً هو، بحسب علم الحال أي في هذا الزمان الحاضر وهذا الوقت أو العصرِ أو الأوان، متعددٌ ومتنوّع، موزَّعٌ إلى حقولٍ وموضوعات وعلوم كثيرةٍ ومختلفة، نافعةٍ ومفيدة بالرغم من كونها آخذةً بالتفتّت والتشتّت، والالتحاق بعلومٍ نفسيةٍ وتاريخية، اجتماعيةٍ وفكرية ومنطقٍ فلسفي متعدّد القيم. في هذا الحال، لم يَعُد صعباً أو خارج الموضوع قولٌ منصِف يؤكِّد ويدعّم فهماً للفلسفة الغربية يراها، كالحال في الفكر العَرَبي، كثيرةً ومتعدّدة، مختلفةً ومتنوّعةً ضمن إطارٍ عام هو، فِعلاً، ضرامي وعقلاني، منفتح ومرِن، ثَرِيٌّ ومُربِحٌ.

لقد قدّمت الفلسفة، بما هي طلب للحكمة، ولمعرفة النفس البشرية ومن ثم للعقل المتخيّل، نورًا تاريخياً وفكراً متطوراً، وعقلانيةً كونيةً وكينونيةً هدت الإنسان والتاريخ إلى معرفةٍ كانت ترقى وتعظُم، أو إلى حقائق وغايات أو مقاصد رفيعة وإستراتيجية، أخلاقيةٍ وقيمية.

هنا يتبدّى كم كان عميقاً وواسعاً تأثير علوم النفس وعلم النفس الاجتماعي العيادي، وما إلى ذلك، من تنقيب وكشفٍ للخفايا والرغبات عند الإنسان؛ أو لما هو غوري ومطمور، مَنْسي وغير واعٍ، ظِلّي وذو دوافع حضارية، وحاجاتٍ عقلية وثقافية وإنجازات.

والفلسفة الغربية قدّمتْ في صوغٍ إحصافي، أي ثانٍ وجُهديّ، نظريةً حديثةَ الروحية والقوام، والغايةِ كما النِّيَّة في تأويل الحقيقة والعقلِ واللغة، والمعرفة والثورةِ العلمية والعلمِ – من جهة؛ وفي تأويل الإيمان والوجدان، والمتخيَّلِ كما الحدس، والخير كما الفضائل والقيم – من جهةٍ أخرى. بيد أنّ هذا الصوغ الإحصافي، لِقطبَيْ المتكافئة المتناذِرة، لم يُخفِ أو يقنِّع تغليبه للعقل والحقيقة، وللعلم والمعرفة التقنية؛ ولم يَحجُب أيضاً تهميشه وإبعاده أو حتى تخفيف قيمة ما هو لاهوت وروحانيات، ماهياتٌ وثوابت، جوهريٌّ وأَيْسات؛ وكذلك ما هو ماضٍ وتاريخ، تراثٌ ومعهود ونقلي، تقليديُّ النزعةِ والرؤيةِ والقوام، عاطفيٌّ وشاعري، نفساني وذاتاني، تَعَبّدي وتَدَيّني وحدسي، غيبي وأُخْروي أو نُشوري... في جُملةٍ مكثَّفةٍ، لقد حققت الفلسفة الغربية، الفلسفة المدلَّلة المتمأزِقة في "أوروبا الحضارية"، مشروعاً طويلاً عريضاً أو واسعاً وعميقاً شاء وزمَّن إحلال الحق الطبيعي مكان الحق اللاهوتي؛ وكذا الحالُ أيضًا في صدد الخير الطبيعي، والجمال الطبيعي...؛ لقد أراد مشروعهُم أن يكون ما هو طبيعي أساساً وغاية،

مقصَداً ونِيّةً فعلاً وواقعاً؛ وبلا مكانٍ لما هو لاهوتي أو مُلهُوت... وكذا أيضاً هو القولُ في صدد العقل؛ لقد أُريد له أن يكون وحده، ودون غيره، المحوَر والمركز، القلبَ والهدف، كما الغرضَ والمنهج بل المجال للأنا للشأن أو الحيّزِ والحقل العامّ.

وهكذا كان. لقد نُصِّب العقلُ مصدر الفكر والحقيقة، والقيمةِ كما التشريع، والحاكمِ السياسي والهوية؛ واعتبِر أداة التطوير ومعيارَ الفضيلة والتفاضل... لقد جُعِل العقل، في الفلسفة أو الأمم المتغطرسةِ، حَكَماً في الأخلاق، وضوابط أو مِحكّاتٍ في الحرية والتحرر، والنقدِ والتقييم، والتفسيرِ كما الفهم؛ ومن ثم في التأويل وتواصلِ التأويل، والتحليلِ والقراءة، والمحاكَمةِ النقدانية لِما هو روحانياتٌ ومثاليات، متعاليالتٌ ويقينيات، مصادراتٌ ومسلَّمات، ثوابت خالدةٌ وجواهر وما ورائياتٌ وزمانيات.

- **أشرتم إلى انعكاسات الفلسفة الأوروبية في الوعي العربي وحللتم تجلياتها التاريخية والمعاصرة وتطورها باتجاه مركزية العقل. ماذا عن البُعد الغربي الأوروبي وتمثلاته في الذات العربية؟**

–البُعد الغَرْبي، الأوروبي، في الوعي والسلوك عند العربي المعاصر، أو عند العالَمْثالثي (إذا جاز الحِفاظُ على هذه المفردة التقنية) ملحوظٌ وكوّان؛ أي هو مؤثِّر، أسهم في نقل الحضارات المحلية المتهاوية والمتعثِّرة، من حالِ الفقر والجوعِ، والمرضِ والجهل والعتمة، إلى حالٍ تَحيَّن وتزمَّن فيها نجاحٌ ما في التنمويات والتربويات؛ وفي التعلّم وإعادة التعلّم الحضاري؛ وفي الإدراك والمعرفة وإعادةِ الإدراكِ والمعرفة، كما التعضيةِ والضبطِ والأشكلة، والتنظيمِ كما التسمية والمَعْنَوَة (= المعْنَية)؛ وفي الاقتصاد والسياسة والتفكيرِ، كما في التفسيرِ والتأويل...

تَطوّرَ، ونجح، البُعد الأوروبي في الذات العربية، وفي الأمم العديدة التي كانت تُدعَى بالأمم السائرة في طريق النمو والإصلاح. فقد كان الغرب سبَّاقًا إلى تطبيق أو توظيف "الرشدية اللاتينية"؛ وفي نزع اللاهوتة، ورفضِ الأسطرة؛ ورفضِ الخضوع السياسي للأنظمة الحاكمة المستبدّة؛ وفي النقدانية الحضارية الاستيعابية والتخطّوية.

وفي الواقع، البُعد الغربي في الحضارة البشرية مميَّز. الغرب سبّاق في الفصل بين الدين والدولة؛ وفي تطوير الفكر والمناهج، المكان والبيئة والزمان؛ وفي وَصْم وإلغاء العِرقانية والعنصرانية معاً، والتوسيعِ التعميقي للمدَنيات والعلمِ؛ وفي محاكمة ونقدِ المسلَّمات والمصادرات كما اليقينيات، وكشفِ المحجوب والمكبوت، الظِّلّي واللاواعي؛ وفي التدبّر والتحليل أو التقويض لما هو استبداد وهيمنة، سيطريٌّ وغير عادلٍ، شاقوليٌّ وغير تضامني أو غير تعاطفي غير مَحبّاوي وإنسانوي، عالمينيّ ومسكوني، تراحُمي ولُطفاوي ومن ثم تعاطفيّ وتكافلي، تغايُريّ واستيعابي إسهامي وإيجابي، من هنا يتفسَّر كم كنّا محتاجين إلى نقد بُعدنا الخاصّ في اليقينيات والمسلَّمات، المقَدْسَنِ والمنرجَس؛ وإلى التدبُّر والاهتمام بالمنجرح والمنغلِب، المهزومِ والمهدور، المستضعَفِ والمطرود، المَنفيّ والمحجوب، المتضمَّن والمكبوت، المقموع والمغدور، المهمَّش والجائع... وذاك نفسُه يفسِّر، أيضًا، أنّ حاجاتنا للتطهّر والتفريغ، والغسلِ كما المحو، والتحصّنِ كما النكوص كانت حاجةً حضارية، ودافعاً أو دوافع عديدةً متزاملةً للتقدّم والتطوّر والتغيُّر.

البُعد المعرفي، عند الغربي، غذاء التكيّفِ الحضاري والتقدم الاستيعابي التجاوزي...، وهو بُعدٌ أفضى إلى ثورات العلم والتكنولوجيا، والمعرفةِ نفسِها كما الصورة والإعلام وشتى مواقع التواصل الاجتماعي المُسيء للإنسان والناس، أو الذي شيّأ الفردَ والتواصليةَ، والمجتمعَ كما الفكر... لقد وظّف الغَرْبيُّ المعرفة لتعميق سيطرته على الشعوب واستبدَّ كما هيمَن وتسلّط، واستغلّ كما التَهَم لغاتٍ، وثقافاتِ الأمم، أو تراثَها وثرواتها، نسغها ومستقبلها، آمالها ورجاءاتها...

- **تركزون في تحليلكم لبعض "أمراض" الحضارة الأوروبية على غياب البعد الإنساني التراكمي والتكافلي والتواصلي على مستوى العلاقات البشرية. نحتاج إلى مزيد من التوضيح حول وجهة نظرك هذه التي يتفق معها العديد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والنفس في أوروبا؟**

_يُنتقَد في حضارات الأمم الصناعوية سلوكاتٌ معمَّمة رتيبة؛ أي منمَّطة آلوية؛ ومعرفةٌ تقنية أو قطعانية؛ "وحداثةٌ" في التصرّف والحياة اليومية الاستهلاكيةِ والاقتنائية، والاسترباحية والاستكسابية... فما هو عرضةٌ للمحاكمة ومثير للنقد والمحاسبة فردانيةٌ وعزلةٌ واستكفاء يجعل الحياة مستبعِدةً للآخر والتواصل، للثقافة والاهتمام بالشؤون العامة، والمشكلاتِ الاجتماعية الاقتصادية، والحيّز الوطني كما العالمي، ومستقبلِ الطبيعة والبشرية كما المآل والمصير.

إلى ذلك، تتعرّض للمساءلة وإعادة النظر النقدي، الرؤيةُ العامّةُ للعالم والحضارة، الوجودِ كله واللغة، القيمِ والأخلاق، المدَنياتِ والإنسانوية، الحقيقةِ والمعرفة، "عقلنةِ" الواقع والروابطية والممارَسات... وهكذا صارت هذه الحالة تَنَكّرٌ للمتخيَّل والإيماني، اللامعقولِ والمثالي، النفساني والتقليداني كلّه؛ وتنكُّرٌ رافضٌ للمعهود والماضي والغابر.

في مجال فلسفة الثورة الصِّناعوية، كحالةٍ محلّيةٍ مخصوصةٍ أو لحظة تاريخية أو نمطٍ حياتي، لقد غدا الانشغال الأكبر بعالم الفكر وتاريخ الفكر، وبالزمان والتاريخ، والعصرِ والأوان... وتمَّ الإنشغال أيضاً بمبادئ ترعى الحداثة أو تستولدها وتُحييها، وتتغاذى مع الرأسمالية، والمعرفة التقنية، وتطورِ العلومِ والمدَنيات وشتى القيم الليبرالية والتحولاتِ الحضارية المتسارعة والسريعة التبدّل والتغيّر بالفعل.

العقلية الصناعوية، أي المجتمعاتُ والايديولوجيات التقنوية جدّاً والموقَّدة بالعلوم الثائرة، حالة أو ظواهر قد تكون مغذَّية ومن ثم موقَّدة في مناطق وطبقات أو قطاعات وشرائح موجودة داخل أمم غير صناعوية، غير رقمانية، بعيدة من ثورات التكنولوجيا والإعلام كما الآلة والصورة والإلكترونيات.

لقد اكتسحتِ الظواهرُ الآلويةُ والتكنولوجيا الثائرةُ، والصناعويةُ المعقَّدة، العقولَ والتواصليةَ والمعنى. ففي تلك الحالة، تَسلَعن الإنسان، وانبهرَ، وعجز عن اللحاق بالمتغيّرات؛ وبذلك فهو قد تَشَيْأن، وغدا أشبه بالبرغي أو المتاع، الآلةِ الصمَّاء أو الكائنِ البِلا معنى وبلا قيمة أو اسمٍ... وذاك ما ألغى الماورائي والعاطفي، المشاعر المتآخية والانفعالات البشرية وما هو ذاتاني ونفساني؛ وسقط أو غاب الكينوني والإنسانوي، وما هو خاصٌّ بالإنسان والكوني فيه أو القيمي والإيماني كما الروحاني والمثالي، المحبّاوي والتراحمي.

وفي الخلاصة، إنّ الفلسفة، المؤثِرة للحكمة مجاناً ودائماً وكلّياً قد غدت هي القول الاستراتيجيُّ في الوجودِ القائمِ أمام الرَّقمانية والنظرانيةِ المحضة كما النفسية، وفي الملتقى أو المشترك بين الأنا العَرَبية والأنت الغربيّة، لقد صارت الرقمانية، أو فلسفة التواصل الاجتماعي، تُمثِّل الفلسفةَ وترمزِن القولَ الحِكمَويَّ (= الحِكْميَّ، والحِكْمتيَّ) في الفعل وفي الحقيقة، العملِ والسلوك، الإرادةِ والحرية، الدولةِ والشرائع، المعيارِ والعِلم، اللُّقْمَوياتِ والمدَنيات والعدالة الاجتماعية، المنطقِ والمنهجيات والثورات العلمية.

في عبارةٍ أخرى، الفلسفة الراهنةُ خطابان:

أ- خطابٌ في اللغة والبلاغيات والألسنية؛ وفي الوعي والسلوك، والعقلِ كما المفاهيم والمصطلحات؛ وفي الروابطية والعلائقية كما في التواصلية والدوائر الاجتماعية؛ وفي الشخصية والمجتمع، وفي الفكر والحكمة أو الثقافةِ والمعرفيات. ذلك الخطاب قوامه، أيضاً، الأيْسِيّاتُ والمعرفيّات، والقيميّاتُ كما الفنيّات. وهي، هذه القولُ العقلاني في الوجود والحياةِ كما في المسكونية، والكينونية والعالمية. وهذا، بقدر ما هي، أخيراً، إعمال العقل في العمل والخير، وفي الفضيلة والقيمة والفنون. وتكون الفلسفة قولًا في اللاعقل وغير العقل كما في المتخيّل والوجدان، والحدسِ والتفكير، والاعتقادِ كما الإيمان والرَّوحنة ودفء التديّن أو الحنين إلى التجربة الطفلية في الفرد والنوع.

ب- أمّا الخطاب الثاني للفلسفة الراهنة فهو ما يَمثُل ويَحضر بواسطة العقل الأنكلو – سكسوني، أو الإنكليزي – الأميركي. إنّه كما صار مألوفاً مأنوساً، القول أو الخطابُ في فلسفات هي من نحو: المصالحية، الذريعانية، المنفعانية، الميميائية والجيننيائية، التطورانية الاجتماعية، الفلسفات النابعة من البيولوجيا أو المادة، التاريخِ أو الطبيعة، ثوراتِ العِلم والصورة والإعلام.

لا يعني هذان الخطابان إلغاء أحدهما لمصلحة الآخر. فهما قابلان للتساكن والتداعُم؛ وهذا، بدون أن يعني ذلك تذكّر الموقف الذي يرى رطانةً أو خفةً وقِلّة نفعٍ في الخطاب الأول، أي السائِد المنرجَس بحسب العينِ الأوروبية. ومن السديد أن نتذكّر، من جهةٍ أخرى، القولَ الإنكليزي الأميركي الذي يرى نفسه صاحب القول الأرفع والأنفع، الأهمّ وغير التأمّلي، غير الغنائي، غير السفساف أو الممجوجِ المرذول. وفي الواقع، إنّ الرقمانية (فلسفة المجتمع الصناعَويّ أو الآلوي وعصرِ الزّرّ والتكنولوجيا المنفلِتة) تغذّت من النظرانية جداً.

ولا منفعةً راهنةً فوريةً من المواقف المنادية بمدّ الجسور بين النظرانية والرَّقمانية داخل المدرسة العربية الراهنة، فذاك فعلٌ نمارسه عند ظهور كل نظريةٍ أو أدروجة في ميادين العلوم الإنسانية. وفي جميع الأحوال، هناك في المدرسة العربية ثلاثة مواقف؛ وهي:

1. الرافضون للرقمانية وحجتهم أنّ الأمر هنا ليس فلسفة؛ بل وليس هو فلسفة علم.
2. المهجَّنون أو التوفيقانيّون، الإنتقائيون.
3. الرافضون أو العقلانيّون الواقعانيون.

- **نادى نيتشه بـ "موت الله": فعقلنة العالم وفهم خفاياه القديمة والتحرر من الدين تؤدي إلى هدم العالم القديم ونهوض عالم جديد؛ غير أن تطور العقل الأوروبي باتجاه النفعية والتأليل المفرط، أحدث ندوباً جرحية عمقت نرجسية الذات على حساب التشارك والتراحم، وهذا يؤدي إلى اغتراب الإنسان عن ذاته التواقة بفطرتها إلى الفضاء التشاركي والاجتماعي، وأظن أن تمظهرات تشظي الإنساني ستتزايد مع التطور التكنولوجي و"احتلال" وسائل التواصل الحديثة لمبدأ التلاقي البشري، وقد تكون الفرضية**

المطروحة كالتالي: كائنات بشرية تعيش في عزلة فتحل الآلة مكان الإنسان، أظن أن هذا السيناريو المستقبلي/ المفترض مرعب. ما تعليقكم؟

_غدا مُلِحّاً جدّاً، بل هو في حكْم الواجب أَنْ يكون، أنْ ينوجد ويدخُل في الحاضر، أنْ يتزمَّن ويتحيَّن، **عودُ الإنسان إلى فضيلة التواضع التي يرفضها في وعيه وسلوكه الإنسانُ التكنولوجي بخصائصه الجبّارة الاستكبارية والمغطرِسة حيال ما آل إليه موقعه الجبَروتي في الوجود والمعرفة والتكنولوجيا**، وعصر الزرّ والرقم، وتترجسه المتفاقم اللامحدود. لكأنّ إنجازات البشر في عالم الفضاء أو البيولوجيا، كشاهد، ضخّمت تميّز الإنسانِ العالمي والمجتمعِ الدولي، وفاقمتْ سلطتنا على الطبيعة والنفس، والعلمِ والصورة، والضوء والتواصل.

إلى جانب ما هو متّفقٌ حوله بين الأنا والأنتَ، أي مشتركٌ بينهما بُعداً وفُروقاً أو تشابهاً وتماثُلاً، يتّفق أيضاً ومجرى الاهتمام عند المفكّرين النظريين بمشاكل الكُلّ والحيّز العام، وشؤونِ المجتمع وصراعات الأفكار، وأمراضِ التواصلية، واضطراباتِ مقامات وأجهزةِ الشخصية وأغوارها وقطاعها الأعلى الأخلاقي، وفلسفاتِ السؤال، ومحدوديةِ العُمر والوجود، واستحالةِ التطابق بين اللغة والفكر، التبليغِ والتبلُّغ أو الإرسال والتلقّي، أو الإرادة والقدرة، الواقع والمعنى، الشيء والكلمة... إلخ.

على كل ضفةٍ لنهر التاريخ والحضارة يقف العقل المتعقِّبُ المنقِّبُ في موضوعاتٍ عالمية البُعد أو الوجه والصعيد: ففي كل فكرٍ أو فلسفةٍ قطاعٌ أو مقولةٌ غرضها البيئة والأنساق البيئية، التصحّر والجفاف، الخوفُ من تبدّلات المناخ ومن الجوع والظلم والجور، ومن مشكلاتِ تناقص المياه وتكاثر السكان وعدم كفاية حملات التشجير أو المحميات الطبيعية. وعلى الضّفّتَيْن، العربية كما الغربية، تتصارع الأفكار، والمواقف، والقيم، والأوطان، والأيديولوجيات، وقضايا السلاح والأمن والغذاء، والتصادم بين أنظمة التنمويات كما التربويات الفردية والجَمعية الجماعية.

ثمّة مَن حَمَل على الفلسفة الغَرْبية، ولا سيّما فلسفة المدلَّل الأوروبي المتترجِس والعدواني؛ فطالب بطردها أو تغييبها، ونكران الحاجة إليها أو التنوّرِ بخبرتها وتاريخها، وبمنهاجها ورؤيتها على وجهٍ خاصّ. وهذا، في حين أن الموقف المناقِض تجاهها قد نعثر عليه عند أولئك الذين "انْسَبَعوا" وانبهروا بتلك الفلسفةِ؛ فطالبوا بامتصاصها واستذواتها، بتمثُّلها واستدخالها.

أما المطالِبون بمدِّ الجسور والتبادل، وتمهيدِ المعابر المنفتحة المرِنة بين الفلسفتين الغرْبية والعَرَبية، فقد انتفضوا من منطلقٍ فحواه ومفاده أنّ الفلسفة العربية لا تحتاج لخبرة الغربيين، ولا حاجة لأن نسير في الخنادق الفكرية التي أنشئوها، أو لأن نكرر القضايا الفكرية التي بحثوها وحفروها. هنا موقفٌ لا يخلو من الحيرة والحسد، ويُعبّر عن مشاعر الضّيق والكَرْب التي يثيرها. عند العربي، نجاحُ أممٍ"عالمِية"في انتاج نظرياتٍ فلسفية باهرة، وفي اعتماد طرائق ومصانع دقيقة في انتاج الفكر والآلةِ، ومحاكمته وتطويره.

استبداديةُ ظواهر التواصل الاجتماعي مسيطِرةٌ في الضَّفّتَيْن العربية والغرْبية وفي "الدار العالمية ."**إنّ استخدام وسائل التواصل الاجتماعي قد غدا هوسًا أو "مانيا"، ووسواسًا قَهْرِيّاً؛ أو سلوكًا إرغاميّاً، ووعياً محكوماً وغير حُرّ أو غير مسؤول .وذاك استخدام قد أغرق في خِضَمّه، وقاد إلى الإدمان، وأوقع في المضطرب، واللاسويّ، و"الجانح". وهنا هبط مستوى الثقافي، وانقفل الاهتمام بالذات، وخفّ التأثّر بالمشكلات اليوميّة**، والأمور العملية، وبالجوانب "الأخلاقية" والبحث في الانعتاق والتحرر؛ وفي البحث عن معنىً للحياة والعُمر والبشرية، أي عن التحقّق أو المساعي إلى النُّضج وتعزيز الإيجابي والإسهامي، بل والقوى الديناميّةِ في الشخصيّة التواصليّة العقلانيّة، والتضافريّة التكافليةِ والتضامنية.

سلسلة الكتاب العربي " نفســـانـي "

اصـدارات مكتبيـة محكمـة في علـوم وطـب النفـس

دليل سلسلة اصدارات " نفسانـي " على الشبكة
www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

الكتاب العربي " نفسانـي " على المتجر الالكتروني
www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

الكتاب العربي " نفسانـي " على الفايس بوك
www.facebook.com/The-Arab-eBook-of-Psychological-Sciences-217222165315189/

الكتاب العربي " نفسانـي" على التويتر
https://twitter.com/arabpsyfound

سلسلة الكتاب العربي "وفي أنفسكم"

اصدارات مكتبية في الثقافة النفسانية

سلسلة " وفي انفسكم " على المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=17&controller=category&id_lang=3

سلسلة " وفي انفسكم " على شبكة علوم النفس العربية
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBFiAnfosikom.htm

سلسلة " وفي انفسكم " على الفايس بوك
www.facebook.com/%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%83%D9%85-Anfussikom-239524773101681/

دليل الاصدارات السابقة (فهارس و افتتاحيات)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=233&controller=product&id_lang=3

الجزء II

قراءات في الفكر السيكولوجي والسياسي النابلسي

نحو سيكولوجيا عربية

عبد الرحمن العيسوي

حول مستقبل العلوم الإنسانية في الوطن العربي

الشخصية العربية و الوفرة الاقتصادية

النفس المقهورة

الآثار النفسية لممارسات الإحتلال على الجمهور العراقي

قراءة نفسية في الفكر الاستشراقي

سيكولوجية الشائعة

الصدمة النفسية (علم نفس الحروب و الكوارث)

نحو رؤية تكاملية لموضوع المخدرات في الوطن العربي

سيكولوجية التظاهر

قراءات

سيكولوجية السياسة

الهارب الى ضوء الشموع

الإنتخابات وبرمجة العقول

العناية بضحايا العنف: السياسة وأخلاقيات الطب النفسي

الإسلام والطب النفسي الوقائي

ملامح الشخصية العربية

محمد أحمد النابلسي

العلاج النفسي الأسري وضحايا العدوان

محمد عبد الظاهر الطيب

قـــــراءات في الفكـــــر السيكولوجـــي والسياســـي النابلســـي

نحو سيكولوجيا عربية*... رحلة عابرة في ارجاء فكر النابلسي السيكولوجي

عبد الرحمن العيسوي – علم النفس، مصر

تعيش امتنا العربية، في هذه الايام، حقبة حاسمة من تاريخ نضالها ساعية لاستعادة تنظيمها (Reorganisation) في عالم تعج به الامواج والانواء والاعاصير والتقلبات ويزداد فيه الصراع وتحتدم فيه المنافسات الاقتصادية والتكنولوجية والتطاحن العالمي والاقليمي والمحلي.

وتواجه امتنا العربية كثيرا من التحديات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والفكرية.

وتقتضي هذه التحديات ان تعمل امتنا العربية – وخاصة علماؤها وباحثوها – على ملاحقة ركب حضارة العصر، تلك الحضارة التي يسير فيها التغيير بخطوات سريعية متلاحقة، فالتطور لا يقف لحظة عند حد معين. الامر الذي يجعل من الضروري ان يقوم علماء هذه الامة باستخدام العلم ومناهجه والياته وادواته في التصدي لما يواجه المجتمع العربي من المشكلات، تصديا علميا، يقوم على البحث والدرس والتخطيط، وسعيا وراء تحقيق التنمية الشاملة، والتقدم والتطور والرخاء والازدهار. وذلك بوضع الحقائق العلمية موضع التطبيق في كافة مجالات الحياة العصرية.

فان امة تلهث انفاسها للحاق بركب الحضارة، لا يمكن ان يكون جهود علمائها ضربا من الترف العلمي او ان يجلس علماؤها في ابراجهم العاجية بعيدا عن معترك الحياة في المجتمع. وهذا ما يفعله، وكثيرون غيره، عالم كبير وباحث مدقق وعربي غيور على عروبته ووظنيته وعلى تخصص العلمي هو الدكتور محمد احمد النابلسي مدير عام مركز الدراسات النفسية بلبنان, فمنذ غير قليل وهو يكرس جهوده من اجل وضع الحقائق والمعطيات والنظريات والمنجزات والمكتشفات العلمية في مجال علم النفس والطب والتربية، وضعها موضع النفاذ والتطبيق، لتعم الفائدة والنفع على عالمنا العربي كله من محيطه الى خليجه.

كرس الدكتور النابلسي جهوده لهذه الرسالة القيمة وبلورها وجمعها في كتاب صدر عن دار الطليعة في بيروت، يحمل عنوانه اسم الدعوة التي نحن بصددها (نحو سيكولوجيا عربية). ومن بالغ اعجابي بهذا الكتاب وصاحبه، اثرت ان اقدم له تحليلا شارحا لمادته وفحواه ودعواه ومتلمسا ما يمكن بين السطور في هذا العمل العلمي الرائد ..... تلك الدعوة التي تنادي، اولا، بتطبيق علم النفس ونشره وتدريسه في كل المؤسسات التعليمية واجراء البحوث الميدانية في هذا المجال الحيوي على امتداد عالمنا العربي، للاستفادة من المبادئ النفسية في تنمية الانسان العربي، واعادة تكوينه وتمتعه بالصحة النفسية والعقلية، وتحقيق تكيفه وسعادته ورفاهته وتقدمه وتطوره، وحمايته من الاصابة بالامراض النفسية والعقلية، والتي يزداد انشارها في هذه الايام الى الحد الوبائي.

المدرسة العربية

يواكب هذه الدعوة العملية التطبيقة في فكر العلامة/محمد النابلسي دعوات اخرى لا تقل اهمية ولا قدرا ولا شرفا عن دعوة التطبيق وهي تكوين مدرسة عربية في علم النفس. بحيث تنبع حقائقها ومعطياتها من الواقع العربي وهو ما زال مجالا خصبا وبكرا امام الباحث العربي في العلوم النفسية. وذلك حتى لا يقال ان علماء النفسي في بلادنا ان هم الا مجرد نقلة ومترجمون للتراث السيكولوجي في بلاد الغرب. واذا كان هذا الوضع صحيحا لاصبح علم النفس المنقول غريبا وبعيدا عن الروح العربي الاصيل. وغير معبر عن اعماق الشخصية العربية... تلك الشخصية التي تربت ونشأت وترعرعت على ضفاف الثقافة العربية، وهي ثقافة. ولا شك، اصيلة وراقية.

والكتاب الذي اشرف بتقديمه للقارئ العربي الكريم عبارة عن حلاصة فكر عالم عربي يمتلئ حسه ووجدانه بالحماسة لكل ما هو عربي ووطني صادق. ولقد أفراد الدكتور النابلسي الفصل الأول من كتابه للدعوة لضرورة قيام « مدرسة عربية للطب النفسي ولعلم النفس » وفي هذا الفصل يورد المبررات الداعية لقيام علم نفس عربي المنشأ والمادة والمنهج ويعني بالشخصية العربية ومشاكلها، وكيفية تنميتها.

ويتبع هذه الدعوى لاقامة « علم نفس عربي ». ضرورة ترجمة التراث العلمي الغربي، مع ضرورة الاتفاق بين العلماء على المصطلحات الفنية المستخدمة في مجال علم النفس وترجماتها من

اللغات الأجنبية تسهيلا وتيسيرا للتواصل العلمي بين علماء النفس على امتداد عالمنا العربي.

وبطبيعة الحال كان لا بد للدكتور النابلسي أن يدعو إلى ضرورة التوسع في إجراء البحوث الميدانية العملية على واقع البيئة العربية , ثم توثيق هذه البحوث وربطها بشبكات الحاسب الالي لسهولة تداولها بين المشتغلين بعلم النفس والطب النفسي. ومن ثم التنسيق وتبادل الاستفادة ومنع التكرار وضياع الجهود.

ويمتاز الفكر السيكولوجي عند الدكتور محمد النابلسي بالشمولية والتكامل, وعلم النفس لا يقف في الميدان مستقلا عن غيرة من العلوم والمعارف الأخرى, وانما يتفاعل ويترابط وإياها فيتفاعل مع الطب الأدب والفلسفة والهندسة وعلم الاجتماع واللغويات والتربية.

وهنا تبدو حقيقية جوهرية في الفكر السيكولوجي عند الدكتور النابلسي مؤداها أن هناك جانبا سيكولوجيا في كل هذه الفروع وتلك المجلات, فالسياسة والطب والعسكرية والاقتصاد والتربية, لا تخلو من وجود عناصر نفسية قوية تحرك العمل في هذه المجلات. ويستعرض د. النابلسي مشكلة من أهم مشاكل التطبيق في مجال علم النفس والتربية وهي تلك المشكلة المتعلقة بمشروعية تطبيق الاختبارات والمقاييس النفسية المنقولة أو المترجمة عن اللغات الأجنبية. وتتمثل هذه المشكلة في وجوه من يعارض تطبيقها على عينات عربية أو على الشخصية العربية وهي مصممة ومقننة للاستخدام على شخصيات أميركية أو غربية تربت في ثقافات مغايرة للثقافات العربية, وعلى ذلك لا يصح أن نقارن درجات طفل في أعماق الريف أو الصعيد المصري مثلا بدرجات نده أو زميله الأمريكي.

فقد يكون من السهل ان نسأل الطفل الأميركي. عن طول ارتفاع تمثال الحرية، ولكنه من غير اللائق أن نوجه السؤال ذاته للطفل العربي. ولكن للرد على هذه الاشكالية نقول ان علماء النفس والتربية لا يطبقن الاختبارات الاجنبية بصورتها الاصلية او ينقلونها نقلا حرفيا وانما يعيدون صياغتها ومفرداتها ويعيدون حساب صدقها وثباتها بتطبيقها على عينات عربية، ويضعون لتفسير حساب صدقها وثباتها بتطبيقها على عينات عربية، ويضعون لتفسير دلالاتها "معايير" مستمدة من التطبيق،على الشخصيات العربية، وبذلك لا نقارن الطفل العربي بطفل امركي، وانما نقارن درجاته بزميله العربي، بل الذي يتحد معها او يتساوي معه في السن والجنس والمستوى التعليمي والاجتماعي والاقتصادي ومحل الاقامة.

ولذلك نبه النابلسي، وبكل الحق، اننا "هنا نستنتج استحالة تطبيق أي اختبار نفسي وفق الاسس والاصول الغربية في مجتمعنا العربي اذ ان القواسم المشتركة تكاد تنعدم نل وتتناقص في اكثر من ناحية ويلخص ذلك في شكل الصعوبات اللغويه، واختلاف النظام الأسري ومكانه الرجل والمرأة واساليب التنشئة الاجتماعية للذكر والانثى في مجتمعنا العربي عن نظائرها في المجتمع الأوروبي.

وينادي الدكتور النابلسي بضرورة صبغة المعالجات النفسية في البيئة العربية بالصبغة العربية والثقافية والأخلاقية. وفي قضية النقل والاقتباص عن الغرب ينبغي ان نقول ان الاقتباص والنقل والاستفادة من حضارة الغرب وعلومه العلاقة بين الطب وعلم النفس يدعو النابلسي الى تحاشي صراع الاختصاص وبدلا منه يدعو الى قيام التعاون بين الطب والمشتغلين به وعلم النفس والقائمين عليه. كما يدعو الى قضية بالغة الاهمية والخطورة وهي ضرورة نشر الوعي النفسي او الثقافة النفسية كسبيل اكيد للوقاية والحماية من الاصابة بالامراض النفسية والعقلية والسيكوسوماتية، وذلك بالاكثار من الندوات وعقد المؤتمرات ونشر الكتب والكتيبات والمجلات القاء المحاضرات العامة في مجال التوعية الصحية.

والحقيقة ان قضية التوعية قضية بالغة الاهمية، فهي تحمي المواطن العربي من الوقوع في مستنقع المرض العقلي. او السقوط بئر الادمان او الوقوع في برائن الجريمة والانحراف والازمات او الوقوع في برائن الجريمة والانحراف والازمات النفسية تبدد طاقة الانسان وتهدها وتشتت الانتباه وتقضي على الطاقة الانتاجية، ولذلك فان العلاج انما هو ضرب من ضروب الاستثمار النافع، وليس من قبيل الخدمات.

وفي مجال العلاج يتحدث د. النابلسي عن ضرورة قيام فريق متنوع التخصص بعملية العلاج بدلا من ان ينفرد به معالج واحد. وذلك استكمالا للصورة المرضية، وشمولا وتبادلا للخبرات. ولا يفوت الدكتور النابلسي ان يدعوى الى ضرورة تأهيل وتدريب الطبيب النفسي تأهيلا علميا واخلاقيا ومهنيا.

ولا ينسى الدكتور النابلسي انه عاش وعاصر وكابد من ويلات الحرب التي اندلعت شرارتها على ارض وطنه الام لبنان الشقيق، ولذلك تحدث عن عصاب الحرب اللبنانية، والهلع من السيارات المفخخة والاضطرابات العقلية والنفسية والعصبية والسيكوسوماتية التي تعقب صدمة الحرب وضغوطها النفسية.

وفي ختام هذه الدراسة الرائدة يستعرض الدكتور النابلسي مناهج البحث في حالات الكارثة، وطرق اجراء فحص الذين يتعرضون للصدمات والتعرف على الاثار الجسمية والنفسية التي تدركها الصدمة في شخصية المصدوم.

ومن امثلة الصدمات الحروب والزلازل والبراكين والفيضانات والسيول.

وبعد، فهذه رحلة عابرة في ارجاء فكر النابلسي السيكولوجي ودعاويه للنهوض بهذا العلم الفتي والشاب والحديث والاستفادة منه الى اقصى درجات الاستفادة في النهوض بعالمنا العربي. وفوق كل شيء في النهوض بالانسان العربي الذي هو اغلى ما نتملكه من ثروات.

*المؤلف: محمد احمد النابلسي
الناشر: دار الطليعة 1995

مجلة "بصائر نفسانية"

مجلة المستجدات العربية في علوم وطب النفس

عدد خاص (خريف - 2021)

ملحق العدد 35 (تاريخ الاصدار 08 اكتوبر 2021)

اليوم السنوي السادس " اللياقة النفسانية والفكرية للانسان العربي

الذكرى السنوية السادسة لرحيل العالم النفساني العربي البروفيسور محمد احمد النابلسي

إشراف: د. جمال التركي (الطب النفساني - تونس)

رئيس التحرير ونيس مؤسسة العلوم النفسية العربية

رابط تحميل ملحق العدد 35 (مجاني)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=485&controller=product&id_lang=3

فهرس & إفتتاحية ملحق العدد 35

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/eJbs35/eJbs35Supp-Content.pdf

ملخصات كامل العدد 34

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/eJbs35/eJbs35Supp.HTM

دليل المجلة

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-eJbs.htm

الفهـــرس

الإفتتاحية

وما زلنا نكدح معا نحو لياقة نفسانية وفكرية أفضل لإنساننا العربي - جمال التركي

الفصل الأول: "شعن" واللياقة النفسانية - إعداد: جمال التركي

إصدارات ومجلات رقمية

أعمال بحثية ودراسات ... ملخصات

الفصل الثاني: "النابلسي" واللياقة النفسانية - إعداد: جمال التركي

الإصدارات المكتبية للبروفيسور محمد احمد النابلسي

اصدارات رقمية بكامل نصوصها

مؤلفات على "ش.ع.ن"... فهارس ومقدمات

الأبحاث الأكاديمية للبروفيسور محمد احمد النابلسي

كامل أعداد "مجلة الثقافة النفسية المتخصصة"- شارك في الإعداد: وسيم النابلسي (لبنان)، لوجين جبور (لبنان)

شهادات في حق البروفيسور محمد احمد النابلسي

ألبوم صور ...النابلسي الكادح

قـــراءات في الفكـــر السيكولوجـــي والسياســـي النابلســـي

حول مستقبل العلوم الإنسانية في الوطن العربي

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

تتعرض العلوم الإنسانية راهنا لمراجعات نقدية مكثفة. وهذه المراجعات ليست من نوع الترف النظري-الفكري كسابقاتها. فهي مطروحة كضرورة ملحة وحيوية للحفاظ على الفعالية الاجرائية لهذه العلوم. إذ أن استمراريتها مرتبطة بالتعديلات المنهجية والفكرية التي يمكن لهذه المراجعات إدخالها لتحديث هذه العلوم وتخليصها من شوائب تكاد تقضي على فعاليتها. وبهذا يمكن لهذه العلوم الاستمرار في البرهان على فعاليتها وقدرتها على تحسين مستوى اللياقة النفسية والفكرية للإنسان. حيث الإنسان هو طموح هذه العلوم وموضوعها.

والواقع أن ثورة الاتصالات والمعلومات قد تسببت في إحراجات كثيرة ومتعددة الصعد لمناهج العلوم الإنسانية وأيديولوجياتها. مما اقتضى المراجعة.

ورقتنا هذه تهدف تحديدا" إلى مناقشة دواعي المراجعة النقدية لهذه العلوم على ضوء تطبيقاتها العربية. وذلك عبر محاولة تحليل رجعي لهذه التطبيقات. ويمكننا تصنيف دواعي هذه المراجعة على النحو التالي:

1- جاءت **طفرة العلوم النفسية** مرافقة لصعود النظرية البراغماتية الداعية لتخلي الفلسفة عن طموح التصدي لألغاز الكون لصالح التعمق في دراسة العوالم الداخلية للإنسان وللسلوك الإنساني. الأمر الذي افقد هذه العلوم مرجعيتها الفلسفية وأبقى الماورائيات خارج حدود اهتمام هذه العلوم. مما جعلها تصطدم بالفكر التقليدي وشجع ظهور علوم إنسانية موازية (الباراسيكولوجيا مثلا") يقبل عليها الإنسان المعاصر لمواجهة قلقه مما بعد الموت.

2- بالرغم من الجهود والإمكانات الموظفة لخدمة العلوم الإنسانية نلاحظ **تصاعد إقبال الجمهور على العلوم الموازية.**

3- إذا كانت العلوم الإنسانية قد برهنت على فعاليتها الاجرائية في الحضارة الغربية فإنها **عجزت في المقابل عن إثبات مثل هذه الفعالية** في الدول العربية. حيث عجزت هذه العلوم عن تقديم دعم فعلي لسيرورات التنمية والتطور العربية. كما اصطدمت محاولات استنساخ التجارب الأجنبية بالفوارق الثقافية مما أفقد هذا الاستنساخ أية فعالية.

1. بدت العلوم الإنسانية وكأنها البديل لعلم السياسة التقليدي. لكن مجريات الأمور أثبتت **قدرة السياسة على توظيف هذه العلوم لمصلحتها.** فباتت مصداقية الشمولية الإنسانية التي تدعيها هذه العلوم موضع شكوك.

2. يبدو **فرع المستقبليات المستجد وكأنه يصهر كافة العلوم الإنسانية** ويكامل في ما بينها. مع ملاحظة تسخير هذه التكاملية للتوظيف السياسي. وان كان لها الفضل في إبراز مواطن الضعف في مناهج هذه العلوم. وبالتالي فقد كان للمستقبليات الفضل في إطلاق حركة المراجعة النقدية لهذه العلوم.

إن مناقشة هذه النقاط تقتضي الانطلاق من نظرة نقدية– ابستمولوجية للعلوم الإنسانية وللمخاض العسير لها في الوطن

العربي. حيث لا يمكننا الادعاء بالإحاطة الشاملة بالموضوعات التي تطرحها هذه الورقة. فحسبنا أننا ننبه إليها ونطرحها للنقاش.

تمهيد

لم تنجو العلوم المسماة بالدقيقة من تهمة عدم الدقة. فقد بدأ الجدل حول دقة الفيزياء من التعارض بين نظريتي الإشعاع الأساسيتين. وهما نظرية الجزئيات (الإلكترونات) لنيوتن ونظرية الموجات لبوكو. بحيث ظل الباحثون ينظرون للضوء نظرتين مختلفتين باختلاف هاتين النظريتين لفترة. ولم يكن أحد قادر على الانتقاء والمفاضلة بينهما. وبقي الأمر على هذا النحو لغاية العام 1938 عندما ظهرت كتابات تكامل بين النظريتين. ولعل أهمها كتابات كل من نيلز وبوهر. التي أكدت أن كلتا النظريتان صحيحة. إلا انهما تتفاعلان على مستويات مختلفة من غير تلازم أو تبادلية. ففكرة التلازم عند بوهر تنطلق من استحالة القياس المتلازم والمتزامن لوضعية إلكترون ما بنفس المستوى من الدقة. وهذا المثال يقودنا إلى إدراك مدى شيوع الوقائع الممكنة التفسير بشكل أو بآخر مع فارق زمني بين الأشكال و مع وضع كل تفسير في إطاره المرجعي الخاص. إلا أن هذه الأشكال المختلفة للتفسير تجد نفسها في إطار تكاملي بكل معنى الكلمة. وعليه فان أية واقعة خام لا يمكن إرجاعها مسبقا" إلى العلوم الإنسانية (بمختلف فروعها). إذ أن تفسيرها وحده هو الذي يمكنه أن يحولها إلى معطى علم إنساني. وإذا أردنا إعطاء أمثلة اكثر انتشارا وتداولا" حول انعدام الدقة العلمية أمكننا مراجعة الكم الهائل من المعلومات الطبية التي تعرضت لمراجعات جذرية. بما في ذلك الفروع الطبية الفيزيائية والكيميائية. ومثل هذه الأمثلة غير ممكنة الحصر في مختلف الميادين العلمية. مما يجعل من عمليات التحليل الرجعي للعلوم الإنسانية ومعطياتها وتطبيقاتها عمليات مبررة وضرورية. خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان توقعات التغيير الجذري للمجتمع الإنساني بفعل ثورة الاتصالات وسيول المعلومات المصاحبة لها.

في ما يلي سنحاول مقاربة القراءة النقدية للعلوم الإنسانية عبر ارتباطها بالعلوم الدقيقة. علنا بذلك ننجح في تبيان محاولات وجهود العلوم الإنسانية لاكتساب معايير اكثر دقة عبر اعتمادها مبادئ تنتمي للعلوم الدقيقة. وكذلك نرى أن هذا الربط من شأنه أن يوجه عملية التحليل الرجعي وفق معادلات ومبادئ اكثر دقة ومعيارية.

1. الوظيفة المرجعية للعلوم الدقيقة.

سئل داروين عن المرجع الفكري لنظريته فأجاب بأنه استوحاها من المالتوسية القائمة على خطين بيانيين. الأول يقيس النمو والثاني الزيادة السكانية. مما يجعل من الأوبئة والحروب ضرورة لتجنب المجاعات. وهنا يقول داروين بأنه استنتج من هذا النموذج الرياضي فكرة أن الصراع على البقاء هو الذي يمتص الزيادات السكانية. وهكذا دعم داروين فكرته (القائلة بان الإنسان سليل القرود) بمعادلة رياضية. واستسلم معاصروه لهذا الدعم (بناء" على نمط التفكير السائد في حينه). لكن أحدا" لم يسأل أو يناقش داروين في مسألة كونه يطرح المشكلة من الخارج في حين أن المشكلة الحقيقية هي من الداخل. أي كيف يتم الانتقال من حلقة إلى أخرى في سلم داروين.

انطلاقا" من مثال داروين يمكن القول بأن الموديلات الرياضية لا تزال تحقق الانتصارات. وهذه الانتصارات لا تعود إلى فعالية هذه الموديلات وحقيقيتها بقدر ما تعود إلى فعاليتها. وهنا تجب مناقشة عدم دقة الرياضيات. إذ انه من الممكن الوصول إلى النتائج المحددة مسبقا" عن طريق انتقاء الموديلات الرياضية المناسبة. وتزداد خطورة هذا الانتقاء مع تقدم الاتصالات والمعلوماتية. الأمر الذي يستدعي إيجاد الضوابط الكفيلة بالحد من إساءة استخدام العلوم الدقيقة من قبل الباحثين في العلوم الإنسانية. وهنالك محاولات جادة في هذا الاتجاه تعمل على إخضاع البحوث الإنسانية لضوابط ومبادئ العلوم الدقيقة. وهذه المحاولات تعتبر مرجعية في عملية النقد العلمي للإنسانيات. وقبل عرضنا لهذه المحاولات (بعضها تم إرساؤه بنظريات ومناهج) نود التنبيه إلى الخطورة الفائقة الكامنة في عولمة الأنماط القيمية البراغماتية عبر العلوم الإنسانية. التي تتحول إلى حصان طروادة يدخل الفكر البراغماتي عبره إلى عقول باحثين في مجتمعات ذات نظم قيمية مختلفة. مما يحول هذه العقول إلى الأسر ويضعها في مواجهة مع مجتمعاتها. بما يعود بالأذى على الباحث والمجتمع معا".

2. الرياضيات ومثلث الشواذ

تعتمد السياسة راهنا على ثالوث فائق الفعالية والخطورة في آن. ويتألف هذا الثالوث من: السلطة والإحصاء والمعلومات. وتعتبر الرياضيات الأم الشرعية لهذه العناصر الثلاث. فقد أكد فيثاغوروس أن كل شيء هو رقم. ولما طلب أحدهم من اوريتوس أن يبرهن له أن الإنسان هو "رقم" طلب منه اوريتوس أن يتمدد على الأرض وراح يضع الحصى حول محيط جسده. الذي اتسع لـ 666 حصاة. فقال له أوريتوس أن رقمك هو 666 بادئا" بذلك لعبة تحويل الإنسان إلى رقم. كما أن الطابع التجريدي للموديلات الرياضية جعل الناس يجهدون لتنظيم أفكارهم عن طريق ربطها بأحد هذه الموديلات وتعديلها على أساسه. ففي أي حوار عادي نجد أن الرأي الراجح هو ذلك الذي

يستطيع صاحبه ربطه بأحد الموديلات الرياضية.

بالمقارنة نجد أن الإحصاءات تلعب في عالمنا الراهن دور الموديلات الرياضية الجاهزة. مع قابلية خاصة للانتشار والتعميم عبر الاتصالات المتطورة. وهكذا يصبح المتحدث الأكثر إقناعا" هو ذلك الذي يدعم رأيه بقدر اكبر من الإحصائيات. ولهذه الموديلات الإحصائية خطورة قاتلة للمنطق. إذ تتوافر الإحصاءات بأشكال ونتائج متضاربة ومتناقضة. بما يجبر غير المتخصص على الاقتناع بالرأي ونقيضه في آن معا". وهذه الجهوزية المسبقة للإحصائيات المتناقضة تكاد تقضي على العلوم الإنسانية عن طريق تفريغها من مصداقيتها. وهذا هو الخطر الأكبر الذي يهدد مستقبل هذه العلوم.

3. الأسر العقلي

يمتاز العقل الأسير بمواقفه نظيرة الفصامية. وذلك من خلال تفككه وتوزعه بين انتمائه الموروث وبين ذلك المكتسب (بالتبني). وهو يعاني الرفض إذ انه مرفوض في الدول التي تأسره لكونه حاملا" بذور عالمه الأصلي. كما انه مرفوض في مجتمعه لعجز هذا المجتمع عن تامين شروطه كما لرفضه مبدأ الأسر. وهكذا يتحول العقل الأسير إلى رافض في حيلة دفاعية لتجنب الاعتراف بكونه مرفوضا". بما يستتبع إصرار هذا العقل على تطبيق مناهج ونظريات وأساليب التفكير والحياة اليومية الغربية في بلد يفتقد لجزء كبير من التقديمات الأساسية. وإذا كانت الشروط الصارمة للعلوم الدقيقة تحد من انعكاسات هذا الأسر فان نسبية معايير العلوم الإنسانية تجعل منها الميدان المختار للأسر العقلي. مما يطرح مشكلة تعوق إمكانية انتفاع الدول النامية بهذه العلوم. ومن المفارقات الهامة في المجال إصرار الباحثين الأجانب على مراعاة الفروق الثقافية والبيئية في حين تصر العقول الأسيرة على تجاهل هذه الفروق والتنكر لها. ولعل المثال الأوضح على ضرورة احترام هذه الفوارق يتمثل في المتوسطات الإحصائية التي توضع القوانين والتشريعات على أساسها والتي غالبا" ما تتحكم في تحديد الحقوق و الواجبات. والخطأ يبدأ من اعتماد المتوسطات (وهي مجرد أرقام) وتجاهل الخصوصية الفردية. فبالاستناد إلى المتوسطات نجد أن هنالك شريحتان بعيدتان تماما عنها. الشريحة الأولى تبتعد صعودا" والثانية هبوطا" بحيث تتحول هاتان الشريحتان إلى الهامشية. الناجمة في هذه الحالة عن عدم مطابقة القوانين لمتطلبات وظروف هذه الفئات. وعليه فان على كل مجتمع أن يسعى لتحديد متوسطاته بالطرق التي تضيق هاتان الشريحتان قدر الإمكان.

4. الإنسانيات والبحث عن الحقيقة

للحقيقة وجوه عديدة وبسبب نسبيتها فان وجوهها تملك العديد من سمات التمايز التي توحي بالاختلاف. وكلما تمكن المتعاملون مع الحقيقة من مطابقة عدد اكبر من وجوهها كان ذلك مدعاة لإدراك أعمق للحقيقة. ومن هنا كان اللقاء بين العلوم الباحثة في الحقيقة وتداخل هذه العلوم في ما بينها بهدف استكشاف وجوه إضافية جديدة لها. وهنا يمكننا أن نذكر بقائمة من اللقاءات ما بين العلوم الإنسانية والعلوم الدقيقة. حيث تتجلى أهمية هذه اللقاءات بدور النقد والضبط المتبادل بالإضافة إلى إعطاء صور متنوعة تتضافر لإيضاح الحقيقة.

من هذه اللقاءات يهمنا التذكير باستخدام الميكروتحليل نفسي لنظرية الطاقة المحايدة ولتطبيقات نظرية الهولوغرام الفيزيائية- البصرية في مجال السيكولوجيا والطب العصبي. وكذلك باستعانة الدراسات الأنثروبولوجية بالبحوث والتحاليل الطبية. حتى وصلنا إلى مرحلة الحديث عن ثورة ما بعد معلوماتية وهي الثورة البيولوجية. التي اعتبرها المستقبلي الأميركي فوكوياما (صاحب فرضية نهاية التاريخ) بمنزلة الثورة المكملة للارتقاء البشري. حيث الإشكاليات التي تطرحها هذه الثورة (الاستنساخ البشري وثورة الجينوم) تحتاج إلى مساندة ودعم العلوم الإنسانية. بسبب طرحها لإشكاليات أخلاقية ربما كانت المبرر لاستمرارية الحاجة للإنسانيات.

قـــــراءات في الفكـــــر السيكولوجـــي والسياســـي النابلســـي

الشخصية العربية و الوفرة الاقتصادية

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

تلعب **الوفرة الاقتصادية** دورا مقررا في تحقيق **توازن الشخصية الأممية**، في حين يؤدي **الشح الاقتصادي** إلى **تفجير العناصر التفككية** في هذه الشخصية بما يشجع اختلال توازنها. فإذا ما أضيفت إلى هذا الشح **الإثارة المقصودة** لعناصر التفكك، فإن الشخصية تجد نفسها أمام تحديات تدفعها للتثبيت على ماضيها واستنفار ذاكرتها للمحافظة على هويتها. **فالحفاظ على الهوية هو ركيزة التموقع بالنسبة إلى الآخر**. لكن هذا التموقع لا يكتمل إلا باكتمال تعرفنا إلى الآخر وإلى مواقعه والى أساليبه الخاصة في إدارة الاتصال وطرائقه في اختراق دفاعات شخصيتنا.

من هنا كان للعلوم النفسية، وللتربية على وجه أخص، دورها في **دعم سيرورة إعادة تنظيم الشخصية العربية** عن طريق تنشيط ذاكرتها وتأكيد موقعها وتعويض آثار الشح الاقتصادي ومواجهة مشاريع استثارة العناصر المفككة للشخصية العربية.

إن التحديات الحضارية التي تواجه أمتنا تقتضي الدراسة المعمقة لهذه التحديات من حيث الخلفيات والأهداف والوسائل المعتمدة لتنفيذها. وباختصار فإننا بحاجة لأن نملك تعريفات دقيقة (ومنسجمة مع شخصيتنا القومية) لهذه التحديات، وفي مقدمتها مصطلحات: العنف والإرهاب والتسوية والسلام والتطبيع والشرق أوسطية... الخ.

1- المعطيات والمصطلحات:

تعتبر **الكارثة قمة الأحداث الصدمية**، ويعتبر اضطراب الشدة عقب الصدمية أحد أبسط الآثار النفسية للكارثة. وما يصح على المستوى الفردي يصح على المستوى الجمعي في حالات الكوارث الجماعية، خصوصا عندما تكون هذه الكوارث معنوية. ولقد تعرضت أمتنا العربية خلال القرن العشرين إلى سلسلة مترابطة من الإحباطات المعنوية التي انعكست بشكل **كوارث معنوية بالغة التهديد للذات العربية**. فقد طاولت هذه الكوارث الهوية والانتماء القوميين، كما طاولت جسد الأمة حيث فتتت هذه الكوارث ذلك الجسد وحولته إلى أعضاء مزروعة إما في أجساد غريبة و إما أبقيت نابضة خارج جسد الأمة.

أيضا نلاحظ ثمة رغبة في القضاء على الدور العلاجي الذي تلعبه الوفرة الاقتصادية غرار ما حدث بحد نكسة 67 عندما ساهمت هذه الوفرة في تخطي آثار النكسة. فقد تحول المفهوم العالمي للصراع من العسكري إلى الاقتصادي، وبات يستعاض عن الاحتلال **بسياسة التعويق الاقتصادي** التي تثبت نجاحها في إبراز المظاهر التفككية لدى الشعوب.

لذلك فإنه من الضروري متابعة هذه المظاهر و**رصد الآليات الاصطناعية** التي تعمل على تفجيرها وفي ما يلي تعريف بعض المصطلحات ذات الصلة بموضوعنا وهي العقل الجمعي، و المظاهر التفككية، والوفرة الاقتصادية، والكارثة المعنوية.

2- تعريف المصطلحات:

أ- العقل الجمعي: تحد المعطيات النفسية- الاجتماعية من حرية الفرد في سلوكه الاجتماعي ويتم تعريف هذه المعطيات من خلال الأنظمة الرمزية التي تربط الفرد بمجتمعه. وهذه المعطيات تخضع لقواعد الأنثروبولوجيا الاجتماعية القائمة على توارث واكتساب التراث الحضاري والفولكلوري. ولهذه الأنظمة الرمزية قدرة التواصل عبر الأجيال، وهي ممكنة الاستخدام للتعامل مع الغيبيات. كما أنها مكيفة للتعامل مع الخصائص المميزة لحضارتها، حيث تأتي **اللغة** في مقدمة هذه النظم الرمزية وتليها العناصر الأنثروبولوجية المتجسدة في **تراث الجماعة**. وهكذا فإن عناصر العقل الجمعي ليست من صنع الأفراد، وإنما هي تنشأ عن اجتماعهم. لذلك **تقاس قيمة الفرد بقدرته على التعديل الإيجابي في النظم الرمزية للعقل الجمعي. في المقابل تقاس صحوة الجماعة بقدرتها على تقبل هذه التعديلات وإدراك قيمة محدثيها.**

ب- المظاهر التفككية: هي مظاهر تنشأ عن **فقدان الشخصية لوحدتها وتكاملها**، بحيث ينعدم التلاؤم والتناغم بين أفكار الشخص ومواقفه وانفعالاته العاطفية. وبمعنى آخر، فإن التفكك يرتكز إلى عيب في قدرة الشخصية على مكاملة وتركيب المكونات الدينامية

للأنا. ويمكن للتفكك أن يقتصر على صعيد الشخصية، أو أن يتخطاها إلى الجسد.

وهذه المظاهر تصادف في العديد من الاضطرابات النفسية والعقلية وخصوصا في حالة تعدد الشخصيات وفي حالات الفصام العقلي.

أما على الصعيد الأممي، فإن التفكك يرتكز إلى **عيب في قدرة الذات الأممية على مكاملة وتركيب المجموعات الدينامية التي يكون اتحادها عناصر هذه الذات.** ويستند التفكك الأممي إلى عوامل الاختلاف بين هذه المجموعات الدينامية. ومن أهم هذه العوامل (الفروقات) نذكر: العوامل اللغوية والعرقية والدينية والمذهبية والعشائرية والجنسية.. الخ. فإذا ما ترسخت المظاهر التفككية، رأينا الذات القومية تتحول إلى فتات من الأقليات.

ج- الوفرة الاقتصادية: تقوم بعض المجتمعات على الاندماج بين قائمة طويلة من الأقليات المتنافرة بحيث يصبح من غير الموضوعي إطلاق تسمية القومية على هذه المجتمعات التي لا تملك تراثا وذلك على غرار أستراليا والولايات المتحدة الأميركية. حيث نستبدل مصطلح القومية بمصطلح الأممية. الأمر الذي يدفع للتساؤل عن آليات هذا الاندماج ويستتبع جوابا واحدا هو الوفرة الاقتصادية القادرة على جلب أقليات جديدة مستعدة لتقديم التنازلات عن هويتها الأصلية من أجل هذا الاندماج. بحيث يصبح من الطبيعي الافتراض بأن الشح الاقتصادي هو الدافع الرئيسي لتفجير آلية تفكك الذات الأممية.

د- الكارثة المعنوية: تمثل فكرة **الموت الشخصي** أكبر الكوارث الشخصية بالنسبة للفرد.

ولا يفوقها أهمية بالنسبة للأفراد سوى **الكارثة المعنوية التي تطال الأسباب أو المعاني التي يرونها لوجودهم.** فيتقبلون عندها فكرة الموت الشخصي باعتبارها أخف وقعا وألما من الكارثة المعنوية.

3- تنظيم الشخصية:

تمر الشخصية بمراحل متعاقبة من اختلالات التنظيم. وغالبا ما **تعود هذه الاختلالات إلى تعرض الشخصية لشدائد و ضغوطات وصدمات تفوق قدرتها على التعقيل.** فهي **تحافظ على توازنها** أمام الأحداث التي تملك الشخصية القدرة على تعقيلها بغض النظر عن شدة هذه الأحداث وحدتها. أما حين تعجز الشخصية عن تعقيل ما تتعرض له من أحداث، فإنها تصاب **باختلال التوازن** (التنظيم). وعندها تبدأ ببذل الجهود الحقيقية لمحاولة تعقيل الأحداث لكي تستعيد توازنها. وغالبا ما يتم هذا التعقيل **بالنكوص إلى الماضي**، وتحديدا إلى تجارب شبيهة بتلك التي فشلت الشخصية في تعقيلها راهنا. ومساعدة الشخصية للحفاظ على توازنها تمر بدعم قدرتها على التعقيل، كما تمر بإنعاش ذاكرتها لتكون قادرة على استحضار تراث تجاربها بصورة واعية وبدون حاجة للخوض في حقول لاوعيها المزروعة بألغام الصراعات النفسية- الداخلية التي قد تنفجر لتصيب الشخصية بمظاهر التفكك.

لكن **إصلاح خلل التنظيم** يقتضي أولا التعرف إلى هيكلة هذا التنظيم وإلى مراحل نموه وتطوره. وللاختصار نعطي مثالا على هذه الهيكلية كيفية تنظيم الفكر اللغوي عند الطفل، مفترضين أن الهيكلية التنظيمية نفسها هي المعتمدة من قبل الشخصية الأممية، حيث نسجل المراحل التالية لتعلم اللغة:

1- الأحاسيس الجنينية: التي يختلف تشكيلها باختلاف مراحل نمو الجنين وتطوره، وهي تضم الاحساسات السمعية للجنين (إيقاعات ونغمية صوت الأم).

2- منذ الولادة وعلى امتداد الفترة العلائقية مع الأم: يلاحظ في هذه الفترة التطور الإدراكي للحواس (ومنها السمع) بحيث تحتل نغمات وإيقاعات صوت الأم (والأب والمحيط) أبعادا إدراكية جديدة وأكثر تطورا. هذا التطور الذي يتيح للطفل ربط أحاسيسه السمعية بعدد لا يحصى من الأجهزة العلائقية المتكونة في هذه المرحلة. من هذه الروابط يشير بيار مارتي إلى ردات الفعل الانعكاسية التي لا تلبث أن تتمايز في انتظامها من طفل لآخر بحيث تؤدي إلى التنظيم الذاتي (الخاص بكل طفل) لانقباض (تحظرب) عضلاته في الأجهزة المسؤولة عن الحفاظ على توازن الجسم ووضعيته. وهذا التنظيم إنما يتم بالتناسق مع تحظرب العضلات في الأجهزة الأخرى المعنية.

3- من خلال الروابط النظرية بين الأشكال السمعية والصوتية السابقة والمرافقة للإيماءات وللحركات ولأشكال الأشخاص الذين يراهم الطفل ويسمعهم.

4- من خلال توظيف الطفل الغريزي لتعابيره ولاصطلاحاته الصوتية (لغة الطفل الخاصة به) المتطورة باضطراد. وهذا التوظيف الغريزي يكون بالطبع على علاقة أكيدة بمختلف أنواع المزاج النرجسي والعلائقي، ولكنه ذو علاقة أكيدة أيضا بمختلف أنواع التصورات.

أثناء هذه المراحل الأربع يتم بناء "ما قبل الوعي " عند الطفل، وذلك بحيث يلاحظ أن تصورات الأشياء والكلمات تتناسق وتترابط تدريجيا في ما بينها. فالكلمات هي في الأساس أشياء لا تلبث أن تتحول إلى تصورات حسية- حركية أي إلى كلمات.

5- مرحلة الانتقال من اللغة المحكية إلى اللغة المكتوبة: وهو انتقال يجعل الوضع أكثر تعقيدا، فهو يقتضي تنظيما جديدا بين الأشياء والكلمات، الأمر الذي يوجب مساهمة أجهزة حسية - حركية جديدة. والشخص يعترف بهذا الانتقال بسهولة أو بصعوبة تحددها بنيته الذاتية. وهذا الانتقال بمنزلة تصور ثنائي البعد بالنسبة للتصور السابق.

بعد هذا المثال نستطيع الافتراض بأن **عملية التعقيل** (ونواقصها) هي عبارة عن **ظاهرة تطورية منتظمة للوظائف النفسية** وذلك على النحو التالي:

- لكل **وظيفة نفسية** مقدرتها الخاصة على **الارتباط بوظائف أخرى**، على أن تكون **الوظائف منتمية إلى مستوى التنظيم المتطور نفسه أثناء نموه**. والوظيفة النفسية تفقد هذه المقدرة على الارتباط عندما تنصهر مع الوظائف الأخرى وتؤلف معها **مجموعة وظيفية أكثر تعقيدا** لها مقدرتها الخاصة على الارتباط.

- تملك **المجموعة الوظيفية** بدورها مقدرة الارتباط مع مجموعات وظيفية أخرى (على المستوى التنظيمي ذاته). فإذا ما اتحدت المجموعات الوظيفية فيما بينها فإن كل مجموعة على حدة تفقد مقدرتها على الارتباط، وذلك بأن يتم الارتباط من خلال المجموعة الجديدة الأكثر تعقيدا من سابقتها.

- في كل مرحلة من مراحل الارتباط هذه، والتي تتتابع إلى ما لا نهاية، فإن **المجموعات المرتبطة تفقد قدرتها السابقة على الارتباط** (كما رأينا). وهذا الفقدان إنما يتم لمصلحة الارتباطات الجديدة. وذلك بحيث لا يبقى لقدرة الارتباط الأساسية سوى دور توجيهي تحدده، بشكل عشوائي، المجموعات المكونة حديثا.

- إن **صعوبات التعقيل** التي تكلمنا عنها هي، في رأينا، ناتجة عن إحلال الدور التوجيهي مكان القدرة الارتباطية الأساسية.

على هذا النحو نرى التوطد التدريجي للتطورات الطارئة على الشخصية. ونعني بها التوطد الذاتي بكل ما فيه من احتمالات ومصادفات وأصداء شخصية. على هذا المنوال ينشأ تنظيم الآلة العقلية مع ما يعتريه من الشوائب القابلة أحيانا للشفاء. ونحن من خلال تعرفنا على هذا التنظيم الذاتي نستطيع أن نحصر- وبصورة أفضل وأدق- الاحتمالات والمصادفات وكذلك الأصداء الذاتية للشخصية.

4- تنظيم الشخصية العربية:

إذا انطلقنا من اعتبار **الانتماء مثالا على الوظائف النفسية للشخصية الأممية** وطبقنا آليات التنظيم المشار إليها أعلاه على الشخصية العربية لوجدنا أن لهذه الشخصية **صفاتها الجنينية (التاريخية) الواضحة والمحددة**. وإن كان البعض يعتبر أن عدم التدوين قد أفقد هذه الصفات الكثير من وضوحها. ذلك على الرغم من إمكانيات التموقع التاريخي حيث يواجهنا التاريخ بعداء اليهود لأبناء إسماعيل (العرب) وتضمن طقوسهم لهذا العداء. وقس عليه بالنسبة لفترة تعلم اللغة المسموعة وارتباطها بالعضلات المحركة، بما يوازي حقبة بدايات اللغة العربية، حيث نجد من الدراسات الأنثروبولوجية- اللغوية ما يساعدنا على التحديد الدقيق لملامح تلك الحقبة. ونأتي بعد ذلك إلى حقبة الجاهلية (تعادل فترة اللغة المكتوبة) حيث بدأت معالم الشخصية العربية بالتشكل. وحيث نرى **أن الانتماء (كوظيفة نفسية للشخصية الأممية) كان يحدد انطلاقا من نطق اللغة العربية** وصولا إلى التباري في التعمق بفلسفتها واستخدامها كأداة تفكير إبداعي وفكري. كما نرى في الجاهلية عنصر **الانتماء العرقي والصحراوي إلى جانب اللغوي**.

هذا الانتماء بعناصره العامة المشتركة كانت له مقدرة الربط بين انتماءات (وظائف نفسية) أخرى تنتمي إلى المستوى الوظيفي المتطور نفسه أثناء نموه (أي الانتماءات المتعاصرة في تلك الحقبة من تطور الشخصية العربية). من هذه ما هو ديني (اليهود- المسيحيون- الابراهيميون- الوثنيون)، ومنها ما هو سلالي (القبائل ومتفرعاتها من بطون وأفخاذ). فلو عدنا إلى تلك الحقبة لوجدنا تداخل هذه الانتماءات وانصهارها في مجموعة وظيفية معقدة. فقبل مجيء الإسلام كان العرب واليهود والمسيحيون مثلا متعاطفين مع إخوانهم في الديانة ولكنهم أيضا مختلفون عنهم. ولما جاء الإسلام طرح انتماء جديدا يعادل وظيفة نفسية أكثر تطورا، إذ تتضمن هذه الوظيفة اقتراحات محددة للتنظيم داخل المجتمع. وبذلك فقد جمع الإسلام بين أكثر من انتماء (ديني وسلالي) وصهرها في مجموعة وظيفية أفقدت الانتماءات الأساسية الكثير من ارتباطاتها الأصلية. لكن اتساع انتشار الإسلام وإدخاله لانتماءات متباعدة وغير عربية فيه أديا إلى حصول اختلاف وظيفي في المجموعات الوظيفية المتشكلة استنادا إلى الإسلام. ذلك أن الانتماء الأساسي للشعوب الداخلة في الإسلام بقي مؤثرا وإن كان هذا التأثير ضئيلا. لكنه كان كافيا للتفريق بين هذه المجموعات الوظيفية التي تزعمتها في حينه المجموعة الوظيفية العربية.. هذه الزعامة التي أعطت الشخصية العربية قمة توازنها وأفضل درجات تنظيمها الهيكلي. لكن هذا التوازن لم يدم طويلا فقد بدأ الاختلاف مبكرا وإن تأخر ظهوره، شأنه في ذلك شأن سائر الأمراض التي تتطور بصورة خفية. والواقع أن بداية هذا الاختلال

كانت مع الانشطار الذي حصل داخل المجموعة الوظيفية العربية (الإسلام العربي)، والذي كانت أولى نقاط انطلاقه **موقعة الجمل** التي **تعتبر نقطة تثبيت- نكوص، وأيضا علامة موت بحسب التعابير التحليلية- السيكوسوماتية.**

ثم توالت بعد ذلك علائم الموت وتراكمت حتى أنتجت تجسيدات طاولت تكامل الشخصية وجسدها (أي جغرافيتها)، فكان التفكك التدريجي للدولة العباسية بمنزلة عملية نكوص واسعة حررت بعض الانتماءات الأساسية من القيود التي فرضت عليها من خلال دخولها في المجموعة التنظيمية الكبرى وهكذا عاد كل انتماء منها إلى بعض روابطه الأصلية، وكانت **هذه العودة على حساب الروابط التكاملية،** وبالتالي على حساب توازن الشخصية الأممية.

بالعودة إلى السيكوسوماتيك، نجد أن توازن الشخصية يرتكز إلى التوازن بين علائم الحياة وعلائم الموت لديها. فإذا ما تعرضت للرضوض فإنها تبحث عن تفريج لها إما بمظاهر نفسية (فكرية في حالة الشخصية الجمعية)، وإما بمظاهر جسدية (جغرافية في حالة الشخصية الجمعية)، وإما بمظاهر مشتركة، فأما المظاهر النفسية (الفكرية- السياسية) فإنها تعتبر علائم حياة، وأما المظاهر الجسدية (الجغرافية) فتعتبر علائم موت.

بناء على ما تقدم نستطيع شرح **تفكك الدولة العباسية على أنه تجسيدات موازية لعلائم الموت.** وإذا كانت هذه التجسيدات غير كافية للتسبب في الموت إلا أنها كانت كافية لإحداث خلل عميق في توازن الشخصية العربية، الأمر الذي انعكس بحلول الإسلام الطوراني مكان الإسلام العربي. وكانت جهود حقيقية من قبل الأتراك للقضاء على الروابط الأصلية للشخصية العربية وإحلال روابط تنظيمية- إسلامية (على النمط التركي) مكانها. إلا أن الضربة القاسمة لتوازن الشخصية العربية أتت من خلال **عمليات تشريح لعقلها الجمعي** بهدف البحث عن تناقضاته (أي عن علائم الموت فيه) حيث جرى تحديد هذه التناقضات بدقة. فكانت اتفاقية سايكس- بيكو أول تطبيق عملي لهذه المعلومات. والأخطر من هذا وذاك أن **الشخصية العربية اليوم تواجه محتويات لاوعيها بصورة صادمة** (تماما كما يحصل في التحليل النفسي الوحشي)، وهي تضطر للاعتراف بهذه المحتويات ولتعقيلها بصورة قهرية وإجبارية. حتى إنها تكاد تحرم من الاشتراك في مناقشة هذه المحتويات وسبل تعقيلها الموضوعي (بدلا من التعقيل الفظ والإجباري). ومثال ذلك ما يعقد من مؤتمرات تناقش أزمات الوطن العربي في دول أجنبية وتستبعد ممثلي الشخصية الجمعية خصوصا عندما تركز هذه المؤتمرات على نقاط التثبيت القابلة لإحداث انفجارات جديدة في عقل الأمة وفي جسدها.

5- التحديات التي تواجه الشخصية العربية:

إن **استعادة الشخصية لتوازنها** يمر **بعمليات نكوص مدروسة** تتم من خلالها **مراجعة نقاط التثبيت- النكوص** (علائم الموت) واكتشافها بهدف **التخلص من ثقل تأثيرها على الوعي الراهن للشخصية.** لكن هذا النكوص يجب أن يتم بحذر لأن اللاوعي هو حقل مليء بالمتفجرات. وبالتالي فإن إجبار الشخص على النكوص ودفعه قصرا وبفظاظة في حقل لاوعيه هو ممارسة وحشية، و التي يطلق عليها المحللون تسمية "التحليل الوحشي ". وهذا النوع من الإجبار يأتي في مواجهة التحديات التي تواجهها الشخصية العربية راهنا، حيث تتعرض للإجبار على خوض المناقشات وعلى قبول الحلول لمواضيع غير مطروحة في جدول أولوياتها. وفي ذلك تجاهل مفتعل لحاجة الشخصية إلى العلاج. ذلك أن أبسط تطبيق عملي لهذا المبدأ أننا نحتاج إلى حلول لمشاكلنا الراهنة والمعاصرة ولسنا بحاجة إلى أن تفرض علينا الحلول لمشاكل قتلها التاريخ وأعاد إحياءها المحللون المتوحشون. ومن هذه المشاكل المفروضة: الأقليات والإرهاب والتسوية والسلام والتطبيع والشرق أوسطية وغيرها..

أ- أزمة المصطلحات:

إن أبسط حقوقنا أن نرفض المصطلحات التي تسيء إلى قناعتنا والى شخصيتنا. فنحن نستوعب المبادئ التي تكون ليبرالية في بلدها لتتحول إلى استعمارية خارجه. ونوفر الكثير هذا المجال عن طريق الاستشهاد بنقاد الليبرالية من أمثال **نعوم تشومسكي،** وأيضا بالذين يحاولون إعادة قراءة الأساطير عن طريق نكوصات آمنة وموضوعية من أمثال غارودي. ولعله من المؤسف أننا تركنا لهؤلاء مواضيع كنا أجدر بمناقشتها والتصدي لها. لقد سأل هؤلاء عوضا عن تعريفات أكثر موضوعية لمصطلحات العنف والإرهاب والمحرقة والأسطورة والسلام والشرق أوسطية. ولا بأس من الاستناد إلى طروحاتهم لإكمال طريقنا نحو **حقنا في النظر المتساوي تعديل مدلولات المصطلحات** بما من شأنه **احترام هويتنا وخصوصية شخصيتنا.**

ب- أزمة المناهج:

خارج الموضوعية العلمية تقع الدراسات التي تحدد نتائجها سلفا. ولهذا التحديد لا بد من **منهجية مفبركة لاصطناع هذه النتائج.** ولعل أوضح مثال على ذلك **دراسات المسح الاجتماعي** تستهدف الوصول إلى نتائج تدل على بؤس الدول النامية لأن هذه النتائج تدعم نظرية

تدخل الدول المتقدمة بحجة الحد من هذا البؤس. لذلك نرى أن منهجية هذه الدراسات تعتمد على مؤشرات البؤس التالية:

1. **متوسط الأعمار**: حيث يتم تجاهل أثر الكوارث المصطنعة في خفض هذا المتوسط في الدول النامية.
2. **مستوى التغذية**: دون مراعاة أثر السياسة في سوق الغذاء.
3. **توافر مياه الشرب الصحية**: يتعلق بعوامل بيئية وجغرافية وسياسية.
4. **لقاحات الأطفال**: دون مراعاة احتكارات صناعة الأدوية.
5. **مستوى التعليم**. يتعلق بأولويات تعجز بعض الدول عن تحديدها.
6. **متوسط دخل الفرد**: غالبا ما يرتبط بحجم المديونية في الدول الفقيرة.
7. **معدل التضخم المالي**: دون مراعاة تدخل السياسة الدولية في الاقتصاد الداخلي.
8. **الإفادة من تقنيات الاتصال**: التي لا تمثل أولوية في الدول النامية.
9. **مستوى الحرية السياسية**: دون مراعاة اختلاف مدلولات المصطلح.
10. **التمتع بالحقوق المدنية**: دون مراعاة اختلاف مدلولات المصطلح.

وهذه المنهجية تجد سهولة غريبة في لي عنق الحقيقة وفي تجاهل جهود التنمية التي تبذلها بعض الدول النامية. ولعل المنطق يجعلنا نسأل وبإلحاح عن عاملين هما أشد عوامل البؤس دلالة وأهمية. وهذان العاملان هما:

1- نسبة الانتحار.
2- انتشار الإدمان.

لكن المراقب يدرك أسباب تغييب هذين العاملين إذ إن إضافتهما إلى العوامل العشرة أعلاه **تجعل من سكان الدول المتقدمة أكثر بؤسا من الفقراء**. وهذا البؤس يمكنه أن يتكرر من خلال عوامل فرعية أخرى مثل:

1- الانحرافات الجنسية.
2- إساءة استغلال الأطفال الجنسية.
3- انتشار هوس القتل والعنف الفردي والجماعي.
4- التفكك الأسري وما يتبعه من جرائم أسرية وجنح.
5- الحاجة المتهالكة إلى نظام قيمي والتي تكرست بعد الهزات الاجتماعية المتتالية في الدول الغنية (حرب فيتنام، ظهور الإيدز.. الخ).

هذه مجرد عينة من الأسباب التي تدفع دارسي الدول المتقدمة إلى اعتماد منهجية خاصة للبؤس، تربط بينه وبين الفقر فتكون النتيجة تكريس تقسيم سكان العالم إلى فقراء وأغنياء. وهذا الواقع يستتبع ضرورة رفض الباحثين الفقراء لهذه المنهجية والإصرار على إدخال عناصر جديدة تجعلها أكثر موضوعية وعقلانية.

ج- التحديات:

في رأينا إن التحدي الأول الذي يواجه شخصيتنا القومية راهنا هو **انسياقنا الإيحائي وراء النظرة الظواهرية للأزمات التي تهدد هويتنا**. فنحن نتعامل مع مشاريع مثل الشرق أوسطية والتطبيع والقهر الثقافي وغيرها على أنها ظواهر.. الأمر الذي يوقعنا في تناقض يجعلنا نبدو مخالفين للمنطق. فالمسألة ليست مثلا قبول الشرق أوسطية أو رفضها، بل المسألة هي كيف ندخل فيها بما يستتبع السؤال عن وضعنا كشركاء وحيثيات هذا الوضع ومستقبله. فنحن عندما نرفض هذا المشروع أو ذاك فإننا نوافق ضمنا على المنطق الذي يطرحه ونعلن إدراكنا لواقعة سير العالم نحو التجمعات الاقتصادية بين الدول، لنعود بعد ذلك إلى الخروج عن هذا المنطق بالرفض. لذلك فإن موقفنا يجب أن يتجه إما باتجاه **رفض الرؤية الظواهرية وطرح السوق العربية المشتركة** والإمعان في دراسة معوقاتها والسعي لتذليلها، وإما أن نعتمد هذه الرؤية فنبحث في مدى استعداد المشروع الشرق أوسطي لاحترام خصوصيات هويتنا ومستقبل ونمط علاقاتنا مع أطراف هذا المشروع.

التحدي إذا لا يكمن في المشاريع المطروحة بقدر ما هو متعلق **بالرؤية الكامنة خلف طرحها وبأهداف هذا الطرح القريبة والبعيدة**. فهل يقصد بالشرق أوسطية تحويلنا من عقل جمعي مشترك إلى مجموعة عقول اقتصادية متنافرة يرى أحدها المردود الاقتصادي المنتج في هذا المشروع ويرى الآخر فيه خسارة واجبة التجنب؟

بل ماذا نريد نحن من هذه المشاريع؟ فهل نحن نريد أن نكون داخل تجمع اقتصادي- إقليمي من شأنه أن يوفر لنا السلع الاستهلاكية بأسعار أقل، مما يزيد كمية اللحوم ومياه الشرب التي يستهلكها العرب الفقراء وأيضا بعض تقنيات الاتصال الرخيصة؟ أم أننا لا نزال مهتمين بمستقبلنا ونملك من علائم الحياة ما يكفي كي نفكر بضرورة حفظ واستمرارية النوع ومعها ضرورة مقاومة أية محاولة لطمس أي معلم من معالم هويتنا القومية؟

في هذا المجال لنا **اجتهادنا الشخصي** الذي لا نجرؤ على الرقي به إلى مستوى اقتراح الحل. فنحن ندرك أن لهذه المسائل أبعادا

تتخطى الأشخاص ومجموعات الأشخاص وحتى جماعات المثقفين، لأن مثل هذا الاقتراح يجب أن يستند إلى وعي اللحظة السياسية– الاقتصادية. هذا الوعي الذي يحتاج إلى مستقبليات قادرة على قراءة المتغيرات الدولية القادمة.

لذا نكتفي بإيراد اجتهاد لا طموح له سوى إبداء رأي متواضع في التحديات التي تواجه شخصيتنا القومية. قوام هذا الاجتهاد **اعتماد سيرورة نكوصية تنطلق من الحاضر إلى الماضي الأقرب ومنه إلى الأبعد فالأبعد**. فهذه السيرورة تساعد الذات على استعادة توازنها الذي تدمره النكوصات العشوائية إلى الماضي البعيد والتي تتجاهل الزمن المتراكم بينه وبين الحاضر.

بمعنى آخر، فإن مواجهة التحديات لا تبدأ بمناقشة ظروف وملابسات موقعة الجمل، بل هي تبدأ بالسؤال عن الأسباب التي جعلت الآخر يتجرأ على الدعوة إلى تغيير اسم جامعة الدول العربية، وعن الحالة الراهنة لهذه الجامعة، وعن أثر الخلافات العربية في تنحيتها، وعن أثر كامب ديفيد في زعزعة هيكليتها وعن فشلها في تحقيق تعاون عربي فعلي... إلى ما هنالك من الأسئلة وصولا إلى إعادة النظر بظروف إنشائها وما إذا كانت هيكلتها الأساسية ترشحها للفعالية الإجرائية أم تحدد دورها بتعويض العرب عن الجراحات الوحشية التي أجريت في الجسد العربي. بذلك تكون الخطوة الأولى في مواجهة التحديات هي **رفضنا تصنيف أقطار الوطن العربي وفق مقاييس الدراسة المعروضة أعلاه– أي إلى أقطار غنية وأقطار فقيرة**، إلى أقطار تملك مياه الشرب وأخرى لا تملكها... الخ– والاستعاضة عن هذا التصنيف بآخر **يقيس مستوى البؤس في وطننا العربي استنادا إلى الكوارث المعنوية اللاحقة به**، ابتداء من نكبة 1948 والمجاوز المرافقة لها ومرورا بعدوان 1956 ونكبة1967 وشيزوفرانيا حرب الخليج الثانية وجنون التطبيع الهوسي في اللحظة الاقتصادية– السياسية الراهنة. فإذا ما اعتمدنا مثل هذا التصنيف، فإننا لن نختلف حول المصطلحات لأن التصنيف بحد ذاته هو الذي يحدد دلالاتها. ولن نختلف حول ضرورة مجاراة اللحظة الاقتصادية– السياسية الراهنة لأننا نكون قد حددنا أسلوبنا في معايشة هذه اللحظة وتموقعنا فيها.

ولعل السلام هو أكبر التحديات التي تواجهنا راهنا، ولعلنا بحاجة إليه لإعادة هيكلة شخصيتنا القومية واستعادة توازنها. ولكن التحدي يكمن في شروط الآخرين التي تصوغ السلام بصيغ تقطع الطريق أمام حاجتنا هذه، وكأن هذه الشروط تحضر لجراحات وحشية جديدة في الوطن العربي. ولعله من حقا هنا أن نفضل الشتات على مثل هذه الشروط. فالشخصية العربية تدين بقدرتها الراهنة على التماسك وعدم الانهيار إلى قدرتها على الاستمرار في مقاومة إجبارات النكوص إلى الخلافات العرقية والمذهبية والعشائرية وغيرها، وفرض شروطها لمعايشة اللحظة الاقتصادية– السياسية الراهنة بما من شأنه أن يحول السلام إلى مأزق للآخرين، وبما يجعلهم يبحثون عن مخارج تبرر لهم تأجيله. لكن فترة التقاط الأنفاس هذه وتحويل السلام إلى مأزق للآخرين هي الوجه السياسي للحظة الراهنة. ويبقى الوجه الاقتصادي لهذه اللحظة. فهل ينسى العرب تلك الظاهرة التفكيكية التي قسمتهم إلى فقراء وأغنياء ليتذكروا أن لهم **شخصية جمعية لها كرامتها التي يجب ألا تهدر؟**

" بصائر نفسانية" - العدد 13 (شتاء 2018)

(بمناسبة انتقال البروفيسور محمد احمد النابلسي الى رحاب الله)

الملف: عدد خاص:النابلسي... بدر إفتقد في ظلمة ليل عربي

المشرف: د. جمال التركي

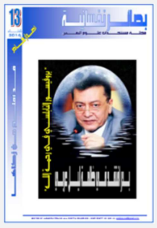

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/eJbs13/eJbs13-Content.pdf

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=90&controller=product&id_lang=3

" بصائر نفسانية"

ملحق العدد 18-19 صيف & خريف 2017

الملف " اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي "

المشرف: د. مرعي سلامة يونس

تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)

www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=315&controller=product&id_lang=3

قـــراءات في الفكـــر السيكولوجـــي والسياســـي النابلســـي

النفـس المقهـورة *

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

مناقشة لفرضيات التموقع العربي في الفضاءات العالمية

مصطلح الفوضى هو المصطلح الدلالي الأوفى لوصف ما آلت اليه السياسة الدولية بعد انهيار جدار برلين. حتى تبدو بقية المصطلحات المطروحة منذ ذلك التاريخ وكانها مجرد شائعات. فمن النظام العالمي الجديد الى صدام الحضارات ونهايات التاريخ والايديولوجيات والقوميات ...الخ من المصطلحات التي تظهر لتختفي ولتتم مراجعتها ومن ثم التراجع عنها. وهو تراجع يعادل الاعتراف بكونها مجرد شائعة. او اقله الاعلان عن عدم صوابيتها بما يزيد من حدة الفوضى ويعزز دلالتها كمصطلح معبر عن واقع حال السياسة الدولية. ولعلنا لا نبالغ في القول بان الشك يطاول مصطلح العولمة نفسه. بل هو أنجح شائعة مصطلحية لغاية اليوم.

التموقع صعب في خضم هده الفوضى السائدة لكنه غير ممكن التجني لكونه حاجة آنية وضرورة مستقبلية لاسبيل لتجاهلها أو لتحمل وزر اهمالها. وهدا ما يدفعنا الى محاولة استعراض فرضيات التموقع العربي في الفضاءات المطروحة راهنا". وهي محاولة لاتكتمل بدون استشفاف الاحتمالات المستقبلية لنشوء فضاءات جديدة او مكملة للفضاءات الراهنة.

1. نهاية العولمة

طرح مصطلح العولمة للتداول انطلاقا" من اعتبارها ظاهرة. وهو اعتبار يعادل التجاهل التام لكل ما هو ايديولوجي. بل لكل فكرمخالف للفكر البراغماتي الذي قولبت ظاهرة العولمة وفقه. ولما كانت التجليات الاقتصادية اسهل تجسيدات البراغماتية فقد كان من الطبيعي ان تنطلق العولمة من مفهوم اقتصادي. فطرح المصطلح بدلالة " العولمة الاقتصادية". وكان هذا الطرح مدعوما" بالتفوق الاقتصادي الاميركي. وهو تفوق مطلق لا تبلغه الولايات المتحدة على الصعد السياسية او العسكرية. وبدلك تحولت دلالة مصطلح "العولمة الاقتصادية" الى "أمركة الاقتصاد العالمي". وباتت العولمة رديفة للأمركة في اذهان الكثيرين ممن لم يتنبهوا للتناقض القائم بين العولمة كظاهرة وبين الأمركة كايديولوجيا جديدة (نظرية في المعرفة الاقتصادية تمكن تسميتها تجاوزا" بايديولوجيا السوق. وان كانت لاترقى الى حدود النظرية الفكرية المنتجة لايديولوجيا). هده النظرة الناقدة لمفهوم الأمركة العولمي بقيت محصورة في الاطار النظري لغاية قيام المظاهرات المعادية لهدا النمط من العولمة.

من جهتهم انقسم المنظرون بين مؤيدين ومعارضين. حيث انضمت الى المعارضة جميع الاتجاهات المارقة (المخالفة للولايات المتحدة). وعندما جاءت مرحلة التطبيق الفعلي للعولمة تعجلت دول نامية عديدة ركوب قطار العولمة مستجيبة للاغراء الاقتصادي. الا ان هده الدول سرعان ما اكتشفت بالتجربة ان للعولمة آثارا" جانبية مدمرة لاقتصادات الدول الفقيرة. فكان ان اجتمعت هده الدول النامية المتسرعة في العولمة عبر ما يعرف بنادي الدول الاحدى عشر (ضحايا العولمة) الدي تحول الى الخمسة عشر ولا يزال في اتساع مستمر. ومع الوقت اكتشفت التجمعات الاقتصادية الصغيرة اضرار العولمة بمصالحها الى أي بلد انتمت هده التجمعات (حتى لو كانت اميركية). وكان لوعي هده التجمعات في الدول المتقدمة اثره في دفعها لقيادة تحركات شعبية (مظاهرات,واحتجاجات متعددة الصعد والاشكال) مضادة للعولمة.

هده التغيرات السريعة اصابت مركز العولمة (الولايات المتحدة) بنوع من فقدان التوجه. حيث انطلق التوجه اساسا" من قاعدة مفادها ان اصدقاء الولايات المتحدة هم ركاب قطار العولمة وان المارقون هم المتخلفون عن الركوب في هدا القطار. الا ان الانهيارات المالية في بورصات المكسيك والنمور الآسيوية اجبرت الاصدقاء على النزول من قطار العولمة. في الوقت الدي كان فيه بعض المارقين السابقين يتهيأون لركوبه. الأمر الدي تسبب بفوضى عولمية تقودنا الى طرح سؤال متعجل: "هل سقطت العولمة؟". نقول متعجل بسبب لامعقولية بروز الظاهرة واختفائها قبل تحديد ماهيتها وجوهرها. اذ ان الجدل لا

يزال مقتصرا" على الصعيد اللساني. الباحث عن دلالة المصطلح وعن الفوارق بين العالمية والعولمة. وغير ذلك من النقاشات اللسانية التي تختزل العقل البشري بسلسلة دلالية للكلمات والمصطلحات.

وبعيدا" عن انكار وضعية النصر الأميركي في الحرب الباردة (تشير التجارب التاريخية الى ان المنتصر في صراع عالمي يعيد ترتيب العالم وفق مصالحه) فاننا نحتفظ بحق طرح الاسئلة واهمها التالية:

- هل كان مصطلح العولمة (بدلالة ايديولوجيا السوق) حيلة اميركية لتغطية الفوضى الاستراتيجية الأميركية الناجمة عن غياب العدو؟.
- ما هي الارهاصات الفكرية الممهدة لظهور ايديولوجيا السوق وعولمتها.
- مادا عن الطروحات المستقبلية المنطلقة من مسلمة سيادة العولمة؟.
- ما هي البدائل الفكرية المؤهلة لوراثة ايديولوجيا السوق؟.
- هل يؤدي تراجع العولمة الى ظهور بدائل جديدة او الى احياء ايديولوجيات قديمة؟.
- هل استبدلت الولايات المتحدة العولمة بسياسة الاحلاف؟ ودلك بدليل تعديلاتها المدخلة على استراتيجية حلف الناتو ودعمها لاحلاف عديدة حول العالم.

2.الفوضى الاستراتيجية الأميركية

همس جورجي آباتوف ،مستشار غورباتشوف, في ادن مسؤول اميركي بالعبارة التالية:

"اننا نصيبكم بخطب جلل فنحن نجردكم من العدو". ولم يكن آباتوف مخطئا" فقد ايده لاحقا" الاستراتيجي الأميركي صموئيل هنتنغتون في مقالته "تآكل المصالح الأميركية". التي تضمنت جملة اعترافات ومن اهمها الاعتراف بفقدان التوجه الاميركي المصلحي في غياب العدو. فنهاية الحرب الباردة خلفت عالما" شديد الاختلاف الى حد يصعب استيعابه ومتغيراته. فقد تحولت دول حلف وارسو الى دول وطنية. وتفكك الاتحاد السوفياتي الى دول عادت لترتدي اثوابها الوطنية والأتنية السابقة لثورة اوكتوبر 1917 الشيوعية...الخ من التغيرات التي تسييت بفوضى جغرافية, وتاليا" سياسية", لامثيل لها في تاريخ البشرية. وامتدت هده الفوضى الى دول العالم التي كانت موزعة بين الجبارين. وبمعنى آخر فقد تحولت الفوضى الى عالمية. مما اغرى الدول القومية في كل منطقة للتدخل من اجل ملء الفراغ المتخلف عن زوال الشيوعية. ولم تقتصر هده التحركات على الصعيد العسكري بل تخطته الى صعيد التحرك من اجل السيطرة الاقتصادية. واخطر من التحركين السعي لتكوين تجمعات عرقية كفيلة مستقبلا" بتفجير بعضها البعض بعيدا" عن السيطرة. مما جعل العالم مرشحا" لحالة من الفوضى الاقتصادية والسياسية والعسكرية والجغرافية.

الولايات المتحدة كانت لها حصتها من هذه الفوضى. فهي قد اعتادت على توجيه مصالحها بمخالفة الطرف النقيض. الذي مثلته اوروبا لغاية الحرب العالمية الثانية لينتقل دور العدو الى الشيوعية. وفي جميع الاحوال كان الاميركيون يبرمجون سياساتهم ويتموقعون في السياسة الدولية اعتمادا" على مخلفتهم للآخر. فلما غابت الشيوعية بدون عدو وريث وقعت الولايات المتحدة في حالة فقدان التوجه. وهذا ما يؤكده هنتنغتون حول العجز عن توجيه المصالح الاميركية في غياب العدو. بل انه يصل الى حدود المطالبة بالبحث عن عدو حيت يتساءل: "هل كان انفجار اوكلاهوما ليحدث على ايد اميركية لو كان هناك عدو؟!". ولقد بلغت الفوضى الاميركية قمتها ابان حرب كوسوفو حين اعلنت محموعة من كبار المحللين السياسيين العالميين ان كلينتون لايملك استراتيجية محددة. وهو يتعامل مع المشاكل بصورة تكتيكية. فيحل كل مشكلة لوحدها بمعزل عن الأخرى (Case by Case). الا ان التحليل الرجعي لسلوك كلينتون السياسي يبين لنا انه كان يجهد للخلاص من مأزق "النظام العالمي الجديد/ العولمة" ليستبدله بسياسة احلاف جديدة.

3.سقوط العولمة وانبعاث سياسة الاحلاف

لا تستطيع الولايات المتحدة السماح بخروج قطار العولمة عن المسار المحدد له اميركيا". وهذا ما أكده كلينتون والكونغرس الاميركي. من خلال جملة مواقف وتصرفات زرعت الشكوك حول طابع "الحتمية" الملصق بالعولمة. ومن اهم التراجعات الأميركية عن العولمة نذكر:

أ. **رفض ادراج النفط في قائمة سلع منظمة التجارة العالمية:** وهو رفض مفتقد للمبررات. فالشركات النفطية هي اقدم الشركات العملاقة العابرة للقارات. وهو الأحق بالادراج في هذه القائمة من خامات عديدة مدرجة فيها.

ب. **دعم صناعة الصلب الاميركية:** خرج كلينتون على قوانين المنظمة عندما اعاد دعم الحكومة لصناعة الصلب الاميركية تحت ضغط اضرابات اصحاب معامل الصلب. فكان هذا الخروج سابقة تؤكد على معاداة اميركا للعولمة اذا تعارضت مع مصالحها.

ج. معارضة الكونغرس لمشروع تسريع خطوات العولمة: حيث رد الكونغرس بالرفض مرتين متتاليتين مشروع كلينتون القاضي بتسريع خطوات العولمة في الولايات المتحدة.

د. تعديلات استراتيجية حلف الناتو (نخصص لها الفقرة التالية).

وهذه التصرفات تعكس الوعي الاميركي لصعوبات وعوائق عولمة النموذج الاميركي. فمن الناحية النظرية وجدنا صاحب فرضية "صدام الحضارات" يلتف على نفسه ليقرر ان تآكل المصالح الاميركية يعود الى فقدان العدو. والبحث عن عدو متعارض منطقيا" مع تذويبه في اطار العولمة/الأمركة. اما على الصعيد العملي فقد برزت جملة وقائع ومؤشرات تبين استحالة متابعة سياسة السوق الاميركية. فقد برزت ازمات المكسيك والنمور الآسيوية الاقتصادية بما افقد العولمة نماذجها الدعائية التسويقية. حيث كان ازدهار هذه البلدان هو الطعم المغري للدول المترددة في ركوب قطار العولمة. وفقدان هذه النماذج بالانهيار مضافا" اليه اللامبالاة الاميركية المطلقة (لم تتدخل الولايات المتحدة لانقاذ النمور الآسيوية من ازمتها وتركتها تواجه مصيرها لوحدها) شجع غالبية الدول النامية على التهرب من الانخراط في العولمة. ولما كان من غير المتصور ان تقبل الولايات المتحدة بنموذج عولمي بديل فقد لجأت الى اعادة احياء سياستها القديمة القائمة على الاحلاف مع تحريك تجاربها ورصيدها في المجال. فكان الحلف التركي – الاسرائيلي(دعم اعلانه لأن وجوده العملي قديم) برعاية اميركية وبابواب مفتوحة مستقبلا" لضم اعضاء اقليميين جدد. الا ان الخطوة الاميركية الأهم على طريق احياء سياسة الأحلاف تمثلت بالتعديلات المدخلة على استراتيجيات حلف الاطلسي بمناسبة يوبيله الذهبي المتزامن مع ورطة كوسوفو الاوروبية.

4. احياء حلف الاطلسي

بمناسبة اليوبيل الذهبي للحلف تم الاتفاق بين دوله على ادخال تغييرات جذرية في استرايجيته. خاصة بعد فقدان بند اساسي من بنود الاستراتيجية القديمة لأية دلالة. وهو البند الذي يشير الى ضرورة الحفاظ على التوازن الاستراتيجي مع دول حلف وارسو (تم الغاء هذا البند بسبب زوال حلف وارسو). اما عن الاستراتيجية الجديدة فانها تسمح للحلف بالتدخل في دول اوروبية غير اعضاء فيه (كان ذلك يهدد بحرب عالمية ايام الحرب الباردة). وايضا" فان الحلف ضمن لنفسه حق التدخل في مناطق خارج اوروبا مثل شمال افريقيا والشرق الاوسط. اما عن الاسباب التي يعتبر الحلف مبررة لهذه التدخلات فهي عناوين عريضة قابلة للتأويل حسب المصالح. كمثل التحديات المهددة للحلف من نوع الارهاب الدولي وملكية اسلحة الدمار الشامل وغيرها من العناوين التي يترك تفسيرها لمجريات المصالح الاميركية.

ولقد عبر مايك هامر, الناطق بلسان مجلس الأمن القومي الاميركي, على هذه التعديلات بتصريح مليء بالتناقضات المنطقية اذ يعلن:

1. ان الحلف لا يهدف الى لعب دور شرطي دولي لكنه يعني مسألة مثل كوسوفو الواقعة خارج الحلف مع تهديدها لمصالحه.
2. تدخل الحلف في كوسوفو بدون تفويض مجلس الأمن لأن الحصول على هذا التفويض لم يكن ممكنا". الا ان الحلف يحترم قرارات المجلس ويرحب بموافقة الأمم المتحدة على ما يقوم به!.
3. ان الحلف سيتدخل خارج نطاق دوله (الوطن العربي وبقية اوروبا) ان هو رأى فيها تهديدا" لمصالحه.
4. ان الحلف لن يتدخل في منطقة جنوب شرق آسيا (ربما تحت ضغط الصين عقب حادثة السفارة – وما لم يقله هامر عن سعي الحلف لضم استراليا اليه).

اما عن الانعكاسات المباشرة لهذه التعديلات فيمكن تلخيصها عربيا" ب:

1. اخراج الوطن العربي (العراق وليبيا خاصة) من دائرة نفوذ الأمم المتحدة ومجلس الأمن وادخاله في دائرة السيطرة الاستراتيجية الأطلسية.
2. اصبح رفع الحصار عن الشعب العراقي والليبي خارجا" من يد الأمم المتحدة ومحولا" للحلف الذي يمارس مسؤوليته وفق مصالحه.
3. اصبح بامكان تركيا (الموقعة على الميثاق الجديد للحلف) ان تجتاح شمال العرق دون ان يكون للأمم المتحدة حق ابداء الرأي.
4. اصبحت الولايات المتحدة قادرة على مد الحظر الجوي ليشمل كامل الاراضي العراقية دون مجرد استشارة الأمم المتحدة.
5. اصبحت الولايات المتحدة قادرة على ممارسة ضغوط وتهديدات مضاعفة على اصدقائها العرب. وبالتالي فقد اصبحت اكثر قدرة على لجم اية محاولة تفاهم عربي – عربي (حتى على صعيد القمم العربية).
6. استجابت ادارة كلينتون عبر هذ التعديلات للطموحات الاوروبية في منطقة شمال افريقيا (كان الاتحاد الأوروبي يدعو منذ فترة لانشاء قوة تدخل سريع اوروبية في شمال افريقيا). الا ان اصرار الرئيس الجديد بوش على مشروع الدرع الصاروخي نزع هذه الورقة من يد الاوروبيين فعادوا للمطالبة بقوة التدخل السريع الاوروبية.

ويبقى الأهم في النكوص الأميركي الى سياسة الأحلاف هو اعلان التراجع عن مبدأ النظام العالمي الجديد الذي اطلقه بوش العام 1991 وما تبعه من محاولة تصدير النموذج الأميركي وعولمته. حيث تضمنت تعديلات الاطلسي اعترافات اميركية بوجود مصالح صينية في جنوب شرق آسيا واوروبية في شمال افريقيا الى جانب الاميركية في منطقة النفط خصوصا".

5. الأطلسي يعيد توزيع الفضاءات

طغت البراغماتية وسياسة المنفعة الاقتصادية على تحركات كلينتون اواخر ايام رئاسته. فمن حرب كوسوفو (الورطة الأوروبية التي تسببت في تدهور سعر اليورو بسبب اعبائها المالية مع تدعيمها للاقتصاد الاميركي) الى عملية ثعلب الصحراء (هروب اميركي الى الأمام لتجنب اية مواجهة لها ثمن استراتيجي). ومن الاعتراف بالمصالح الاوروبية في شمال افريقيا مقابل فتح الطريق الى القوقاز امام الولايات المتحدة (فوجئت ان مخزونه النفطي اقل كثيرا" من المتوقع). وحتى تعديلات حلف الاطلسي كلها انعكاس لسياسة المكاسب الآنية. وهي السياسة التي يعترض عليها الجمهوريون ممثلين بووكر بوش. وبمعنى آخر فان الفضاءات المتخلفة عن سياسة كلينتون ليست ثابتة بل هي عرضة للتغيير بحسب سياسات الرئيس الجديد.

مهما يكن فان الحديث عن الفضاءات يستوجب تصنيفها الى فئتين رئيسيتين هما:

- فضاءات يفرضها الراهن العالمي.
- الفضاءات البديلة التي تستند الى الانثروبولوجيا (الثقافية والاتنية والقومية والاجتماعية وغيرها).

أ. فضاءات الراهن العالمي.

عبر مراجعة سريعة لمعايير التعديلات الاطلسية يمكننا استخلاص توزيع الفضاءات المفروضة من قبل الراهن السياسي – الاقتصادي العالمي على النحو التالي:

– الفضاء الأميركي ومتفرعاته: التي تتضمن فضاءات فرعية اهمها:

- الشرق الأوسط (مع الحاق السودان به بعد اكتشاف مخزونه النفطي).
- الفضاء الهندي الباحث عن الدعم الاميركي في مواجهته للصين.
- الفضاء الاسترالي الساعي للتوسع في اندونيسيا وغيرها من الدول المتعولمة في منطقة جنوب شرق آسيا.
- الفضاء الاميركي الشمالي.
- فضاء اميركا اللاتينية.

الفضاء الأطلسي الأوروبي (حيث حرب كوسوفو وتعديلات الحلف تتناقض في نواح عديدة مع ميثاق الاتحاد الاوروبي وتتحداها. بحيث يمكن اعتبار ازمة اليورو الحالية نتيجة لتغليب مصالح الفضاء الاطلسي على مصالح الاتحاد الاوروبي).

- الحلف التركي – الاسرائيلي وامتداداته المتوقعة.

– الفضاء الصيني: الذي فرض نفسه بقوة بعد حادثة الطائرة الأميركية. وهو فضاء قديم ومعروف بحيث لم يغب عن الساحة الدولية عبر التاريخ.

– الفضاء الاوروبي: الذي يجهد لتأمين استمراريته وامتداده الى الفضاء المتوسطي المصطنع وغير المرصن لغاية الآن.

– الفضاء الروسي: الذي يسعى للانفتاح على الفضاء الصيني في محاولة لتكوين حلف مضاد جديد. يرشحه بعضهم لخلافة دور القطب البديل.

ب.الفضاءات البديلة

لقد برهنت هذه الفضاءات على ديمومتها. بالرغم من افتقارها للقوة اللازمة لمنافسة طروحات الفضاءات المفروضة عالميا". فقد تجاهل المنتصرون في الحرب العالمية الأولى هذه الفضاءات. واعادوا تقسيم جغرافية العالم بصورة مصطنعة مخالفة لهذه الفضاءات. فكانت النتيجة ان معظم الصراعات الراهنة تعود في جذورها الى هذا التجاهل. فمن صراعات الشرق الأوسط الى صراعات البلقان ودول الاتحاد السوفياتي السابق كلها صراعات تجد جذورها في الجراحة الجغرافية الوحشية، التي اجراها الحلفاء عقب الحرب الكونية الأولى ،على خريطة العالم. وقبل الحديث عن الفضاءات البديلة الراهنة لابد من الاشارة الى ان مصطلح الفضاء هو مصطلح يرمز الى التجمعات الكبيرة. وهو قد لايصلح للتجمعات الصغيرة على غرار بعض تلك المتواجدة ايام الحرب الأولى. لكننا آثرنا استخدام المصطلح للدلالة. وبهذا نصل للسؤال عن الفضاءات البديلة المطروحة في مواجهة الفضاءات العالمية. ونصطدم في تعريفنا لهذه الفضاءات بالغموض الذي يلفها بسبب عدم ظهورها الى العلن. كما بكونها مرتبطة بالاحتمالات المستقبلية المفتوحة. وهي احتمالات من شأنها تغيير الطروحات واقلابها رأسا" على عقب. لذلك نكتفي باعطاء بعض الامثلة على هذ الفضاءات ونبدأ ب:

– الفضاءات القومية: على الرغم من اعلان وفاة القوميات فان مؤشرات عديدة تبين ان هذه الوفاة قد تكون بالمعنى الاكلينيكي لكنها غير ناجزة. فانبعاث القوميات في دول الاتحاد السوفياتي السابقة وفي اماكن عديدة من العالم يثبت ان خبروفاة القومية هو خبر كاذب.

ويتكرس كذب هذا الخبر مع صعود هايدر في النمسا عبر انتخابات ديمقراطية. ويبقى التكذيب الحقيقي لهذا الخبر صينيا". اذ يكفينا التذكير بمظاهرات صينيي تايوان ضد الولايات المتحدة عندما قصفت سفارة الصين في بلغراد (هنا تجاوزت القومية الصينية مباديء المصلحة والايديولوجيا والحماية الاميركية لتايوان –الصين الوطنية– في مواجهة الصين الشعبية). عداك عن ان الحضور الفاعل للفضاء الصيني القومي هو خير تكذيب لخبر وفاة القومية. في المقابل نجد ان القوميات الكبرى (ومنها العربية) غائبة عن السمع مؤقتا". كما نجد ان القوميات البارزة راهنا" هي قوميات صغيرة وعاجزة عن تكوين فضاءات. وهذه الوقائع تراكم الاسئلة حول مستقبل الوطن العربي والقالب الفكري المعاصر لقوميته. اذ تشير نظرية الاستقراء المستقبلي الى استحالة انبعاث أي فكر بقالب قديم تخطاه الزمن. وبالتالي الى حاجة هذا الانبعاث الى قوالب فكرية جديدة. بما يفتح الابواب واسعة امام تكهنات واحتمالات معاودة ظهور القوميات المختلفة بالأثواب الفكرية المتعددة.

– الفضاءات الدينية: كان لتراجع الايديولوجيات دور مقرر في صعود الاصوليات الدينية. الملحوظ في مختلف الاديان (سماوية او غير سماوية او حتى بدائية). وتكفينا مراجعة الصراعات الراهنة القائمة على خلفيات اصولية كي نتبين طموحات الفضاءات الدينية.

– الفضاءات التابعة: المنطلقة من فرضية عودة نظام القطبين (يتعدد المرشحون لدور القطب البديل. من الاتحاد الاوروبي الى التحالف الروسي–الصيني ...الخ). وفي هذه الحالة فان الفضاءات الدائرة في الفلك الاميركي (المذكورة اعلاه) ستتوزع على القطبين.

– الفضاءات المباغتة: وهي القوى المعتاد ظهورها عبر التاريخ عقب اختلال قوي لموازين القوى. وتوصف هذه القوى بالمباغتة لانها تكون خارج الحسابات والتوقعات. مما يجعل من ظهورها مفاجأة غير متوقعة. بل ان بعض المستقبليين الاستقرائيين يذهبون الى ان هذه القوى المباغتة كانت على مر التاريخ صانعة الحضارات. وهي تنطلق من شعوب مغلوبة على امرها ومتخلفة تفاجيء الجميع ببروزها المفاجيء. ويتطرف بعض الاستقرائيين ليروا ان الشعوب المرفهة عاجزة عن بعث حضارات جديدة. وهنا يتخذ طرح الفضاء العربي – الأفريقي اهميته القصوى.

3.الفضاء الافريقي.

هذا الفضاء لم ينبت من العدم. اذ كانت له ارهاصات اولية تراكمت منذ العام 1963 عام تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية. التي لعبت ادوارا" مقررة ابان الحرب الباردة لتتحول الى ما يشبه الشلل بعد نهاية هذه الحرب. ولعبت بعض الدول العربية (مصر وليبيا خصوصا") ادوار وساطة من الدرجة الأولى للمساهمة في حل النزاعات الاقليمية الافريقية. عداك عن المساندة العربية الفاعلة لنلسون مانديلا ومناضليه في ثورتهم ضد النظام العنصري الجنوب أفريقي. وبالرغم من جسامة هذه التضحيات وتكاليفها الاقتصادية والسياسية فانها كانت العون والدعم لمصالح الافارقة. كما كانت تكريسا" لدور عربي سياسي افريقي ودولي غير ممكن التجاهل. وتجسدت اهمية هذا الدور بالخطوة التي قام بها الزعماء الأفارقة بزيارتهم المخترقة للحصار الأميركي على ليبيا.

وهكذا فان التغيير الجذري في اللحظة السياسية–الاقتصادية كان لابد له من ان يستتبع تغييرا" موازيا" في هيكلية منظمة الوحدة الأفريقية وتطوير هذه الهيكلية كي تتلاءم ومتغيرات السياسة الدولية. فكان طرح مشروع الاتحاد الافريقي. حيث اطلق المشروع في سبتمبر (ايلول) من العام 1999 وكان المشروع طموحا" اذ دعى الى تأسيس الاتحاد على النمط الفيديرالي الاميركي. تحت تسمية "الولايات المتحدة الأفريقية" بحيث يضم الاتحاد الدول الافريقية ال53 على شكل ولايات. الا ان الصعوبات التي اعترضت تنفيذ مشروع بهذه الدرجة من الطموح اقتضت جرعة كبيرة من الواقعية ومعها تعديلات اساسية. تضمنها المشروع التأسيسي للاتحاد الذي اعلن عنه خلال القمة الأفريقية الاستثنائية المنعقدة في سرت (ليبيا) في 2 مارس (آذار) 2000 ليدخل حيز التنفيذ في 26 مايو (ايار) من العام نفسه. وينص المشروع على المباديء الرئيسة التالية:

– المساواة و المحافظة على استقلال وسيادة الدول الاعضاء.
– احترام الحدود الجغرافية للدول الاعضاء وعدم التدخل فيها.
– تحظير استخدام القوة او التهديد ضد اية دولة عضو في الاتحاد.
– ادانة ورفض محاولات تغيير الانظمة بطرق غير دستورية.

اما عن الهيكلية الادارية للاتحاد فهي تتكون من "هيئة عليا" هي مؤتمر الاتحاد وتضم رؤساء الدول والحكومات. اضافة الى مجلس تنفيذي يتألف من وزراء الخارجية او سواهم من الوزراء (وذلك وفق المواضيع المطروحة) في الدول الاعضاء. اما عن صلاحيات هذا المجلس فأهمها: التجارة الخارجية والطاقة والزراعة والنقل والاتصالات والتربية والصحة والثقافة والعلوم والبيئة. كما يلحظ المشروع التأسيسي مجموعة اقتصادية افريقية على نمط الاتحاد الاوروبي. عن طريق

تبنيه لمعاهدة ابوجا القاضية بانشاء مجموعة اقتصادية (تتبع منظمة الوحدة الأفريقية – لكنها لم تطبق). كما تتضمن صلاحيات الاتحاد مناقشة سياسات الهجرة والجنسية واقامة الاجانب في الدول الاعضاء. اما عن البرلمان الذي يقترحه المشروع فهو ذا دور استشاري (يلحق بروتوكول لتحديد آليات تنفيذه). كما يلحظ المشروع انشاء محكمة قضائية أفريقية ومجموعة مؤسسات مثل صندوق النقد الافريقي وبنك الاستثمار الأفريقي. وهكذا يمكن اعتبار الاتحاد الافريقي خطوة عقلانية ومنطقية لاطلاق فضاء افريقي ضمن الفضاءات العالمية المطروحة.

4.الفضاء العربي الأفريقي.

منذ انشائها ارتبطت منظمة الوحدة الأفريقية بعلاقات تبادلية مع الوطن العربي سواء على صعيد المصالح او على صعيد المواقف السياسية المختلفة. وعليه فان الدعوة للفضاء العربي الأفريقي تتأسس على تجربة ناجحة ومستمرة منذ اربعة عقود. ويضاف الى التجربة التحليل السياسي للنظرة الجيو بوليتيكية للمصالح العربية. التي ترى مستقبل هذه المصالح بالتكامل العربي مع الفضاء الافريقي. وذلك لجملة وقائع اهمها التمزق الجيوبوليتيكي العربي الذي يتبدى بتوزع، او انه مرشح للتوزع، البلدان العربية على فضاءات مختلفة. وهو تمزق يتبدى بالمظاهر التالية:

- سلطنة عمان السائرة في طريق الانضمام للفضاء الهندي. وقد يتبعها اليمن الى هذا الفضاء بسبب رفض عضويته في مجلس التعاون الخليجي.
- الدول الموقعة على معاهدة برشلونة. التي تشكل خطوة على طريق الانضمام للفضاء الاوروبي. (في رأينا ان سياسة ووكر بوش ستعيق هذا الطموح الأوروبي الذي اباحه كلينتون – وهذا رأي شخصي).
- الفضاء التركي – الايراني القادر على استيعاب باقي الدول العربية الآسيوية.

وبهذا نصل الى السؤال عما اذا كان الفضاء العربي الافريقي هو البديل لتجنيب التبعثر العربي في فضاءات مختلفة. مع ما ينطوي عليه مثل هذا التبعثر من تضارب المصالح العربية – العربية. الكفيل بتكريس الانقسامات العربية الى غير رجعة.

5. الخيارات العربية.

بات الدخول في فضاء اقتصادي ضرورة لكل الدول والتجمعات الضعيفة والمفككة. فالانضمام الى احد هذه التكتلات (الفضاءات) هو السبيل لحماية التجمعات الضعيفة من الذوبان. امام هذه الحاجة تحولت المسألة الى استعراض للخيارات بعد ان تخطت مرحلة التردد في دخول الفضاءات او عدم دخولها. وبطبيعة الحال فان الخيارات المعروضة اعلاه تؤمن بعضا" من المصالح القطرية لكل دولة من الدول العربية الواردة الذكر. الا ان للفضاء العربي الافريقي مميزات وفوائد اضافية تجعله يتقدم على بقية الفضاءات المطروحة. وأهم هذه المميزات التالية:

- أنه يبقي على الوطن العربي كتلة ديموغرافية واحدة غير مجزأة. فيجنب دوله اخطار تضارب المصالح المستقبلي (مع التذكير بأن غالبية المصالح العربية ذات علاقة بالنفط وأسعاره. وبالتالي فان تضارب المصالح النفطية سيفتح الأبواب عريضة أمام سوء استغلال الثروة النفطية).
- انه يعوض النواقص ويتخطى العقبات التي تحول دون قيام فضاء عربي مستقل بذاته.
- أن الثروات الأفريقية البكر تجذب الرساميل الاجنبية وتغريها. وخاصة اسرائيل التي تسعى للتغلل في المنطقة. وبالتالي فان افريقيا هي عنصر جذب هام للأموال وللاستثمارات العربية في حقول عديدة ومتنوعة.
- انه يقدم الحل لاشكالية الانتماء عند العرب الأفارقة (يشكلون 65% من العرب). دون المساس بانتماء العرب الآسيويين الذين سيدخلون في فضاء يدعم مصالحهم وعروبتهم.
- ان تنوع الفضاء العربي الأفريقي وتعدديته يدعمان امكانيات اتصاله وتعاونه مع الفضاءات الأخرى (هي تعددية في غالبيتها وتملك حساسية في التعامل مع فضاء اتني).
- ان الفضاءات القائمة راهنا" ،وكذلك تلك التي هي في الطريق الى التشكل، هي فضاءات مغلقة في وجه العرب (بمعنى انها لاتقبلهم بعضوية كاملة ومساوية). في حين يبقى الفضاء الأفريقي وحده المفتوح امامهم وبعضوية كاملة.
- ان التواجد العربي في افريقيا قائم ومؤثر ويمكنه ان يشكل قاعدة انطلاق للمصالح العربية في الفضاء الأفريقي. فهو يتراوح بين التواجد الفردي للمهاجرين وبين الوجود اسياسي والاقتصادي. مضافا" اليه تاريخا" من المساعدات العربية المتنوعة للدول الأفريقية.
- ان العرب هم مؤسسو منظمة الوحدة الأفريقية وداعمو نضالات الشعوب الأفريقية على مدى العقود الماضية. ولذلك فهم يستحقون وضعية مميزة في هذا الفضاء.

- ان محاولات الاختراق الاسرائيلية لأفريقيا تهدف الى تأمين موارد اقتصادية ثابتة تحول الاقتصاد الاسرائيلي من اقتصاد معونات الى اقتصاد مستقل. فاذا ما نجحت (يجب التذكير هنا بالاحتكار اليهودي لتجارة الماس العربية). في ذلك فانها ستملك امكانيات الاستمرار الذاتي بما يضاعف خطرها على المنطقة وربما على العالم.

- ان النقطة السابقة تجعل معركة مواجهة امتداد النفوذ الاسرائيلي في افريقيا معركة توازي في اهميتها المواجهة على الحدود الجغرافية.

- ان الفضاء هو اعلان عن نهاية الدول الوطنية والتجمعات الصغيرة. لكنه بعيد عن مجرد ادعاء الغائه للأنتولوجيا والانثروبولوجيا. بدليل استمرارية أثر محركاتهما وحتى النزاعات القائمة على اساسهما. فجل ما يطمح اليه الفضاء هو تقنين هذه المحركات من مبدأ تأمين المصالح المشتركة للأطراف المشاركة في الفضاء.

- ان المصالح العربية الأفريقية المتشابكة معروفة ومرشحة مستقبلا" للتطور الى حدود التلازم (الحفاظ على اسعار النفط والخامات الأولية والثروات البكر - مثال ذلك النفط السوداني المكتشف حديثا" ليضع السودان في مقدمة الاهتمامات الاميركية في المنطقة). والفضاء المشترك هو افضل السبل المتاحة لحماية هذه المصالح المشتركة.

6.الجهوزية العربية للانضمام الى الفضاء المقترح.

امام هذه الافضليات والمميزات التي يؤمنها الفضاء المقترح يطرح السؤال حول جهوزية الدول العربية للانضمام الى هذا الفضاء؟. ومعه اسئلة حول العوائق والموانع التي تحول دون هذا الانضمام. وهي اسئلة لابد من استعراض أجوبتها المنطقية المقترحة ومن هذه الاقتراحات/ الأجوبة نعرض ل:

أ. ان دول الخليج العربي تتعرض لضغوط غير اعتيادية. وهي ضغوط تهدد الأمن الخليجي عموما" وتستوجب المعالجة الطارئة. (بما يؤخر تفكيرها في الانضمام الى أي فضاء. ويشجع احتمالات توريطها في فضاءات فرعية).

ب. ان ما يجري في العراق منفصل تماما" عن المسألة الكويتية وهو يشكل اذلالا" أميركيا" صريحا" لكل العرب.

ت. ان دول الطوق ،والفلسطينيين, عرضة للتهديدات الاسرائيلية متعددة الصعد. حيث أمنها يحتل واجهة اهتماماتها. وان كان ذلك لايمنع ضرورة تفكيرها بستقبل مصالحها.

ث. الدول العربية–الأفريقية (تشكل ثلثي سكان الوطن العربي) جاهزة لتبين مصلحتها في الانضمام الى هذا الفضاء.

7. بوش والفضاء الأفريقي.

يتبدى الطابع الصدامي المكشوف لسياسة ووكر بوش منذ مواقفه الأولى. اذ قبل التحدي الاقتصادي باقراره مشروع خفض الضرائب. مستندا" في مغامرته على الاستعداد لاستخدام الهيمنة لاصلاح اية اعطال اقتصادية طارئة قد تنجم عن هذا القرار (مثل اللجوء الى رفع اسعار النفط لتعويض اية خسارة اميركية على حساب اوروبا واليابان). وتأكدت صدامية الرئيس الجديد عبر اصراره على مشروع الدرع الصاروخي (تتمة لبرنامج ريغان "حرب النجوم" الذي يعلن بوش انه مثاله الأعلى). كما في التراجع عن اعترافات كلينتون بوجود مصالح حيوية للآخرين. اذ عادت المخابرات الاميركية للتدخل في شمال افريقيا بعد انقطاع (دام منذ تعديلات الاطلسي ولغاية استلام بوش الذي سجل عودة العنف الجزائري وعرقلة جهود المصالحة الصومالية ...الخ). مع تدخل معلن في السودان (نقلت الصحافة الاميركية تهديدا" للسودان بان عليه الأختيار بين التعاون النفطي مع الولايات المتحدة وبين نشوب حرب اهلية في جنوبه). عداك عن جهود بوش في ضرب استقرار سائر انحاء القارة الأفريقية. عن طريق التدخل في اعادة احياء الصراعات فيها. حتى امكن الحديث عن جولات اميركية عقابية للقارة الافريقية. خصوصا" وأن بوش لم يخرج على السلوك الجمهوري الذي يقدم المخابرات ويعطيها أولويات يتحفظ عليها الديمقراطيون. لكن هذه الصدامية لاتعني بحال الاستسلام للتهويلات الأميركية. اذ ان عودة الى بداية عهد ريغان تشير الى انه هو ايضا" بدأ عهده صداميا" مهولا" اعتمادا" على مبدأ نيكسون القائل :" قد نضطر من آن لأخر ان نهدد اعداءنا بالا يعتمدوا دائما" على حكمتنا. اذ ان بمكاننا ان نأخذ قرارات مجنونة احيانا" ". لكن ريغان سرعان ما عاد الى صوابه واستبدل وزير خارجيته المصادم الكسندر هيغ لاسترضاء الاصدقاء المنزعجين من عدوانية دبلوماسيته. وعليه كان من الطبيعي ان نجد اصرارا" عربيا" وأفريقيا" على الاستمرار في جهود ارساء الاتحاد وحل النزاعات وفتح الآفاق امام الفضاء. من هنا كان التريث (بعد صدامية وغموض دبلوماسية بوش) في دفع مشروع الفضاء العربي الأفريقي. مع الانتقال للدعوة الى الاتحاد العربي المستند الى تجربة الاتحاد الافريقي. حيث ينتظر ان تنظر القمة العربية القادمة الى هذا المشروع ودرس وسائل تحقيقه واخراجه للنور. وهذا يقودنا الى عرض مختصر لهذا المشروع.

8. ليبيا والاتحاد العربي.

يقترح المشروع اتحادا" عربيا" تعاهديا" على نمط الاتحاد

الافريقي. وهو طرح يعكس مرونة سياسية فائقة. حيث ادراك المعوقات واستيعاب المتغيرات الدولية جعلا الطرح ينتقل من الدعوة لفضاء مشترك الى اتخاذ خطوة موازية للخطوة الأفريقية التي خطاها ثلثي العرب. وباختصار شديد فان هذا الاتحاد المقترح يؤمن الفوائد العربية التالية:

أ. تحت مسمى "المجلس الاتحادي الأعلى" (الذي يضم الملوك والرؤساء العرب) تستوجب مؤسسة الاتحاد عقد مؤتمر للمجلس مرة كل ستة اشهر. وفي ذلك تقنين للقمم العربية. مع وضعها في اطار مؤسساتي يخفف من الضغوط المحتملة للحؤول دون عقدها.

ب. يدرج المشروع آلية المؤتمر القومي العام التي تؤمن تمثيلا" شعبيا" في الاتحاد. قوامه اعضاء تختارهم الهيئات التشريعية او الهيئات البديلة لها. على ان يكون عدد اعضاء المؤتمر متساويا" بين الدول. ويقوم المؤتمر بطرح ما يراه مناسبا" من اقتراحات وتوصيات. ويقوم بمهمة رقابة على عمل المجالس التنفيذية المنبثقة عن الاتحاد.

ت. انشاء مصرف مركزي اتحادي تكون مهمته توحيد السياسة النقدية والائتمانية والمصرفية في الدول الاعضاء. وصولا" الى دمج مؤسسات الاصدار فيها وتكوين احتياطي نقدي عربي. مع العمل على توحيد وحدات النقد على طريق اصدار عملة عربية موحدة.

ث. تتولى "محكمة العدل العربية " التي يدعو المشروع لانشائها مهمات مراقبة الآليات العملية لتأسيس الاتحاد. وتكون المرجع القضائي الرئيسي الذي يتولى الفصل بين النزاعات التي قد تنشأ بين الأعضاء. وتلك التي تتصل بتفسير بنود الميثاق.

9.الخلاصة

ان الفوضى العالمية الراهنة غير مرشحة للاستمرار كون الفوضى معاكسة للمجرى الطبيعي للأمور. ويكفينا ان نرصد سياسات الافقار المتبعة ضد الدول العربية ،دون استثناء، كي نستشعر الأخطار المهددة لمستقبلنا في عالم تحول فيه مفهوم الصراع من العسكري الى الاقتصادي. فافقارنا يتم اما عبر النهب المباشر للثروات او عبر الحصارات متعددة الدرجات والاشكال أو عبر تقديم الجناية على طريقة الكوزا نوسترا (المافيا). حيث يفتعل المافياوي المشاكل ويخلقها لكي يعرض الحماية منها وحلها.

هكذا فان حماية مصالحنا والتصدي لسياسات افقارنا وسلب مواردنا هي الهدف المستقبلي الرئيس والشرط الحيوي لاستمراريتنا. وما تعرضه ليبيا هو كناية عن مجموعة اقتراحات منتقاة من ضمن ممكنات الراهن وقابلة للتحول الى وقائع مستقبلية في حال تبنيها والعمل على اقرارها. وعليه فان من واجب المثقفين العرب ومن مسؤوليتهم التعمق في هذه الطروحات الجيوبوليتيكية واتخاذ المواقف الواضحة والصريحة منها.

*سيكولوجية السياسة العربية
الناشر: مركز الدراسات النفسية

" بصائر نفسانية"
العدد 18-19 صيف & خريف 2017
الملف " اللياقة النفسانية والفكرية للإنسان العربي "
المشرف: د. مرعي سلامة يونس

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=311&controller=product&id_lang=3
تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=312&controller=product&id_lang=3

" بصائر نفسانية"
العدد 21-22 صيف & خريف 2017
الملف " علم النفس الإيجابي و النشاط البدني الترويحي "
المشرف: د. مرعي سلامة يونس

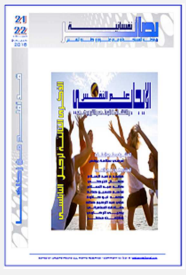

الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=335&controller=product&id_lang=3
تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=336&controller=product&id_lang=3

الآثار النفسية لممارسات الإحتلال على الجمهور العراقي

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

بعيداً عن مصطلحات الإختصاص التفصيلية فإن الرغبة في الإنتقام هي ردة الفعل الطبيعية لكل انسان أو مجموعة بشرية تتعرض للظلم والإضطهاد. وتهديد الحياة هو شكل من أقسى أشكال الظلم الذي تتعرض له الجماعات والأفراد. فإذا ما ثبتت موضوعية هذا التهديد وحقيقته فإنها تلغي كل شك في حقيقية هذا الظلم. ولقد تعرض الشعب العراقي لحرب شعارها " الصدمة والترويع ". وهذه الحرب – الكارثة أوقعت عشرات آلاف الضحايا وهددت غالبية الشعب العراقي بحياته وحياة أعزائه وظلمته. ثم أعقبها إعلان الاحتلال وردة الفعل التاريخية الطبيعية عليه وهي المقاومة.

أثر الإحتلال الاميركي على البناء النفسي للإنسان العراقي

إن الإنسان العراقي متأثر بسنوات الحصار وبعتب غير يسير على الإهمال العربي لمعاناة حصاره. وتتفاوت درجات هذا العتب بحسب ظروف الجماعات العراقية وإتجاهاتها. لكن رضوضاً عديدة ،رافقت الحرب وتلتها, أثرت بعمق على البنية النفسية للإنسان العراقي وأهم هذه الرضوض هي:

1. الترويع المصاحب للعمليات العسكرية والأسلحة غير التقليدية المستخدمة فيها. يليه ترويع التهديدات والإعتقالات الواسعة النطاق.
2. صدمة الإحتلال. ومعها السيطرة على مقدرات البلد وثرواته ومستقبله وسلطته.
3. الفوضى التي تلت الإحتلال وغياب الأمن الإجتماعي.
4. هيمنة الجماعات المتحالفة مع أميركا وتهديدها للمواطن العادي.
5. الممارسات التمييزية بين الجماعات العراقية.
6. تهديد النظم الرمزية للبلد من اللغة والأرض والتراث وحتى العلم. وكل واحد منها يشكل صدمة معنوية جماعية.
7. تشريد قطاعات واسعة من الشعب العراقي بدءاً بالجيش ومروراً ببقية المؤسسات.
8. الصور المذلة لإعتقال صدام حسين. وهي مرفوضة أقله على الصعيد العشائري.
9. إيحاءات إندلاع نزاع أهلي عراقي والتهديدات المرافقة له.
10. الممارسات المذلة لجيش الإحتلال. وبخاصة منها جرائم الشرف والإغتصابات والإذلال المعنوي.
11. إنتهاكات الإحتلال لحقوق الفرد العراقي. بما فيها نقص الغذاء والدواء والرعاية الصحية والاجتماعية والبطالة وغيرها.
12. الجرائم الأميركية ضد الإنسانية.

وهذه العوامل الصدمية تمتد الى الجمهور العربي والمسلم عامة (الحملة الدعائية الممتدة عبر سنوات للنظام السابق مثل دعم الفلسطينيين وغيرها) بسبب مشاعر الذنب امام المعاناة العراقية كما بدافع التعاطف. والأهم بسبب كون العراق (الفلوجة نموذجاً) خط الدفاع الاول في مواجهة تجاوز المشروع الاميركي لدولة العراق الى دول أخرى في المنطقة. من هنا فإن مقاتلي الفلوجة والمقاومة العراقية لم يدافعوا عنها فقط بل أيضاً عن دول الجوار العراقي المهددة أميركياً.

الفروق بين الجندي الأميركي والمقاوم العراقي.

يلاحظ الباحث الفرنسي دو توبينغان (De Tobingen) أن ردود الفعل الهيستيرية تزداد بين الجنود المقاتلين لأسباب مثالية– عقائدية. إذ يحتاج هؤلاء الى تبريرات (الترجمة الهيستيرية لقلقهم) كي لا يشعروا بالعار لإنسحابهم من المعركة. أما الجنود غير المعبئين عقائدياً ومنخفضي الحس للقتال فتنتشر بينهم حالات الهلع الصريحة وتتبدى عليهم الآثار الجسدية للارهاق ومعها الأمراض الجسدية الناجمة عن الضغوط. ويقيم دوتوبينغان هذه الخلاصة بناء على ملاحظات إختصاصية عديدة تقارن بين المقاتلين في الحربين العالميتين ونوعية الإضطرابات المتفشية في كل حرب منها. وعليه فإن أولى العناصر التفريقية الحاسمة بين الجندي الأميركي والمقاتل العراقي هي العناصر المرتبطة بالحس الوطني وبوضعية الإضطهاد التي يمثلها أي إحتلال.

وإذا ما أردنا وضع جدول تفريقي بين هاتين الفئتين من المقاتلين في العراق فإننا نذكر العناصر التالية بإعتبارها الأكثر تقريراً:

1-تفاوت أساليب ومستويات العقيدة القتالية.

2-الفروق بين الحرب النظامية وحرب المقاومة.

3- خلافات داخل المجموعات القتالية وتفرعها الى مجموعات فرعية.

4- فروق التكيف مع البيئة القتالية ومستوى هذا التكيف.

5- سيكولوجية الجندي الأميركي (سنعرضها لاحقاً.(

6- سيكولوجية المقاوم العراقي (سنعرضها لاحقاً.(

فضيحة أبو غريب نموذجاً لممارسات الإحتلال

جاء نشر صور إهانة إنسانية المعتقلين العراقيين في سجن أبو غريب لتحرج الشعارات السياسية المرفوعة للحرب الأميركية على العراق. وجاء نشرها في الفترة الحساسة للسباق الرئاسي الأميركي. حيث أثارت هذه الصور مشاعر الرأي العام العالمي وأعادت طرح موضوع تصدير الديمقراطية الأميركية الى البلدان الأخرى.

من الوجهة الطب – نفسية فإن هذه الفضيحة تطرح إشكالية التفريق بين الحرية والكرامة. حيث يفترض أن المفهومان متطابقان. إلا أنهما يتمايزان في مثل هذه الحالة مثلاً. فالشعب العراقي عاش سنوات طويلة في ظل تقنين حاد للحريات ولكن في إطار حفظ له كرامته من مثل إنتهاكات أبو غريب. وهنا يطرح السؤال عن قبول العراقيين لحرية أميركية يدفعون كرامتهم ثمناً لها ؟.

الجواب نجده في إصرار المقاوم العراقي وكذلك في المقارنة بين أعداد ضحايا النظام السابق وأعداد ضحايا العدوان الأميركي. وهي مقارنة تبين أن الديمقراطية الأميركية المستوردة باهظة الثمن بحيث تعجز عنه دول المنطقة وشعوبها. وهي بالتالي ترفضها.

أما عن التفسير السيكولوجي لإنتهاكات أبو غريب للكرامة العراقية فهو التالي :

أ- انحراف الجندي الأميركي

إن التصرفات الوحشية ، المرصودة في ابو غريب وغيره، ترتبط مباشرة بتركيبة الجيش الأميركي. حيث يتم تغاضي القيادة عن الشذوذ والإنحرافات الجنسية والأخلاقية. وعليه فإن فضائح الجيش الأميركي تنتشر في كل أماكن تواجده وحتى في الداخل الأميركي. والتصرفات التي نراها في صور أبو غريب هي تكرار لمشاهد شبيهة كبتتها الدعاية الأميركية. ويكفي هنا التذكير بأن الجيش الأميركي ترك خلفه أسواق دعارة أطفال في بعض بلدان الشرق الأقصى. إضافة للقصص التي تروى عن معاناة الفيتناميين الجنوبيين من سادية وانحراف الجندي الأميركي. ولعله من المفيد هنا العودة الى الفضائح الحديثة للجيش الأميركي في اليابان حيث إضطر اللواء الأميركي في المارينز المدعو ايرل بي هيلستون للإعتذار من حاكم اوكيناوا بسبب جرائم الاغتصاب التي يقوم بها جنوده. وكذلك كوريا وخاصة لجهة جرائم الإغتصاب والشذوذ وجرائم المخدرات ...الخ.

ب- إحصائيات عدوان الجنود الاميركيون في الشرق الأقصى

-خلف الأميركيون في فيتنام 200 ألف عاهرة و500 ألف طفل غير شرعي وأسواق لدعارة الأطفال في دول الشرق الأقصى التي كانوا يتواجدون فيها.

-خلف الاميركيون مجموعة من الدول المنقسمة على نفسها والمتقاتلة في ما بينها على مدى عقود.

ج- الجندي الأميركي في العراق

بدأت فضائح الجيش الأميركي في العراق منذ لحظة بدء الحرب. وهي مطابقة للفضائح المعروفة عن الجندي الأميركي. ونذكر بالحوادث التالية:

1. إقالة ضابط أميركي في اليوم التاسع للحرب كبير بتهمة الفساد. وهي تتعلق ببيعه للمخدرات لجنوده.
2. النيران الصديقة التي أودت بحياة جنود الإئتلاف بسبب تعاطي الجنود الأميركيين للكحول والمخجرات أثناء القتال.
3. الإغتصاب الجنسي.
4. السرقات.

تقنيات التعذيب الأميركية

عمل الأميركيون ومنذ نهاية الأربعينيات على تطوير تقنيات إنتزاع الحقيقة من المعتقلين. وهذه التقنيات على أنواعها تتضمن إنتهاكاً لتكاملية الإنسان. وهي بالتالي إعتداءً على كرامته. وقبل الدخول في تفاصيل ممارسات التعذيب الأميركية نورد الملاحظات التالية:

أ **في سجن (Wallo Wallo) في ولاية واشنطن استخدم المدير وسائل تحقيق فريدة من نوعها.** فقد كان يجبر المساجين على العودة إلى طفولتهم (نكوص إجباري) عن طريق إجبارهم على ارتداء القماط (اللفافة) وعلى تناول الحليب بالرضاعة وعلى الزحف أرضاً. وقد خضع لهذا العلاج حوالي الألف سجين وعلى امتداد اثني عشر عاماً. وقد أطرى بعض السلوكيين من المتخصصين على هذه النظرية العلاجية !

ب في أيرلندا الشمالية سادت ولفترة الطريقة الآتية: يلبس المسجون قناعاً له فتحة فقط مكان العينين ويتضمن عازلاً سمعياً. ثم يحرم الشخص من النوم نهائيا خلال الأيام الأولى من احتجازه ويجبر أيضاً على البقاء في وضعية الوقوف (ولا يسمح له بالاستلقاء) وكذلك فهو يحرم من الطعام خلال هذه الأيام. وبذلك يفقد توازنه ويدخل في حالة غسيل مخ. وتطبق هذه الطريقة على المعتقلين العرب في اشرائيل وغوانتانامو والعراق.

ج- طورت الولايات المتحدة وابتداءً من العام 1956 تقنيات متطورة لتفكيك الشخصية. وكلها متمحورة حول عزل السجناء بهدف تعطيل دماغهم وإلغاء أية مقاومة دفاعية عندهم. إضافة إلى التسبب بالقلق والإذلال المعنوي وصولاً إلى إحداث تناذر دماغي يحول الشخص إلى ودود، مطواع على استعداد لتقبل الإيحاءات وصولاً إلى العجز عن سيطرته على نشاطه الذهني.

د يضاف اليها تقنية الرجرجة التي تعتمدها اسرائيل.

أما عن تاريخ الممارسة الأميركية لتقنيات التعذيب فنذكر أنه قد انتشرت وحدات خاصة مثل القبعات الخضراء في القوات البرية وال SEALللبحرية وقوة العمليات الخاصة في القوات الجوية في عشرات الدول مثل الهندوراس وإندونيسيا وتايلاند، والفيليبين وقمعت رغبة شعوبها بالاستقلال السياسي والاقتصادي. ونشر في 1963 أول كتاب إرشادي عن سير التحقيق بعنوان KUBARK وهو عبارة عن دليل مفصل لمختلف الأساليب التي تهدف أولا إلى سحب المعلومات من عناصر المقاومة. وتبدأ بالمواصفات المطلوب توافرها في المحقق الجيد. ثم يستعرض الكتاب التقنيات الإلزامية التي تخدم هذا الهدف. ويشير الكتاب إلى بضع توصيات مادية مثل ضرورة وجود الشريط الكهربائي من البداية. لكي يكون المحول وأجهزة التحويل الأخرى متوفرة إذا لزم الأمر. ويقترح إبقاء المعتقل في حالة حرمان حسي (يبقى واقفا مع حرمانه من النوم والإحساس باللمس والنظر خلال فترات التوقيف الطويلة) وذلك بهدف كسر إرادته. كما يشرح الملخص بأنه في الظروف المثالية يشعر المستجوب برغبة في فرض العنف بنفسه وبأن وسائل مثل برميل المياه والرئة الاصطناعية ستكون أشد فعالية. وبطبيعة الحال تشير مقدمة الكتاب إلى أنه يجب إلا يساء فهمه كأنه ترخيص باللجوء إلى تقنيات قهرية.!

بعض المقاطع المقتبسة من هذا الكتاب وكذلك من كتب أخرى من حقل الاستخبارات العسكرية العائدة إلى منتصف الستينيات والمعروفة باسم المشروع X تم الأخذ بها لإعداد الطبعة الثانية من كتاب الجلاد الممتاز بعنوان " استخدام المصادر البشرية – كتاب تمريني " واستعمل بشكل واسع في أميركا الجنوبية من 1983 إلى1987 ويفصل هذا الكتاب ممارسات شبيهة بتلك المكتشفة في سجن أبو غريب. والنسخة الأصلية كانت تشترط الآتي : نطرح أسلوبين في التقنيات: قهرية وغير قهرية، وإذا كنا لا نشدد على اللجوء إلى التقنيات القهرية لكننا نرغب بعزم أن تأخذوا علماً بها. لكن هذا المقطع عدل على أثر تحقيق في مجلس الشيوخ حول انتهاكات حقوق الإنسان من كتيب الموت في الهندوراس في 1988 ليصبح: إذ كنا ناسف شديد الأسف للجوء إلى التقنيات القهرية فإننا ملتزمون قطعا بإعلامكم بها كي تتحاشوا استخدامها. ولا يخلو الكتاب من تحذير من اللجوء المتكرر إلى التعذيب يضعف التشدد الأخلاقي المنظم الذي تمارسه وتخطئ كل من يعينهم الأمر.

ومنذ العام 1966 تم إدخال أشهر الكتيبات الإرشادية في مناهج التعليم المعتمدة في مدارس أميركية عدة لا سيما في المدرسة الأميركية في بناما، وفي أكاديمية كادرات الحرب السياسية في تايوان. فعلى مدى عقد من الزمن لقنت تقنيات الاستجواب للعسكريين في أميركا الجنوبية والأسيويين الذين فوضت إليهم المهمات الصغرى في مواجهة التمرد.

في 1967 علق هذا التدريب بعد أن عملت به لجنة برلمانية وثبتت إدارة كارتر هذا التعليق. لكن إدارة ريغان عمدت إلى تجديد نشاط مدرسة المعذبين الأميركيين وإلى جمع الكتب في نشرة صدرت عام 1983 وصدق عليها رسميا مع أنها أهملت عمليا لأن الجلادين ارتاحوا أكثر للتعامل مع نسخة 1963 الأكثر واقعية ووضوحا.

وقد أعاد فريق الرئيس ريغان عقارب الساعة إلى الوراء وأكد قراره بمقاومة العصابات الكاستروية في أميركا، الوسطى ولم يتردد في التصريح عبر وزير خارجيته الكسندر هيغ بأن الإرهاب الدولي هو التعبير المستخدم من الحكومة الأميركية لتسمية التمرد والحركات الثورين آخذ مكان حقوق الإنسان في اهتماماتنا.

ثم جاءت ترجمة هذه الكتب وانتشارها الكثيف في أميركا الجنوبية بين قوات مواجهة التمرد المحلية لتسبب إزعاجاً للبنتاغون لدرجة أنه في عام 1992 وجه تقرير سرياً إلى ديك تشيني (وزير الدفاع في الحكومة بوش الأب حينذاك) بعنوان عناصر غير ملائمة في كتب الإرشاد باللغة الإسبانية يعرب عن حال القلق بالنسبة إلى بعض العناصر الإجرامية والمشبوهة، التي يحتويها هذا الكتاب والتي تتعارض مع أولوية القيادة الجنوبية بتشجيع احترام حقوق الإنسان

وتقوض مصداقية الولايات المتحدة وتحرجنا فعلياً. وكان تحقيق داخلي في وزارة الدفاع قد أثار قبل بضعة أشهر مسألة 7 كتب إرشادية قيد التداول وربطتها بحالات مكتشفة عدة من ضرب الهراوات وتوقيفات عشوائية وإعدامات واستخدام حقن الحقيقة.

منذ الستينات يوجد ما يدل على أن توجيهات ديك تشيني اللاحقة بالبحث وإتلاف كل النماذج الموجودة من هذه الكتب في إطار عملية تصحيحية بعد أن أتت مقاومة التمرد ثمارها وأخضعت قسما كبيرا من أميركا الجنوبية، لم تكن إلا محاولة رخيصة لإخفاء دلائل مخطط مدروس بعناية في خطابه حول حال الاتحاد 2003 وصف جورج بوش نظام صدام حسين بالتالي : صدمات كهربائية إحراق بالقضبان النارية والأسيد بتر الأعضاء كهربائيا قطع اللسان والاغتصاب إذا لم يكن هذا الشر بعينه، تكون هذه الكلمة فارغة من معناها.

ومع قدومه الى البيت الأبيض دشن بوش الإبن ولايته بإطلاق الريغانية من عقالها. ففي حين أقال ريغان وزير خارجيته الكسندر هيغ (بسبب تطرفه) جاء بوش بكل متطرفي إدارة ريغان. فكانت بدايات التطرف مع تكثيف التواجد والتجسس الأميركيين في انحاء العالم مع الإصرار على مشروع الدرع الصاروخي. فكانت حادثة الطائرة الصينية نهاية فيراير 2001 وأعقبتها حادثة سفينة الصيد اليابانية. لكن الممارسة الأعنف كانت داخل الولايات المتحدة حيث تم قمع مظاهرات مدينة سينسيناتي الأميركية بأكثر أساليب القمع وحشية. مع التعتيم الإعلامي عليها. وهكذا فإن إطلاق الجدل حول مسألة التعذيب نهاية 2003 لم يهدف بشكل عام إلا إلى قبول وتعميم ممارسات أميركية منتشرة بشكل واسع. مستندة إلى القوة حينها، والذي لا إمكانية لتهدئته إلا عبر تخطي عدد الضحايا المدنيين للحرب على الإرهاب ضحايا 11 أيلول. وهنا نتساءل: قبل أن تكون هنالك وسيلة للحصول على المعلومات ألم يكن التعذيب المنهجي الرسمي تجسيدا لإرهاب الدولة بامتياز؟... من يجرؤ على الإدعاء أن الشعب العراقي لم تروعه فكرة الوجود بين أيدي جلادي أبو غريب؟.

واليوم الولايات المتحدة تطالب بإلحاح بتجديد قرار مجلس الأمن الذي يعفى عسكرييها من أي ملاحقة أمام محكمة العدل الدولية، الفكرة واضحة بموازاة معركة قانونية عقيمة، تلقي بالمسؤولية على القيادة العليا، التي أطلقت بضعة عيارات في أفضل الأحوال سيكون المنفذون محميون على أعلى مستوى ، وكل طرح للمسألة سيصل إلى نقطة مسدودة.

وفي النهاية تجدر الملاحظة الى أن كتاباً أعد العام 1983 خصيصا لتصدير التعذيب إلى أميركا الوسطى. حيث كانت كل الوسائل الناجعة لمنع الشعوب من مساندة الشيوعيين مقبولة. ولقد قاد تلك العمليات جون نيغروبونتي. بحيث يأتي قرار تعيينه سفيرا للولايات المتحدة في بغداد ابتداء من 1 تموز 2004 استنادا إلى خبرته الواضحة في هذا الإطار.

الإدانة والإستهجان الغربي لهذه الصور

العالم لم يفقد قلبه وهو تعاطف إنسانياً مع الضحايا العراقيين. وهذا يعطي بعض الأمل في التعاطي مع الرأي العام العالمي ومخاطبة آدميته عبر الإعلام. ولنا في لبنان تجربة نشر إعلان مدفوع في وسائل الإعلام الغربية حول مجزرة اسرائيل في المنصوري. ويومها أعطى الإعلان فعالية فائقة. وربما كان الهجوم على قناة الجزيرة لكونها تؤمن لنا مثل هذه الإعلانات مجاناً .!

هنا لا بد من التذكير بموقف الرأي العام العالمي من الحرب على العراق. حين عارضها بكل ما توافر له من وسائل. فالعالم يحلم اليوم بنهاية الحروب وإرتقاء إحترام الحياة البشرية وتحسين نوعيتها وظروفها. ومن هنا فهو جاهز لمعارضة كل الممارسات المستندة الى القوة والقهر من أي مصدر أتت. وعليه فإن من واجبنا التركيز على مخاطبة عالم لم يفقد قلبه.

سيكولوجية الجندي الأميركي

الجندي الاميركي يدرك بان سياسة بلاده تقوم على جلب المكاسب عن طريق التهديد بالقوة. فإذا لم ينجح التهديد فهي تلجأ الى الترويع بإستخدام تفوقهم التسلحي. ويعتقد الجندي الأميركي أن قيادته لا تزج به بأكثر من رحلة صيد.

وترسخت هذه القناعات عبر حرب كوسوفو برفض القيادة إنزال أي جندي أميركي قبل نهاية الحرب فدفع الفرنسيون بجنودهم لإنهاء تلك الحرب. أما في أفغانستان فقد تولت القبائل المهمة. ولم ينزل الجندي الأميركي الى ارض افغانستان الا بعد إستقرار الأمر فيها. هذه الأمثلة تبين قناعة الجندي الأميركي حول دوره القتالي. وهو دور معدوم المخاطر .

من هنا كانت صدمة الجندي الأميركي أمام المقاوم العراقي عنيفة إذ وجد نفسه أمام أخطار حقيقية وأمام مواجهات مباشرة تكاد تشل تفوقه التقني وتجهيزه بثلاثين ألف دولار من المعدات لحمايته. وهذه الوضعية تفسر لنا قائمة المظاهر الصدمية المتبدية لدى الجنود الأميركيين في العراق ومنها الظواهر التالية:

3-حالات الإنتحار الوبائية بين الجنود الأميركيين.

4- النيران الصديقة./ بريطانيين وشرطة ومتعاونين عراقيين وحتى تجاه جنود اميركيين.

5- زيادة الإقبال على المخدرات والكحول./ تسجل المقاومة إختراقات معلوماتية هامة للجيش الاميركي بتأمين المخدرات للجنود. (وجدت زجاجات ويسكي فارغة في الطائرات والعربات الأميركية، كذلك ترصد حالات منتشرة من إدمان المخدرات على أنواعها. حيث تم عقاب عدد من الضباط الأميركيين لاتجارهم بهذه المواد، كما أنه من المعروف أن تعاطي المخدرات شائع بين الشباب الأميركي ولا يستثني الجنود منهم، وهؤلاء يقاتلون وهم تحت تأثير المخدر بما يدعم تكرار وكثافة الممارسات الإنحرافية للجنود الاميركان.)

6- تضخم السلوك الغريزي (فلأفعل كل شيء قبل أن أموت.)

7-سيطرة الغرائز البدائية. ومن هنا تفجر الشذوذ والإنحرافات الأخلاقية ذات الطابع الوحشي لدى الجندي الأميركي.

8- تنامي مخاوف الموت والرغبة في الهروب من العراق.

9- الهروب من الخدمة / بعضهم يتزوج عراقيات ويسلم ويختبيء.

10- عدم الجهوزية القتالية. حيث أهلية الجنود الأميركيين للقتال في العراق تنخفض تدريجياً بسبب تداخل الظروف المناخية مع حرب العصابات مع الجهل التام بثقافة البلد... ألخ من الظروف المهددة للجندي الأميركي والتي تجعله في حالة خوف دائم وإرهاق نفسي ضاغط، الأمر الذي يدفعه للاستعجال في إطلاق النار ولممارسة العدوان لمجرد شعوره الذاتي بالخطر. وذلك إضافة الى الإرهاق الناجم عن عدم تبديل الفرق الأميركية المقاتلة وبقاءها في ساحة القتال مدة أكبر من قدرتها على الاحتمال.

11- تفاقم الفساد داخل الجيش الأميركي. ومن مظاهرها الصراعات على المغانم. حيث سجلت عمليات فساد واسعة في الجيش الأميركي بدءا من سرقة البيوت لغاية سرقة الآثار، مرورا بتجارة المخدرات وغيرها من مظاهر الفساد وهذه العمليات الفاسدة تتخللها عادة الصراعات والتصفيات الجسدية بين الجنود الأميركيين. وهي تسببت بإقالة عدد من كبار الضباط الأميركيين مناصبهم.

12- التمييز داخل الجيش الأميركي. حيث حوادث التميز العنصري والطبقي بين الجنود الأميركيين وبخاصة التمييز الممارس على المقاتلين رغبة في الحصول على الجنسية الأميركية. وهؤلاء يشكلون نسبة 24% من عديد الجيش الأميركي. كما أن غالبية الجنود الأميركيين في العراق ينتمون إلى الطبقات الأميركية الفقيرة.

13- تلاوين الفساد الأميركي. حيث توجد علاقة لأنماط وأنواع فساد الجنود بانتماءاتهم العرقية والطبقية وبقية التناقضات الأميركية. وهذا ما تجلى قبل بداية الحرب بحادثة الجندي الأميركي الذي قتل رفاقه في الخيمة في الكويت.

14-غياب العقيدة القتالية لدى الجندي الأميركي. حيث أن الجيش الأميركي لا يملك عقيدة قتالية تدفعه للتضحية بحياته لأجلها،وهذا ما تبينه مقابلات ال CNN مع الجنود الأميركيين والتي تم منعها لاحقا. وهذا المنع إنما يعكس هشاشة الهيكلية للجيش الاميركي في العراق.

أما عما بقي من اللحمة في الجيش الأميركي بغياب الرخاء فهو سبب وحيد هو الخوف من الموت ومن التواجد في العراق في وضعية تهديد للحياة من الدرجة الأولى. وهي وضعية تكاد تخرج على السيطرة مع التطور النوعي لعمليات المقاومة العراقية. والتي بلغت حدود قصف مقرات القيادة الأميركية والنجاح في إستهداف مسؤولين أميركيين كبار. مما يفقد القيادة القدرة على تقنين مخاوف وانفعالات جنودها. وهذه الوقائع يجب أن تثبت للأميركيين أنهم يملكون جيشاً مؤذياً ومدمراً لكنهم لا يملكون بحال جيشا مقاتلاً وليس أدل على ذلك من محاولات بوش المستميتة للهروب من العراق. ولو بثمن طلب الغوث الاسرائيلي ودفع ثمنه المستحيل. فشراكة اسرائيل في الورطة الاميركية تحول الولايات المتحدة من دولة عظمى الى رئيسة عصابة دولية تتحكم فيها اسرائيل وتفرض الإتاوات على العالم عبر القوة الاميركية.

سيكولوجية المقاوم العراقي

هل تتم مكافحة رغبة الانتقام الصادرة عن مظلوم برفع الظلم عنه أم بزيادة جرعة الظلم الممارسة ضده؟. وعلى المتضررين من آثار الظلم وردود فعله الإنتقامية أن يبحثوا لهم منذ الآن عن مصطلح جديد أكثر تعبيراً من مصطلح " الإرهاب" الفاقد لدلالته منذ ولادته .

ان شجاعة المقاوم العراقي وجهوزيته للموت لغاية تفجير نفسه وتحويل جسده أشلاء تضاعف رعب الخائفين الذي يطلقون نيرانهم خوفاً لاستجلاب الأمن عبر العدوان .

أما عن سيكولوجية المقاوم العراقي فهو إنسان عادي ليست له سيكولوجية خاصة. وهو إنما يفجر نفسه بدافع تعرضه لكارثة معنوية. وهي كارثة تهدد قيم الشخص ومقدساته واستمرارت نوعه وأمته فتصبح حياته فاقدة لقيمتها مما يدفعه إلى استسهال الموت. بل إلى تمني الموت هربا من تحمل أثار الكارثة وإذلالها .

قد لا تكون لدينا جميعا شجاعة استحضار وجلب الموت الشخصي ودعوة عزرائيل لقبض روحنا. لكننا نعاني من الإذلال المرافق للكوارث المعنوية وهي معانة ترجمتها الشعوب العربية بتظاهراتها وتبرعاتها وتضاعف شعورها بالانكسار والأهم من كل ذلك عبر شعور الجمهور العربي بالذنب أمام الضحايا العراقيين وإحتقاره لعجزه عن مد يد المساعدة للعراقيين. بل هذا الإذلال تحول إلى شعوب غير عربية تمكنت من التمييز بين الجاني والضحية في عتمة الحصار الإعلامي الممهد للمجازر الأميركية. فقد أدرك الأوروبيون مثلا أن هذه الجرائم تعكس ميول معادية للإنسانية وليس للعرب لوحدهم. لكن هؤلاء ،والأجانب عموماً، لا يستطيعون استيعاب دوافع استجلاب الموت الشخصي عبر الإقدام على الموت لغاية تمنيه. والوقت لا يتسع لإفهامهم العلاقة بين الاستشهاد و بين البحث عن الاعتراف بالجماعة / الأمة وكرامتها. فحسبنا أن نعرض على هؤلاء نوعا آخر من شهدائنا. ذلك النوع الذي يصاب ويبقى ينزف حتى الموت لان الأميركي المتحضر يمنع إسعافه ووصول إي مساعدة طبية له. هذا النوع يمثل أقسى طرق الموت التي يمكن لبشر أن يتخيلها حيث تجتمع عليه الآلام ومخاوف الموت ومشاعر الذل ورغبة الانتقام وكل جبروت الاضطهاد. وكأن الوحوش الآدمية لا تكتفي بهذه العذابات فتتابع عدوانها على جثته حيث تتركها للانتان والتحلل على أيام منتهكة بذلك حرمة الأموات. لو قدر لأي شخص الاختيار بين هذه الميتة المسالمة بهذا الأسلوب الشيطاني وغير البشري وبين الموت خلال لحظات بتفجير استشهادي ، فإن الشخص سيختار الثانية حكما. وذلك بغض النظر عن انتمائه " عربي أو مسلم أو غيرهما " وعندها فقط يستطيع هذا الشخص أن يظهر حسده للإستشهاديين وتفهمه لدوافعهم وطريقتهم في الموت .

العلم العراقي

فكرة العلم المقترح غبية بشكل غير مألوف. حيث الخطان الأزرقان يمثلان تخلياً عن الحصة الإسرائيلية في علم النهرين (أي شرق الفرات). وكأنه يقصر الأراضي العراقي على حوض ما بين النهرين. أما اللون الأصفر المعلن رمزاً كردياً فهو يعطي دلالة عربية واحدة سنية وأخرى شيعية للخطين الأزرقين. وكأن تقاسم العراق وتقسيمه تحول الى التكريس .

أما الهلال فهو ينتشر على خلفية بيضاء وكأن الإسلام مجرد محاولة ملء فراغ لهذا البلد. فهل يقبل عراقي أو حتى عربي منتمي بدخول هذا البلد العريق في حالة فقد ذاكرة كلي بهذه الدرجة من الخطورة ؟. وهل أصبحت حضارة العراق موضوع تقاسم في ظل دور وظيفي للإسلام؟.

بالإنتقال الى التحليل النفسي للرسم نجد أن الخطوط الثلاث تقع أسفل العلم وتمتاز بضيقها ودقتها. الأمر الذي يعكس النكوص الى المرحلة الطفلية مع فقدان التعلق بالماضي وفقدان الجذور.

الأهم أن العلم المقترح يتخلى عن دلالات ورموز العلم العراقي التي تجمع بين كونه علم وحدوي عربي وبين رمز اسلامي مكتوب هو عبارة: الله أكبر التي لا يعوضها الهلال الخجول رغم حجمه وخاصة خلفيته البيضاء. يبقى أن الجميع لاحظ أن فكرة العلم تتضمن تقليداً صريحاً للعلم الإسرائيلي ورموزه النهرية. فهل هذا هو مستقبل العراق الاميركي المنشود؟ .

والتخلي عن هذا العلم لا يعني بحال التخلي عن الأفكار المحركة لمجموعة أفكاره السامة والإيحاءات الإسرائيلية الفاعلة في صوغه.

قراءة نفسية في الفكر الاستشراقي

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

إن كل خلية من خلايا الجسم البشري تحمل في طياتها برنامجاً وراثياً معقداً هو بمنزلة التراث البيولوجي - الوراثي للشخص صاحب الخلية. من هنا كان اهتمام الأطباء بمعرفة العوالم الوراثية المؤثرة في صحة مرضاهم. بل بعض الأطباء النفسيين يصرون على تحديد "شجرة العائلة الوراثية" لمريضهم. وفي طليعة هؤلاء العالم المجري ليوبولد سوندي يبني نظريته على أساس هذا التحديد. ويتضح لنا مدى تجاهل الإنسان لتراثه وجهله له من خلال اختبار يتمثل بسؤال واحد هو التالي : "كم تعتقد يبلغ عدد أسلافك خلال 20 جيلاً؟".

لقد طبقنا هذا الاختبار في بيئتنا العربية فحصلنا على تخمينات تراوحت بين أربعين سلفاً ومئتي سلف. في حين أن الجواب الحقيقي هو مليون سلف. بل إن عدد الأسلاف يصل إلى مليار سلف خلال ثلاثين جيلاً. هذا إذا وافقنا على اعتبار عائلات الأسلاف عائلات صغيرة العدد. وهو اعتبار في غير مكانه في بيئتنا العربية.

إن هذا العدد الهائل من الأسلاف لابد له من أن يتضمن قديسين ومجرمين، عقلاء ومجانين، شرفاء ومنحرفين وغيرها من التناقضات التي تجعلنا قادرين على نسبة الشخص إلى قديسين عقلاء وشرفاء. كما تجعلنا قادرين على نسبة الشخص نفسه إلى مجرمين مجانين ومنحرفين. ففي خلاف جيلين لا أكثر نجد في كل عائلة بطلاً يقابله مجنون وقديساً يقابله منحرف. وكلهم يملكون نفس الخريطة أو البرنامج الوراثي أو الذاكرة الوراثية.

إلى جانب هذه الذاكرة الوراثية يملك الشخص ذاكرة النوع البشري التي أتاحت للجين إفراز المادة التي ساعدته على اختراق البويضة لتبدأ حياته الجنينية ومعها ذاكرته الجنينية (يسمع الجنين الأصوات ويمص إصبعه ويكون مجموعه من الارتكاسات ويحتفظ بها في ذاكرته البدائية لكي يواجه بها حياته المقبلة خارج رحم أمه) ثم تبدأ ذاكرته الرضاعية لدى شعوره بالاختناق فور خروجه إلى النور. فيصرخ صرخة الولادة ليدخل الهواء إلى رئتيه للمرة الأولى وليعاني أولى تجارب قلق الوجود الذي سيصاحبه طيلة حياته ولكنه سيعجز عن استحضار المعلومات المختزنة في ذاكرته لغاية بلوغه سن الثلاث سنوات حين تبدأ اللغة بالتكامل في إدراكه. فلو طلبنا من أي شخص العودة إلى أعماق ذاكرته ومحاولة تذكر أقدم حدث يمكنه أن يتذكره فإننا سنجده يقف على مشارف السنة الثالثة من عمره. ولعله من المدهش أن ذكريات تلك الفترة المبكرة من العمر تأتي متناسقة ومنسجمة مع شخصيته الراهنة. وكأن نواة الشخصية قد تكونت في هذا العمر. حتى نشأ تيار نفسي يدعو إلى دراسة الشخصية من خلال أقدم الذكريات التي تستطيع استحضارها. لكن ذاكرة الإنسان لا تواصل تطورها المنتظم منذ سن الثالثة بل هي تتعرض لنسيانات عديدة في الفترة العمرية الممتدة من 5–8 سنوات (وهذا ما يدعوه فرويد بفقدان الذاكرة الطفولي وهو قابل للاسترجاع).

وتبدأ ذاكرة الشخص بالمعنى المألوف لتسجل تجاربه الحياتية وتفاعله مع محيطه بالسلب وبالإيجاب. فتتكون الذكريات بمعناها التقليدي وبأثر ذاكرة النوع يميل الشخص لاستحضار ذكرياته الإيجابية ولنسيان وكبت السلبية منها. هذا ويتفق كافة علماء النفس على أن مواجهة الشخص بذكرياته السلبية هو نوع من أنواع الوحشية (يدعوه فرويد مثلاً بالتحليل الوحشي) فالشخص لا يتحمل هذه المواجهة إلا إذا وضع الأمور في سياقها الذي يبرر حدوثها. أما العالم بيار مارتي فإنه يعتبر أن اللاوعي (ذلك الجزء المكبوت من الذاكرة) هو معادل الحقل الألغام وأنه ليس من مصلحة المتعالج

أن يجول معالجه بين هذه الألغام فيفجرها له دون واعي ودون ضرورة. من هنا يدعو مارتي لاقتصار تركيز المعالج على مساعدة المتعالج على تفكيك الألغام فقط في المنطقة المتعلقة باضطرابه من لاوعيه.

ويبقى السؤال كيف يكوّن الإنسان مفهومه للآخر؟ إن الرضيع يكتشف في سن معدله 5 أشهر أن قدمه تنتمي إلى جسده. ويتم هذا الاكتشاف أثر حركة عشوائية تصطدم من خلالها يده بقدمه. وكم يسعد الرضيع بهذا الاكتشاف فيقضي أوقات طويلة يتمتع باللعب بأصابع قدمه. ثم يمضي لاكتشاف بقية جسمه تدريجياً. فإذا ما تم هذا الاكتشاف أدرك أن جسد أمه لا ينتمي إليه وإن أمه هي شيء آخر بالنسبة له وبهذا يبدأ الطفل بتكوين مفهوم "الآخر" ويكون ذلك أيضاً في حدود الثلاث سنوات من عمره.

على هذه الأسس يمكننا القول بأن لكلّ شخص عدة خيارات قدرية. فقدره مؤلف من مجموعة الخيارات المعيشية المتاحة له والتي تحددها شروط وراثته وظروف حياته. إن هذا التعريف يجمع بين الجبرية وبين الاختيارية. إذ نلاحظ من جهة أن لا خيار للإنسان في تحديد خياراته المعيشية. إلا أنه من جهة أخرى حر في انتقاء واحد من الخيارات المتاحة له. انطلاقاً من اعتبار أن الشخص يحمل في طياته الوراثية خيارات محددة لا يكون مجبراً في معايشتها جميعاً فهو قادر على الانتقاء من بينها. فإذا ما أساء هذا الاختيار أمكن للعلاج النفسي مساعدته. هكذا فإن تعرفنا إلى التراث الفردي للشخص يجعلنا قادرين على مساعدته ولكن أيضاً على تدميره بوحشية. فلنتخيل ماذا يكون مصير هذا الشخص إذا ما أخرجنا له فضائح أسرته وعرفناه على أسلافه المنحرفين والفاسدين متجاهلين أسلافه الصالحين والشرفاء. ثم عدنا فنقبنا في ماضيه الشخصي فواجهناه بكل مكبوتاته السلبية دفعة واحدة. ثم أوحينا له بانتقاء أسوأ خياراته المعيشية؟

إن هذا الأسلوب معتمد في علم النفس السياسي. بل إن تطبيقه يتخطى الأفراد إلى مجتمعاتهم وإلى الأمة التي ينتمون إليها. وهذا تحديداً هو ما فعلته الحركة الاستشراقية بالأمة العربية وبتراثها.

1- في الاستشراق:

إن التراث العربي هو الذاكرة اللغوية للأمة العربية. لكن تراث الأمة لا يكتمل إلا بدراستها دراسة أنتروبولوجية اجتماعية معمقة. لذا اكتفى المشروع الاستشراقي بدراسة التراث العربي المدون وهو اختصار ينطوي على الكثير من احتمالات الشطط وسوء التفسير. خصوصاً لجهة نسبة هذا التراث إلى الأمة ولغتها ليكون عربياً أم نسبته إلى الدين فيكون إسلامياً.

ولو نحن أمعنا النظر لوجدنا أن فترة الذروة الاستشراقية قد تزامنت مع وقفة غورو (قائد الجيش الفرنسي) أمام قبر صلاح الدين الأيوبي وهتافه: "ها نحن يا صلاح الدين قد عدنا فانهض من قبرك وحاربنا". فهلا عدنا سبعة قرون إلى الوراء من تاريخه لنرى كيف تعامل صلاح الدين مع القواد الصليبيين بأسلوب شهم و فروسي بعيد عن انتهاك حرمة الأموات بسبعة قرون من الرقي بعد وقفة غورو.

إن هذه الرغبة المحمومة في الانتقام تجمع بين هذا القائد وبين معاصريه من المستشرقين. فهم يعتبرون فشل مشروع الحروب الصليبية بمنزلة الظلم الذي يستدعي الانتقام. فإذا ما تم لهم استعمار المنطقة ترسخت لديهم مشاعر الاضطهاد المرضية. لذلك اعتمدت استراتيجيتهم في تلك الفترة مبدأ المزج بين الاستشراق وبين التبشير. لتضاف لاحقاً إلى هذه الاستراتيجية مظاهر التسلط السياسي والاقتصادي ومن ثم تفجير كافة ألغام الصراعات التاريخية المكبوتة (الأقليات والدينيات والمذهبيات... الخ).

انطلاقاً من هذه المعطيات لم يعد بالإمكان النظر إلى الاستشراق كمشروع دراسي ينضوي على بعض الإنسانية وعلى القليل الأقل من الموضوعية. فرغبة الانتقام تجعل الاستشراق عاجزاً عن الانطلاق من الوقائع مروراً بالتحليلات وصولاً إلى النتائج. فالمشروع الاستشراقي كان مشروعاً جاهز النتائج ومحضراً للحلول الجاهزة بما يجعله محتاجاً إلى سوء تفسير الوقائع وتحوير التحليلات وصولاً إلى نتائج مجهزة ومقولبة مسبقاً لتسويق الحلول التي لا تخرج عن فرض أسوأ الخيارات المعيشية المتاحة لأمتنا.

وطرحنا هذا ليس تهمة نلقيها جذافاً بل هو طرح موضوعي تدعمه حقائق ثابتة (يعترف بها بعض المتنورين الغربيين الذين سنسرد موجزاً لآرائهم لاحقاً) أبرزها التالية:

1- إن الاستشراق هو مشروع متكامل محدد المنطلقات والغايات. وبالتالي فإن أياً من المستشرقين لم يتعامل مع تراثنا تعاملاً فردياً (وإلا كنا على استعداد لاحترام آرائه مهما اختلفنا معها) وإنما كان هذا التعامل داخلاً في إطار مشروع كلي.

2- كما قدمنا فقد كان الاستشراق فعلاً انتقامياً بما يفقده صفات الموضوعية والحياد العلمي والقدرة على احترام النتائج الحقيقية.

3- يتعامل الاستشراق مع الأحداث التاريخية من خلال تجزيئه لها ومن خلال عدم احترامه مبدأ السياق الزمني للحدث (العودة إلى الزمن التاريخي). وبهذا فإن الاستشراق يرتكب مخالفة مزدوجة

للمنطق. فالحقيقة الكاملة تختلف عن أجزائها (خصوصاً إذا كان إدراك هذه الأجزاء انتقائي بصورة سلبية خبيثة) وهي ليست مطلقة كي نهمل عوامل الزمان والمكان في تعاملنا معها. كما يرتكب الاستشراق من خلال هذا التعامل، خطيئة التحليل الوحشي لتراث الأمة (وهي خطيئة جرمية على صعيد الأفراد فما بالنا على صعيد الأمم؟

يضع التبشير لنفسه هدف التعاطي مع الدين الإسلامي على أنه أسطورة شعبية ومع المعتقدات الإسلامية على أنها منقولة عن اليهودية والمسيحية. وهو بذلك لا يلغي الآخر كشخص وإنما يحاول إلغاءه كعقيدة. وفي هذا الموقف انتقام سادي قد يكون من حق القوي على الضعيف ولكنه حتماً لا يندرج في خانة الموضوعية التي يحاول المستشرقون ادعاءها.

4- بقيت اللغة العربية والفكر اللغوي العربي عقبات كأداء في وجه المشاريع الاستشراقية. فاضطر الاستشراق للتعرض لهما فكانت محاولات تعطيل اللغة العربية باعتبارها سبباً رئيسياً لتخلف الناطقين بها. ومن ثم محاولات إبدالها باللهجات المحلية والعامية. وأيضاً محاولات اختراق فكرها وحرفها بدعوات إلغاء التشكيل وكتابتها بالحروف اللاتينية وتشجيع اللغات المكتوبة بالحرف العربي للتخلي عن هذا الحرف... الخ من محاولات استهداف اللغة ومحاولات اغتيالها ككائن حي يلعب دور الوالدة بالنسبة للأمة.

5- العمل على تجسيد أهداف الاستشراق من خلال خلق التيارات والمؤسسات التي تحتضن هذه الأهداف وتؤمن استمراريتها وتفاقمها وصولاً لإرصان مقدمات استعمارية أعمق وأرسخ. تتوافق على هدف نهائي هو اغتيال ثقافتنا.

فكم كان لهذه المشاريع من تأثير على فكرنا العربي المعاصر؟ وإلى أي مدى نجحت في تحقيق غاياتها؟ وما هي تطوراتها وأخطارها الآنية والمستقبلية؟ ... الخ كلها أسئلة وإشكاليات تحتاج للمناقشة.

2- الاستشراق يفجر الألغام التراثية:

قلنا إن اللاوعي مزروع بالألغام وإن تفجير هذه الألغام هو إساءة بالغة واعتداء وحشي ودفع نحو أسوأ الخيارات. فللأمة كما للأشخاص، لا وعيها الجمعي الذي يؤثر مباشرة في وعيها وسلوكها. فإذا ما تعرض الوعي إلى أزمات راهنة ومرهقة فإنه يلجأ إلى الحيل الدفاعية للحفاظ على توازنه وعلى ذاتيته. في مقدمة هذه الحيل تأتي حيلة: النكوص –التثبيت. بحيث تلجأ الذات إلى ماضيها بحثاً عن الأزمنة الماضية التي حصلت خلالها هذه الذرات على توازن واستقرار كافيين لترسيخ هويتها وتأكيد ذاتيتها. فإذا ما حددت الذات هذه المحطات ثبتتها في ذاكرتها ولجأت إليها وقت الأزمات. لكن هذه التثبيتات لا تكون دائماً مأمونة. فهذا التوغل في الماضي يمكنه أن يفجر لدى الذات ألغام الصراعات المكبوتة فتتحول هذه إلى راهنة. من هنا كان وجوب الحذر والتحكم في هذه العمليات. وقد يحصل أن يتدخل آخر ويستعرض ويدرس ويراقب ماضي الذات ولا وعيها. فإذا كان هذا الأخير إنسانياً وموضوعياً فإن بإمكانه قيادة نكوص الذات في الطريق الآمنة. أما إذا كان هذا الآخر وحشياً (أو جاهلاً) فإنه يقود الذات إلى تفجير ألغامها اللاواعية وإلى ترهين صراعاتها. بما يفقد الذات احتمالات القدرة على استعادة توازنها الذاتي ومعاودة تنظيم نفسها بنفسها. فتتحول هذه الذات نحو التفكك والتفتت وفقدان الهوية.

وإذا كان التراث المدون هو ماضي الأمة فإن لا وعيها هو مزيج من لغتها وصراعاتها الداخلية ورغباتها ونزواتها وطموحاتها وفطرتها ومعتقداتها. وجاء الاستشراق لينقب في ماضي الذات العربية ولينسف تراثها بشتى الطرق التي من شأنها أن تعيق أي نكوص مأمون ويحول جميع نكوصات الذات العربية إلى غير مأمونة وبالتالي إلى ألغام من شأنها تفجير جميع الصراعات الداخلية المكبوتة في الذات العربية. مع الإصرار على تحويلها إلى صراعات متجددة راهناً ومعيشة. ولذلك باستخدام مجموعة أساليب منها:

أ- تزوير النصوص: ويتم هذا التزوير بصور وأساليب متعددة منها:

ترجمة نصوص عربية إلى اللاتينية وانتحال مترجميها صفة المؤلفين. ثم تأكيد المستشرقين الجدد لهذا الانتحال أو محاولة فصلهم الأصل عن الترجمة.

- تحوير النصوص: على غرار تحريف رسالة ابن ميمون ونشرها على شكل رواية باللغة الفرنسية. وقد بلغ هذا التحوير حدود تحويل هذه الرسالة إلى إدانة الحضارة العربية والتنكر لتسامحها مع غير المسلمين.

- إخفاء بعض النصوص بعد سرقتها. ولا حاجة بنا هنا للتذكير بأن غالبية مخطوطاتنا التراثية موجودة في مكتبات أجنبية.

ب- سرقة المخطوطات والآثار عموماً وتهريبها إلى الخارج.

ج- إبراز النصوص التي تعيد إحياء الفتن والتناقضات: مثال ذلك الاهتمام بإخراج وتحقيق ونشر المخطوطات التي تعيد ترهين الصراعات الداخلية المكبوتة في الذات العربية. وتحديداً نعطي مثال مناقشة بروكلمان لحادثة صفين وهي مناقشة اعتمدت مرجعاً انتقائياً يخدم الأهداف المسبقة للمؤلف.

د- طمس الإنجازات الحضارية العربية: يكاد المستشرقون الإجماع على إنكار أية إضافة فكرية أو علمية للحضارة العربية. فالفكر العربي منقول برأيهم عن اليونان. وهم ينكرون فضل العرب في إرساء المنهاج التجريبي في العلوم وإضافاتهم الفلسفية والفلسفية – اللغوية إلى التراث الإنساني. وهم لم يعترفوا إلا مؤخراً بأسبقية ابن النفيس في اكتشاف الدورة الدموية. وهم إذا ما وجدوا أنهم مضطرون للاعتراف بإنجاز عربي ما فإنهم يعودون ليركزوا بإلحاح على الصفات التي تبعد صاحب الإنجاز عن عمليات النكوص –التثبيت المأمونة. فيجدوه إما ذي أصول غير عربية وإما مشكوك بأخلاقه أو بانتمائه الديني والمذهبي إذا اقتضى الأمر. وكأن التنقيب في هذه المواضيع أهم من الإنجاز نفسه.

هـ- أحادية الأحكام: ينطلق الاستشراق من مبدأ الدراسة وحيدة الاتجاه. فالحوار مع الآخر مرفوض. فهذا الآخر مجبر للتعامل مع هؤلاء الدارسين وفق المقاييس التي يحددونها هم. والتي تعتبر قيمهم مقدسة غير قابلة للنقاش وكل ما يعارضها من قيم الآخر هو في حكم الشذوذ.

و- تشجيع اللبس في تفسير الصراعات الداخلية للذات العربية.

ز- إنكار النصوص والمعطيات التي يمكنها أن تدعم الذات العربية وتساهم في دعم توازنها. وصولاً إلى اعتبار التعاليم الإسلامية بمنزلة الوضعية. كمقدمة لإنكار التراث كله واعتباره عاجزاً عن الصمود في الزمان. وهو اعتبار يشكل خطوة على طريق نسف أي محاولة تكامل بين التراث وبين الحداثة.

لكن النكوص (العودة إلى التراث) ليس بالحيلة العقلية –الدفاعية الوحيدة. إذ تملك الذات وسائل دفاعية أخرى للحفاظ على هويتها عن طريق استعادة توازنها وإعادة تنظيمها. وعندما تأكد لأصحاب هذه المشاريع فعالية هذه القدرات الدفاعية (البديلة للنكوص) لجئوا إلى العبث بلا وعي الأمة وبعناصر توازنه بما يؤثر على استقرار الذات وتوازنها.

3- العبث بلا وعي الذات العربية:

قلنا إن وعي الأمة يتخطى تراثها المدون إلى مجموعة العناصر المكونة للعقل العربي وهي نفسها العناصر التي كانت وراء إنتاج تراثها الحضاري. من هنا فإن تشويه التراث لا يكفي وحده لتشويه هذه العناصر ولدفع الذات العربية نحو الشك بعقلها. من هنا كان التركيز على العناصر التالية:

اللغة العربية: هذه اللغة التي مثلت أداة صنع الحضارة العربية وقناة تكريسها تاريخياً. بل إن هذه اللغة لا تزال محافظة على شبابها وحيويتها وأصالتها عبر تاريخها الطويل. لذلك كان العمل جاداً لإقرار خطط مدروسة لتشويهها وربطها بالتخلف العربي الراهن بهدف تحويل هذه اللغة إلى مجرد فولكلور.

ت- الصراعات الداخلية: إن الدراسة التاريخية المفصلة للتراث العربي تتيح للدارسين التعرف إلى نواة الصراعات الداخلية للذات العربية وإلى آثار هذه الصراعات في تفكيك الذات العربية. مما يجعل من السهل إعادة تفجير هذه العلائم التفككية –الفصامية عن طريق إثارة مشاكل الأقليات (الطائفية والمذهبية والعرقية والقبلية) في العالم العربي.

ج- التعويضات المستحيلة: تعتبر الرغبة من الدوافع الرئيسية الموجهة لسلوك الذات والمساعدة على تحقيقها لتوازنها. فإنجاز الرغبة يشكل كفاية للذات. من هنا فإن المشاريع الاستعمارية تغذي كافة الرغبات العربية غير القابلة للتحقيق وتستخدم هذه الرغبات المضخمة لكبت ومحو الرغبات الموضوعية القابلة للإنجاز والتحقيق وإعادة الثقة للذات العربية تالياً.

د- النزوات الفردية: النزوة الجماعية هي تعريفاً نزوة متسامية الأمر الذي يعقد استغلالها ويجعله صعباً. وكلما تجزأت هذه النزوة تدنى موقعها في سلم التساميات. ومن هنا تشجيع النزوات الفردية، من قبل الاستعماريين، ودعمها بهدف استغلالها في الأوقات المناسبة.

هـ- الإحباطات: على ضوء الوقائع المعروضة أعلاه تأخذ الطموحات طابع التعويض. وكلما زادت الإحباطات كلما بعدت الطموحات عن الواقعية. وهكذا فإن إفراغ الطموحات من موضوعيتها يمر بتعريض الذات للإحباطات المتكررة.

و- المعتقدات: وهي الأصعب منالاً لأنها تظل فاعلة في تحقيق توازن الذات (لأنها تساعدها على مواجهة قلق الوجود ومخاوف ما بعد الموت) حتى بعد إعاقة وتعطيل العوامل الأخرى. فإذا ما حدثت هذه الإعاقة اضطرت الذات للاعتماد كلياً على معتقداتها. مع ما يستتبعه هذا الاعتماد من خضوع كلي –نكوصي لهذه المعتقدات التي تصبح ممثلة وحيدة لهوية الذات. حتى يصبح النكوص الديني دلالة على إفراغ اللاوعي من عناصر دفاعه وعلى رغبة الذات في العودة إلى الصفر (ZERO) هذه العودة التي يشرحها التحليل بأنها معادلة للرغبة في الموت. لكنها تتجلى بالقول: "ليتني لم أولد" عوضاً عن القول: "ليتني أموت".

4- في مواجهة الاستشراق:

رأينا أن مشاريع الاستشراق تتمتع بدعم المؤسسات التي وضعتها وتتداخل مع المنظومات الفكرية –الاستعمارية لتكون مصدراً من المصادر الهامة لمعلوماتها ولرسم المستقبليات وتحديد إمكانية

التدخل في توجيه هذه المستقبليات. فإذا ما راجعنا مجمل المشاريع المستقبلية –الاستعمارية وجدنا فيها أثر المعلوماتية الاستشراقية.

في المقابل نجد أن مهمة مواجهة هذه المشاريع ملقاة على عاتق أفراد فكيف يستطيع إنسان فرد –عربي، بظروفه المعلومة، مواجهة مثل هذه المشاريع؟

الواقع المؤسف يدلنا على عجز هؤلاء الأفراد على المواجهة. فإذا ما قلبنا في مكتبتنا العربية وجدنا مجموعة محاولات نقدية للاستشراق. لكننا لا نجد مواجهة نظرية منظمة واحدة للتصدي لهذا الموضوع. فإذا ما راجعنا هذه المحاولات الفردية وجدناها مشتركة في بعض الهفوات والنواقص ومنها:

يعمد الناقد إلى اعتماد الموقف الدفاعي وكأنه يقبل التهمة، أو مجموعة التهم، التي يوجهها الاستشراق دون مناقشة. حتى يبدو هذا الموقف وكأنه اعتراف ضمني بالاتهام. ويزداد هذا الموقف تعقيداً عندما تتعلق التهمة بالنواحي الدينية. حيث يصبح الموقف الدفاعي تهمة بحد ذاته. فالقضية الإيمانية لا تناقش إلا في إطار المناظرات الدينية بين الأطراف المعنية. وهي مناظرات خارجية، في جميع الأحوال، عن اختصاص الاستشراق.

أ- يعمد بعض النقاد إلى المواربة المكشوفة. فيعتمدون في ردهم على المستشرق على مراجع غير تلك التي استند إليها هذه المواربة توحي للمحايد بأنها هروب وتهرب من مواجهة الحقائق. مثال إن غالبية منتقدي بروكلمان قد اعتمدوا هذا التهرب في ردهم على طرحه لحادثة "صفين". فهو قد اعتمد مرجعاً له كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني. فلما ردوا عليه اعتمدوا مراجع أخرى وتجاهلوا مرجعه. حتى بدوا عاجزين عن دفع تهمته القائلة بفقدان العرب للمقومات الحضارية (بسبب حادثة صفين كنموذج). في رأينا الشخصي إن الرد على هذه التهمة لا يتم بتجاهلها أو بتجاهل مراجعها ولا بالانطلاق للدفاع عنها وإنما يأتي الرد باعتبار هذه الحادثة من الحوادث طبيعية الحدوث كنوع من أنواع اللامعارضة لدى الذات. فهل يمكننا اعتبار الحوادث التالية لقيام الثورة الفرنسية دليلاً على فقدان الفرنسيين للمقومات الحضارية؟ أم نعتبر حوادث إيرلندا دليلاً على مثل هذا الفقدان؟ ونسأل عن الفوارق بين هذه الحادثة وبين حروب السبعين سنة والأهليات اليونانية والإسبانية بل نتساءل عن حوادث لوس أنجلوس وما تشير إليه من فقدان حقيقي لمقومات التكامل الحضاري؟.

ج- يتبدى لنا الاستشراق كأب حقيقي للمشاريع الاستعمارية في عالمنا العربي. ولقد تبدت هذه الأبوة واضحة من خلال فيلبي ولورانس العرب. كما تبدت حديثاً من خلال الاهتمام بالأقليات لدرجة الدعوة لإقامة مؤتمرات تُفجر تناقضاتها بصورة صدمية عوضاً عن مناقشتها في إطارها الزمني والإنساني بصورة هادئة بعيدة عن استثارة مشاعر العداء وإلباسها الثوب التاريخي. ولعل فتيل أزمة الأقليات المصطنعة قد بدأ اشتعاله مع وعد بلفور. فلو نظر المستشرقون في تراثنا بصورة موضوعية لرأوا أن الحضارة العربية خلقت مناخاً تعايشياً، مع اليهود خصوصاً، لم تتمكن المجتمعات الغربية من بلوغه حتى الآن. دون أن يعني هذا التعايش السماح للأقليات بتنفيذ مشاريع استعمارية تمزق الجسد والذات العربيين.

إن الفردية المميزة لنقد الاستشراق وعدم تأطير هذا النقد يؤديان إلى عدم تفرغ النقاد وتصديهم للنقد بأسلوب أقرب للهواية منه للتخصص والإرصان العلمي لمنهجه محددة. وبهذا نصل إلى السؤال:

هل توصل ناقدوا الاستشراق إلى رسم الخطوط العريضة لمثل هذه المنهجية؟ ونقصد هنا علمية واضحة وقادرة على إقناع الحياديين من مثقفي العالم.

في واقع الأمر إن أي مشروع من هذا النوع يصطدم بجملة فائقة التنظيم من المؤسسات والجمعيات وبصخرة هائلة من العقول العربية الأسيرة. هذه العقول التي فشلت في تبني النكوص الديني أو هي اكتشفت سذاجته كحيلة دفاعية فوجدت الحل بالنكران التام لهويتها تحت مسميات الحداثة والليبرالية والإنسانية والعالمية.. الخ إن التنظيم التكاملي بين هؤلاء وبين المشاريع الأجنبية كان جديراً بوأد أية محاولة لقراءة عقلانية لواقع الذات العربية ولتراثها وللاوعيها. كما كان جديراً بإبراز أي مظهر من مظاهر الأسر العقلي مقصوداً كان أو عن غير قصد.

النقد الغربي للاستشراق ولمشاريعه

تشكل كتابات نعوم شومسكي نموذجاً مثالياً لنقد المنطلقات الفكرية الغربية التي كانت أساس الأفكار المسبقة التي قامت عليها مشاريع الاستشراق والتبشير وما انبثق عنها من مشاريع الوصاية على شعوب العالم الثالث عامة وعلى الشعب العربي خاصة.

وبالرغم من يهودية شومسكي وانتمائه إلى الدوائر الأكاديمية الأميركية تمكن هذا المفكر من تكوين فكر ناقد وشديد الحساسية إزاء اللاعدل. فهو بداية رفض الألسنية السلوكية (شومسكي متخصص أساساً بالألسنية) واستبدلها بالألسنية التوليدية – التحليلية. هذا الرفض والاستبدال التالي له يشكلان دعامة الموقف الفكري لهذا المفكر.

فرفض السلوكية يعني بحد ذاته رفض النموذج الفكري الأميركي (وبالتالي الشعوب) من خلال التحكم بظروفه الحياتية وصولاً إلى دفعه للاتساق مع نسق القيم الأميركية. هذه النظرية كانت بمنزلة حصان طروادة الذي دخل من خلال الفكر الأميركي إلى عقول المثقفين وأصحاب الاختصاصات الإنسانية (علم النفس والاجتماع والألسنية... الخ).

لقد اكتشف شومسكي أن اللغات، مثلها مثل الشعوب والكائنات الحية، تختلف في بنيتها وفي فلسفتها مما يحول دون تطبيق السلوكية عليها. هذا الاكتشاف كان وراء مواقف شومسكي وملاحظاته لاتساع الهوة بين القول والفعل في صفوف المسؤولين والسياسيين الغربيين. بما يتكشف عن خيانة فاضحة للمبادئ الديمقراطية التي ينادون بها.

لقد كرس شومسكي هذه الآراء بكتابات جريئة هي: "في الحرب مع آسيا" و "الجبروت الأميركي والمستعمرون الجدد" و "السلام في الشرق الأوسط" و "نحو حرب باردة جديدة" و "قراصنة وأباطرة" و "ثقافة الإرهاب" و "تصنيع الإذعان" و "أوهام ضرورية" و "إعاقة الديمقراطية". ولقد احتوت هذه الكتب على إدانات صريحة موضوعية لتناقض الفكر والممارسة في السياسة الأميركية حيث تستخدم الولايات المتحدة تفوقها العسكري بلا رحمة من أجل حماية مصالحها واستدرار مغانم شتى.

وإذا كانت مواقف شومسكي مواقف سياسية مباشرة وراهنة فإننا نجد في المقابل نقداً منهجياً للدراسات الاستشراقية. ومن أهم هذه المواقف كتاب "النظر غير المتساوي" للمؤلف الفرنسي آلان لوبيشون. إن المنطق الفكري المعتمد في هذا الكتاب يقوم أساساً على مبدأ احترام تمايز الآخر. والاعتراف بهذا التمايز هو بحد ذاته ناجز بالآخر. بداية يعترف المؤلف أننا أصحاب نظر غير متساو. فالنظر لا يتساوى بين البشر لأنه أساساً نظر مختلف ما دام صادراً عن مرجعيات ثقافية مختلفة. لكن الفكر الغربي لا يقر مبدأ التمايز إذ يقول بوجود نظرة متساوية واحدة (هي نظرته بالطبع) وفي سبيل ذلك فهو يعمد إلى اختزال النظرات الأخرى حتى يرى فيها نظرته هو. ولتدعيم آرائه ينكص لوبيشون إلى حادثة مقتل هابيل على يد قابيل، وذلك في إطار نظري يتشابه إلى حد بعيد مع تناول عالم النفس المجري سوندي لهذا الموضوع. لكنه يختلف مع سوندي من حيث استخراج دلالات هذه الحادثة. ففي حين يرى سوندي أن الحياة النفسية للشخص هي ميدان صراع بين الميول القابيلية والميول الهابيلية فإن لوبيشون يرى أن الموت هو أصل المعرفة. إذ إن قابيل لم يتعرف حقاً على أخيه إلا بعد أن قتله.

وهكذا يستنتج لوبيشون أن الموت هو أول أشكال المعرفة. وهو ينطلق من هذا الاستنتاج إلى القول بأن الصلات القاسية بين الموت والمعرفة هي صلات لم تنعدم قط في تاريخ البشرية. وهو يجد في مبدأ التشريح نفسه، وفي عمليته المادية، واحداً من وجوه العلاقة بين الموتوالمعرفة. ولكن ما هو التشريح برأيه؟

التشريح هو وضع الإنسان قيد المراقبة والتفتيش والتفكيك في وضع تجميدي له. على أن تقوم مسافة بين المراقب الدارس وبين الآخر (موضوع التشريح). بهذا التعريف يجد لوبيشون أن وضعية التشريح هذه هي الوضعية الأساسية التي قامت عليها الفلسفة العقلانية الوضعية (المتحدرة من فلسفة الأنوار) لاسيما "علوم الإنسان" التي تفرعت عنها الأنتروبولوجيا. فهذه العلوم لم تكن لتنشأ لو لم يتعرف الأوروبيون إلى الثقافات الأخرى ولو لم يعترفوا بوجودها. ثم يعمد المؤلف إلى التمييز بين فئتين من الجمود المؤسس: 1- جمود المراقب و 2- جمود الموضوع: وهو يتجلى في علم الأنتولوجيا حيث يدرس الإنسان البدائي على أنه جامد جمود التاريخ. كما يتجلى فيه جمود المراقب من خلال ابتعاده عن الاتصال بالموضوع.

هذا الجمود يكمن في أساس دعوة لوبيشون إلى ضرورة إجراء مراجعة شاملة لكافة العلوم الإنسانية. وذلك وصولاً للدعوة إلى إقامة "علوم إنسانية متبادلة" إذ إن اقتصار هذه البحوث على أعمال غربيين، في بيئات غريبة عليهم، يجعل منها مواضيع شك. وهنا يسجل المؤلف بعض القناعات التي سبق له تجسيدها بمشاركة "امبرتو إيكو" في تأسيس المعهد عبر الحضاري.

إن آفاق هذا الكتاب تلتصق بطابعه الإنساني العام. إذ يؤكد على أن العلوم الإنسانية لا تقوم لا من خلال وجود الآخر واعترافنا بهذا الوجود. وهو قد جسد أساليب هذا الاعتراف على النحو الآتي:

1- أقام لوبيشون في العام 1982 وحدة دراسية خاصة بـ "أنتولوجيا فرنسا" على أن تتألف هذه الوحدة من باحثين من العالم الثالث. وهو قد وضع بذلك حداً لاحتكار النظر الغربي على العالم (وهو احتكار يدوم منذ قرون) فماذا كانت النتيجة؟

كانت رؤية باحثي العالم الثالث شبيهة بتعليقاتهم على المجتمع الفرنسي. وهي لم تكن متحفظة كما هي الحال تعليقات الباحثين الغربيين.

2- استقدم لوبيشون باحثين صينيين لدراسة الإيطاليين فظهر جلياً اختلاف النظرة وعدم تساويها.

6- نقد الاستشراق والمزاوجة الفكرية:

إن تداخل العلوم الإنسانية بعضها بالبعض الآخر واتحاد بعض فروعها يدفعنا للمقارنة بين الأنتولوجيا (وما احتوته من الدراسات الاستشراقية التي حددت موقفاً مسبقاً من العرب) وبين علم النفس. إن هذه المقارنة تظهر تطابقاً لافتاً بين أزماتها وخاصة لجهة عدم اعتراف الفروع الغربية بالآخر. بما يستتبع الاستنتاج بأن الفكر الاستشراقي لا يزال مهيمناً على كافة فروع العلوم الإنسانية المعاصرة. بالرغم من نشوء عبر الحضارية في بعضها. ذلك أن عوائق عديدة تحول دون اعتراف الغرب بالآخر (مصالحه وتحقيق مغانمه –راجع شومسكي). كما توجد عوائق أخرى مصدرها النمطية الغربية لمثقفينا. فصحيح أن هنالك باحثين غربيين على نمط شومسكي ولوبيشون ولكنهم عاجزون عن تغيير نظرة الجمهور للآخر. وتكفينا هنا صورة "العربي القبيح" في وسائل الإعلام الغربية. الأمر الذي يوقع مثقفينا في مجموعة من المآزق إذا هم حاولوا إبراز وضعيتهم كآخر. من هذه المآزق نذكر:

أ- الأسر العقلي: إن عقول بعض الباحثين العرب المتخرجين من الجامعات الأجنبية تبقى أسيرة النظرة الأجنبية بحيث يصعب عليها تخطي هذا الأسر.

مشاعر الذنب: الناجمة عن صورة العربي القبيح والتي تهيمن على عقول بعض الباحثين وتضعهم في مأزق يجب الخلاص منه.

ج- نقص الخبرات: الذي يحول دون توجه الأكاديمي العربي نحو البحث العلمي المنظم. لأنه مدعو للممارسات العملية لسد هذا النقص. مع ما يرافق هذا النقص من عدم وجود الميزانيات والإمكانيات اللازمة للبحث العلمي.

هذه الأسباب هي مجرد عينات للمآزق التي تحول دون تمكين باحثينا من المزاوجة الفكرية بين وضعيتهم كآخر وبين استعداد مفكرين على طراز شومسكي ولوبيشون لدعم هذه الوضعية ومساعدتهم على إبرازها. حتى التزموا بحدود ترجمة فكر وكتب مثل هؤلاء المفكرين ولكن دون أن يجرءوا على مجرد تقليدهم. فمحاولة تقليد هؤلاء – بل مجرد ذكر أفكارهم دون التنويه بمصدرها الغربي تواجه قمعاً متعدد الأصعدة تمارسه المؤسسات والجمعيات التي تخدم مبدأ اختزال الآخر وتقزيمه في عالمية الفكر الغربي المفروضة فرضاً والتي تتواجد في مجتمعنا العربي تحت مسميات مختلفة وتستتر وراء أقنعة متنوعة.

من هنا القول بأن الاستشراق لم يعد مجرد تجميد الإنسان العربي في الزمان ودراسة تراثه بصورة تهتكية وهو محروم حق الدفاع عن النفس. بل إن الاستشراق فرض مواقفه المسبقة على الآخر وقزمه استعداداً لابتلاعه وتذويبه في مجموعة من المشاريع المتطورة التي تسخر كافة العلوم الإنسانية الحديثة لخدمتها.

إن مواجهة هذه المشاريع تنطلق من الخطوط العريضة التالية:

1- إن لكل إنسان معاصر حوالي المليار سلف خلال ثلاثين جيلاً. وهو محمل بالخصائص الوراثية لأسلافه. لذا فإنه من العبث محاولة تذويب هذا الإنسان في أنماط سلوكية وفكرية وفي خيارات قدرية تتعارض مع الخيارات المتاحة له.

فاختلاف خياراته القدرية يجعله "آخر" متكامل وغير قابل للذوبان.

2- إن اللغة العربية هي الشيفرة التي تنظم لا وعي الإنسان العربي أو على الأقل فهي الوسيط المفصلي لإعرابه عن مكنونات لا وعيه. لذلك فإنها متفوقة كغاية كي يعتمدها كلغة تعليم مهما كانت تهم القصور الموجهة لها. أما اللغات الأخرى فهي بالنسبة للإنسان العربي مجرد أدوات للاتصال بالآخروللاطلاع على ثقافته والاستفادة منها دون التخلي عن الخيارات العربية الخاصة.

3- إن الجمهور الغربي المتنور منفتح على الآخر لكنه لا يرى أمامه سوى الصورة القبيحة التي رسم الاستشراق ملامحها. من هنا التقدير الفائق للكتابات الأجنبية حول التراث العربي وأحدثها كتب الأستاذ الدكتور سليم عمار حول ابن سينا وابن الجزار الصادرة بالفرنسية.

4- بما أننا عاجزون عن تغيير تراثنا الكروموزومي وعقلنا العربي (المبني من مجموعة الخيارات التي تتيحها لنا وراثتنا) وبما أننا مدركون لأهمية تراثنا الحضاري المدون فإننا لا نستطيع قبول أي مشروع وأية حلول تتعارض مع هذه المعطيات. لذا فإن موقفنا من الحضارة المعاصرة هو الإقبال على كل ما هو إنساني (مشترك بين البشر) فيها مع الإصرار على تعديل كل ما هو خاص بالآخر. لأننا بذلك نحترم خصوصية الآخر ونستوعب فرادته بما يساعدنا على اكتشاف ذاتنا وتكريسها كآخر.

علينا إيجاد معايير ثابتة لتقييم فعالية الحلول الجاهزة المقدمة لنا كأفراد وكمؤسسات وأحياناً كدول. وبناء عليه علينا رفض كافة الحلول التي لا تراعي خصوصيتنا ولا تعترف بنا كآخر.

شبكة العلوم النفسية العربية
نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس
الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/
المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

قـــراءات في الفكـــر السيكولوجـــي والسياســـي النابلســـي

سيكولوجية الشائعة

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

الفهرس

- **الفصل الأول: مدخل إلى سيكولوجية الشائعات**
  - أهمية الشائعة
  - أنواع الشائعات
  - مواصفات الشائعات وعناصرها
  - شروط نجاح الشائعة
  - شائعات فاشلة شهيرة وتحليلها
  - الآثار المتناقضة للشائعة.
    1. بحسب الجماعات
    2. بعد مرور الزمن
    3. بعد تأكيد نفيها
- **الفصل الثاني : الشائعات الأميركية في حرب العراق**
  1. شائعات مكررة من 1991
  2. شائعات التمهيد للحرب
  3. شائعات أثناء الحرب
  4. شائعات ما بعد الحرب
  5. شائعات محجوبة
- **الفصل الثالث : تقنيات الشائعة**
- **الفصل الرابع : نماذج من تحليل الشائعات**

المقدمـة

غالبا ما يبدو دخول السيكولوجيا إلى الميدان السياسي نوعا من الإقحام آو حتى الاقتحام. بما يستدعي سقوط المبررات وعرض الشروحات للروابط والمصطلحات الاختصاصية. وهذا يأتي **كنتيجة لنجاح السياسة في استغلالها للسيكولوجيا**، كما للعلوم الإنسانية الأخرى، واحتكارها هذا الاستغلال باتجاه واحد. فقد رفضت السياسة التحول إلى علم وتمكنت بهذا الرفض من شل إمكانيات مقاربتها بصورة علمية.

إلا أن توسع السياسة في استخدام تطبيقات السيكولوجيا، وصولا إلى الشائعات الموجهة للرأي العام مرورا بانتقائية تسريب المعلومات وصولا إلى الحرب النفسية، جعل البحث في موضوع السيكولوجيا السياسية مقبولا حتى وصل هذا القبول إلى الإعلان عن دور حيوي للاختصاص في ميدان السياسة والمعلومات.

ولعنا بحاجة للتذكير ببعض الأمثلة قبل الولوج إلى آلية الدفاع النفسية التي تعتمدها الشائعات وتؤسس عليها. ولائحة أمثلة تداخل السياسي بالسيكولوجي يتصدرها مثال يعود إلى العام 1953 عندما جرب أحد عملاء المخابرات الأميركية (ويدعى أولسون) عقار L.S.D. على أصدقاء له لاختبار الدواء كدافع لقول الحقيقة (مصل الحقيقة الذي يعطى للجواسيس كي يدلوا بالأسرار) ولم تكن تجارب تربية الأطفال العباقرة أو بعدها تجارب الهندسة الوراثية لإنتاج العباقرة) ببعيدة عن السياسة. فقد كانت النازية هي البادئة بهذا النوع من التجارب. ثم تابعتها المختبرات الأميركية. أما آخر الأمثلة التي نوردها فهي تتعلق بإنتاج الاتحاد السوفياتي لأسلحة غير تقليدية، دعيت في حينه "**الأسلحة العقلية**" ولا يزال اللغط دائرا حول هذه الأسلحة. حيث يعتبر بعضهم أنها من النوع الجرثومي المؤثر على الدماغ والجهاز العصبي. في حين يصر بعضهم الآخر على أنها مجرد شائعة شيوعية في إطار الحرب النفسية التي كانت دائرة آنذاك.

وبهذا فإن **الشائعات و الحرب النفسية تدخلان في إطار الطب النفسي العسكري** الذي يسخر كل تقنيات الاختصاص للخدمة العسكرية سواء في زمن الحرب أو السلم. حيث تتوزع مسؤوليات الاختصاص وتتنوع باختلاف الحاجات. وتشكل ظروف الحرب ميدانا مميزا للاختصاص إذ تتحول مسئوليته إلى الإشراف على الحرب النفسية. التي تتمحور حول وقاية الداخل من الإرباك وتحصينه في وجه التجسس. كما المساعدة في عمليات التجسس المضاد وعمليات إرباك الخصم. وهي تتضمن كل وجوه النشاط الإنساني و المعلوماتي. ومنها الشائعات والأنباء والإعلام وتصنيع المعلومات وإعادة تصنيعها. وبالعودة إلى حرب العراق يمكن الحديث عن تطويرات كبيرة في مجال الحرب النفسية. حيث عمدت المختبرات الإعلامية

الأميركية والعراقية إلى مراجعة وتنقيح وتطوير أدوات الحرب النفسية المستخدمة في حرب العراق الأولى (1991). حيث كان الترويع والتخويف أحد أهم الإضافات إلى تلك الحرب. وهي ما يسميه المسؤولون الأميركيون بمصطلح "**الصدمة والترويع**". في اعتراف ضمني بقذارة هذه الحرب على المدنيين وعدم مراعاتها لقدرتهم الإنسانية على الاحتمال. وهذا التجاوز المعلن لمبدأ الحرب النظيفة أتتجنب إيذاء المدنيين وتعريضهم لضغوط التهديد العسكري بطرق غير تقليدية وبأسلحة جديدة وأخرى محرمة دوليا) ينبئ باستعداد الولايات المتحدة لتكرار هذه القذارة وهذه المخالفات لقوانين حماية المدنيين في حروبها المقبلة.

هذا وينظر الاختصاص إلى أحداث الحروب ومخاطرها على أنها تهديدات مباشرة للحياة. وهي بالتالي صدمات نفسية تحتاج للعلاج. وهنا يجب التفريق بين صدمات المقاتلين والمدنيين. حيث يهدف علاج المقاتلين إلى إعادة تأهيلهم لإعادتهم إلى الجبهات. في حين يهدف علاج المدنيين إلى معالجة القلق المرافق و إعادة الاطمئنان للمصدوم. مع الإشارة إلى أن الحروب القذرة لا تفرق بين المدنيين والعسكريين بحيث تكون تهديداتها متساوية للفئتين بما يناقض اتفاقيات جينيف. ولعله من المفيد بداية الحديث عن الشائعات باستعراض الدراسات السابقة حولها.

- **الفصل الأول : مدخل إلى سيكولوجية الشائعات**

ما هي شروط انتشار الشائعة؟. يجيب المؤلفون على هذا السؤال مز خلال مناقشتهم لحادثة المفاعل النووي في جزيرة ثري مايل، في بنسلفانيا فقد أثارت هذه الحادثة عددا من الشائعات التي يمكن اتخاذها كمثال لدراسة أسباب انتشار الشائعة وأسباب تكرار ظهور بعض الشائعات بصور مختلفة.

ظهرت الأخبار الأولى عن الحادث الذي جرى في المنشأة النووية في جزيرة ثري مايل بالقرب من هاريسبورغ في بنسلفانيا في 28 آذار 1979 وبعد ثلاثة أيام انتشرت شائعة في المدن المجاورة تقول بأن المفاعل سينفجر وتمضي القصة قائلة بأن الانفجار سوف يدمر كل شيء على مساحة أميال حوله وينفث الإشعاع النووي وفق مناطق واسعة وعلى الرغم من وجود مخاطر حقيقية كثيرة فلم ليكن هناك خطر من انفجار وشيك ولتأكيد هذه النقطة ظهر هارولد رابي دانتون من لجنة تنظيم الشؤون النووية على التلفزيون ليعلن بوضوح أنه على الرغم من أن مفاعل المنشأة لا يزال تحت خطر جدي فإن غاز الهيدروجين المجتمع فيه لم يصل بعد إلى درجة قريبة من درجة الانفجار.

كما أنه لم يكن هناك احتمال لانفجار نووي من مستوى قنبلة هيروشيما وحصول انفجار كيميائي لغاز الهيدروجين سيكون أقل قوة بكثير على الرغم من أنه قد يتسبب بحصول تصدع في غلاف الوعاء الحاوي مما يؤدي إلى نشر الإشعاع النووي في المنطقة الريفية المجاورة وكانت شائعة الانفجار واحدة من عشرات الشائعات التي سرت في منطقة هاريسبورغ وجوارها في الأيام التي أعقبت الحادثة، ذلك لأن حادثة جزيرة ترى مايل كانت مثالا رائعا للظروف المؤاتية لانتشار الشائعات، ففي الدرجة الأولى كانت النتائج المحتملة للحادث قاسية كانت تشكل تهديدا للحياة نفسها، ثانيا، كان هناك قلق كبير وحيرة بين الأهلين الذي كانوا يحاولون اتخاذ قرار حول ما إذا كان عليهم الفرار من بيوتهم أم لا.

فكم من الناس عدا المهندسين والعلماء يمتلكون فهما كافيا لكيفية تمديد الأنابيب في المنشآت النووية؟. وكان هناك جانب مرعب آخر في الحادثة وهو يتمثل في طبيعة العدو الغامضة، فقد كان ذلك العدو إشعاعا مميتا لا يرى ولا يمكن التنبؤ بنتائجه.

وفي محاولة لإيقاف موجة الشائعات أفتتح الحاكم ديك ثورنبرغ مركز السيطرة على الشائعات في هاريسبورغ وكان يمكن لآي شخص أن يتصل بالهاتف بهذا المركز ليحصل على الحقائق. وعندما بدأت بعض الشائعات المتفائلة بالانتشار، شعر جويل ثمروتثالر وهو أحد مسئولي طوارئ الولاية في المنطقة بأن الأمر يشبه ما يحدث في رواية روسية بقوله: ويستمر الوضع في الهبوط والهبوط، والهبوط حتى نرى أنه لم يعد هناك مجال للمزيد من الهبوط، ثم يحدث شيء ما ويبدأ الصعود. لقد مررنا بأسبوع من الشائعات الفظيعة أما اليوم فهناك ما يمكننا أن نحسبه شائعة طيبة. ولكن الناس ستفقد ثقتها بالأخبار الطيبة لفترة من الزمن في حال حصل تسرب إشعاعي جديد في المنشأة، أو أي إنذار آخر من آي نوع هناك، فلا أظن آن ثقة الناس التي ضعفت بسبب الحادث سوف يمكنها أن تتحمل ذلك، وهذا الآن ما يثير قلقنا أكثر من قضية الإجلاء.

ومع أن الشائعات التي نجحت عن حادثة جزيرة ثري مايل كانت من النوع القصير الأمد، فإنها بالتأكيد سوف تعاود الظهور لدى حصول آية أزمة مشابهة في المستقبل وحتى الشائعات التي تبدو تافهة تغوص في أعماق النفوس ليس لأنها تكون موضوعا للقيل والقال، والثرثرة الاجتماعية المثيرة بل لأنها تلامس الحيرة والقلق العميقين السائدين في زمن الشائعة. فقد حصل في سنة 1978 مثلا أن ظهرت شائعات حول بعض المنتجات الغذائية المشهورة، وتقول

أحدها أن شركة ماكدونالد تضيف الديدان إلى سندويشات الهامبرغر التي تنتجها لتقوي من المحتوي البروتيني فيها، وتقول شائعة أخرى أنك إذا ما شريت الصودا وأكلت حلويات من ماركة بوب فسوف تتفجر معدتك. وحدث أن ذكر مذيع إحدى الإذاعات هاتين الشائعتين وسارع إلى القول بأن كلتا الشائعتين على خطأ ولكنهما انتشرتا في مناطق مختلفة من البلاد خلال تلك السنة.

وقد اضطرت شركة ماكدونالد وشركة جنرال فودز منتجة بوب إلى إنفاق آلاف الدولارات في محلات إعلانية ونشاطات أخرى لدحض الشائعات. وتعتقد شركة ماكدونالد أن قصة الديدان بدأت في الصيف السابق في مدينة تشاتانوغا في ولاية تينيسي.

وكانت الشائعة في البداية تقول بوجود عنصر غامض في سندويشات هامبرغر ويندي وهي شركة منافسة لماكدونالد. ويلاحظ أحد علماء النفس أن الخوف من وجود الديدان في الهامبرغر هو خوف معقول ومبرر لأن لحم الهامبرغر النيئ يفرم بشكل لولبي يشبه الديدان، ولكن سرعان ما انتقلت الشائعة لإلصاق صورة الديدان بسندويشاد ماكدونالد. وظهرت قصة حلويات بوب في غضون أسبوع واحد من إطلاق هذه المادة في إحدى مناطق البلاد وتقول الشائعة أن أحد الأولاد في الجانب الآخر من المدينة أو أحد مشاهير التلفزيون قد أكل ثلاثة أكياس من تلك الحلويات بينما كان يشرب الصودا فمات من جراء الانفجار الذي حصل بعد ذلك في معدته.

وتستهوي هذه الشائعات حول ماكدونالد وبوب روكس أكثر ما تستهوي الأطفال الذين يحبون قصص الشقاوة والقصص الفظيعة.

ونستطيع أن نتصور كيف أن الأطفال الذين يروجون مثل هذه القصص يباهون أمام رفاقهم بأنهم أكلوا من هذه المنتجات وبأنهم من المغامرين.

ولكن هناك ما هو أكثر وأعمق من ذلك فاستمرار هاتين الشائعتين في الرواج قد يفسره القلق والحيرة في المجتمع حول ما يضاف إلى المنتجات الغذائية والكولسترول والمخاطر الصحية في بعض أنواع الطعام الذي تتناوله والتوترات والمخاوف التي تنتقل من الأهل إلى الأطفال. ويكفينا بالنسبة لهذه الدراسة أن **نعرّف الشائعة بأنها رواية منتشرة بين الناس دون أن يكونوا متأكدين من صحتها**. وقد تعلم علماء النفس الكثير عن نشوء مثل هذه القصص وانتشارها منذ ظهور كتاب علم النفس الشائعة لغور ودون والبورت وبوستمان وهذا الكتاب هو أصل الأعمال في هذا الحقل.

ويعتمدون قانون الشائعة الأساسي حسب هذا الكاتب وهو القانون الذي كان مقبولا حتى وقت قصير مضى يعتمد جزئيا على نظرية الجيشتالت في علم النفس التي قامت تؤكد أن الإدراك الحسي، للأشياء ينحو دائما نحو البساطة والانتظام والإحساس بالاكتمال، والشائعات تنبثق لتشرح المواقف المميزة التي تهمنا ولتريحنا من توتر الحيرة، ويفترض البورت وبوتسمان أيضا أن عدد الشائعات يتغير حسب أهمية موضوع الحدث ومقدار الغموض في الموقف.

بالرغم من القبول الواسع الذي لقيه هذا القانون الأساسي في علم النفس الاجتماعي فإنه لم يثبت تجريبيا. وتشير نتائج تحقيقات عديدة الآن إلى أن هناك متغيرات أخرى بالإضافة إلى الأهمية والغموض تؤثر على منشآ الشائعات ودوامها وقد قامت الدارسة في علم النفس الاجتماعي سوزان انطوني، في كلية ثمالوديت في واشنطن، بإحدى هذه الدراسات. وهي قامت مؤخرا باختبار الفكرة المتضمنة في إحدى نظريات كارل يونغ والتي تقول: **إن الإثارة العاطفية ضرورية لاستمرار حياة الشائعة**. وقد أجرت أنطواني اختبارا قياسيا في القلق المزمن لعدد من الطلاب الثانويين في فيلادلفيا، وعلى أساس نتائج الطلاب في الاختبار قامت باختيار الطلاب الذين كانوا يتميزون إما بدرجة عالية من القلق أو بالهدوء النسبي.

ثم اختارت بضعة طلاب من كل نوع وأخضعتهم لمقابلة مع مرشد توجيهي للتحدث حول النوادي التي كانوا ينتمون إليها. وخلال تلك المقابلة قام المرشد، بطلب من الباحثة، بإطلاق شائعة تقول بأن صعوبات مالية قد تجبر النوادي على وضع حد لبعض أنشطتها ثم ذهب المرشد بعد ذلك تاركا الطلاب مع أعضاء آخرين في النوادي.

عندما سئل الطلاب فيما بعد إذا كانوا قد ناقشوا الشائعة فيما بينهم وجدت انطوني أن الطلاب ذوي الدرجة العالية من القلق نشروا الشائعة بحماس أكثر كثيرا مما فعله الطلاب الآمنون.

وقد قام الباحث روسنو بالعمل مع أنطوني والعالمة النفسية ماريا جايفر بييريان من مدرسة لندن للاقتصاد في تجربة كان من شأنها أن أثبتت ووسعت ما اكتشفته أنطوني في تجربتها.

و قاموا بإجراء دراسة في ثمانية من صفوف الكلية و نشروا شائعة تقول إن طلابا في صفوف أخرى قد ضبطوا وهم يدخنون الماريجوانا في امتحان نهائي. وكانوا قد قاموا قبل بضعة أيام بقياس درجات القلق المزمن عند الطلاب متبعين المثل الذي وضعته أنطوني في تجربتها السابقة، وبعد أسبوع سئل الطلاب إذا ما كانوا قد نشروا القصة.

وكانت النتائج التي توصل إليها الباحثون (بالإضافة إلى الأبحاث التي نشرت في كتاب الشائعة والقيل والقال، وعلم النفس الاجتماعي والشائعة الذي ألفه روسنو بالاشتراك مع العالم الاجتماعي غاري ألان) إن هذه الأبحاث تدعم النظرية التي تقول إن **الشائعة تنتج عن الامتزاج الأقصى بين الحيرة والقلق.** وباختصار، فإن **الشائعة تعيش إما لتحقيق الحاجات والتوقعات التي أثارتها أو حتى تخفض مستوى القلق.**

كان القانون الأساسي لدى البورت وبوتسمان يتفاعل مع الشائعات القصيرة الأمد التي تنتعش في غياب الأدلة التي تنقضها. ولكنها سرعان ما تحدث عندما تجد ما يدفعها أو عندما تصب في نواح ذات مغزى بالنسبة لحاجات الجمهور، وهناك حاجات وتوقعات لا تسكن ولا تهدأ ومن بينها الحاجة لفهم الوضع الإنساني والجوع لما هو فوق الطبيعة مما يجعل من الشائعة حاجة إنسانية واجتماعية. لذلك فإن أهم الشائعات هي تلك التي تستجيب لهذه الحاجات فتعاود الظهور تكرارا وتتجذر في بنية المجتمع الإيمانية والفلكلورية.

وقد كان الناس منذ قرون ولا يزالون يتبادلون الشائعات غير المألوفة التي كان أبطالها غالبا من المخلوقات الأسطورية أو الوحوش أو من القادمين من كواكب أخرى.

وكان يونغ يسمى هذه الحكايات **بالشائعات التخيلية** أو بالأساطير الحية، وكان يعتقد بأن **الشائعات العادية** تعتمد على الحشرية والسعي وراء الأشياء غير العادية أما الشائعات التخيلية فتحتاج إلى شيء غير ذلك إذ تحتاج إلى عاطفة عميقة مشتركة بين العديد من الناس. وكان يونغ ينظر إلى حكايات الصحون الطائرة كشائعات تخيلية ناجمة عن توتر عاطفي وكرب جماعي من حالة العالم. إضافة إلى رغبة لا واعية بمجيء قوة خارقة من ما وراء الطبيعة للتخفيف من المخاوف. فمشاهدات من نوع الصحون الطائرة يبلغ عنها منذ القرن السادس عشر. إلا آن هناك تزايدا في الإبلاغ عن هذه المشاهدات عم العالم كله منذ الأربعينيات من هذا القرن. ويبدو أن حكايات معاصرة عن الصحون الطائرة وركابها تدعم تفسير يونغ، ومعظم هذه الحكايات تتركز إما حول مخلوقات عليا طيبة أتت لإنقاذ الإنسانية أو حول مخلوقات شريرة بتهديدها أهل الأرض بأجمعهم تلعب دورا في توحيد أصحاب العقائد المختلفة ضد عدو مشترك.

ومن أقدم الشائعات التي راجت في الولايات المتحدة مجموعة من الروايات حول الأطفال الشيطانيين. وأولى هذه الروايات المذكورة تدور حول طفل افترض أنه ولد لامرأة تدعى السيدة ليذر من ليدزيونيت ولاية نيوجرزي في عام 1735. وتقول الرواية إن السيدة لم تكن راضية بعيشها في الحياة. وأنها كانت أما لاثني عشر طفلا وأنها لذلك دعت إبليس لأن يلعن حملها الثالث عشر. وتمضي الرواية قائلة إن الطفل له مع مرور الوقت أجنحة وذيل كذيل السحلية وحوافر ووجه الحصان. وكما يمكننا أن نتوقع فإن شيطان ليدز، المعروف أيضا باسم شيطان جرزي لا يموت. وكان يشاهد لسنوات عديدة في النواحي الجنوبية لنيوجرزي. وخاصة في المستنقعات في منطقة باينبارينز. القرن التاسع عشر سرت شائعة مفادها أن أحد القضاة المحليين قد عقد صداقة مع ذلك الوحش. وكان الاثنان يتناولان طعام الإفطار سوية ويتباحثان في الشؤون السياسية. ويبدو أن ذلك الشيطان كان لا يزال حيا حتى عام 1966 وبصحة جيدة. فقد روى أحد جنود الولاية أنه شاهد أثر حافر أكبر من كف الإنسان، وقد أطلق هذا الكلام موجة جديدا التكهنات حول ذلك الوحش الشيطاني. ويمكن تفسير بعض الشائعات القديمة أيضا بكونها انعكاسات للصور الخطية الأصلية وموت الأب وهي فكرة تتناقلها الأجيال المتعاقبة في تراثها وتشكل أحد الموضوعات التي تستمر في العيش في التراث والأساطير الشعبية.

ولقد سرت شائعة من هذا القبيل في الولايات المتحدة في أواخر 1969 تقول إن بول ماكارثي عضو فرقة البتلز الغنائية قتل في حادث سيارة وأن بديلا له أخذ مكانه. وسرت الشائعة كالبرق عبر البلاد وتناقلتها صحف الجامعات والأحاديث بين الطلاب تغذيها الهمزات والتلميحات. وتشبه شائعة ماكارثي أسطورة الإله الإغريقي ديو نيزيوس، الذي قيل إنه لقي مصرعه بعنف ثم أعيد إلى الحياة. هذا ويؤكد دارسو الكوارث أن المواقف الكارثية تنتج نوعا غريبا من الشائعات الدائرية التي تبدو في ظاهرها مثيرة للقلق ولكنها في الواقع قد تؤدي إلى خفضه. فالناس الذين يتجمعون مصادفة في أعقاب كارثة ما، مثلا قد يتناقلون بعض الشائعات التي يمكن أن تؤدي إلى التخفيف من القلق حول المشاكل المشتركة. فبعد الزلزال الذي حصل في الهند في عام 1934 مثلا سمع الناجون شائعات بوقوع كوارث أسوأ. ويفترض عالم النفس ليون فيستنفر في كتابه نظرية التفاوت المعرفي أن الشائعات ساعدت في تخفيض التفاوت العاطفي الناجم عن شعورهم بالذنب لبقائهم على قيد الحياة بعد الزلزال. ويمكننا القول بأن إعطاء الناجين من الزلزال شائعات ترعبهم فإن هذه الشائعات سوف تساعد في صرف انتباههم عن القلق الذي ينتابهم لكونهم نجوا من الكارثة بينما هلك أصدقاؤهم وأقرباؤهم. وبما أن الشائعات تفسر

الأحداث وبذلك تخفف من التوتر الذي ينجم عادة عن الغموض، فهي تنتعش في أجواء السرية والتنافس. ويعلم العاملون في المكاتب مثلا، كيف تسري الشائعات بسرعة عبر ممرات المكاتب عندما يستلم رئيس جديد أو عندما تنتقل المكاتب إلى بناء آخر ...إلخ. والشيء نفسه يحصل عندما يتفاوض رؤساء الدول فتنتج المفاوضات طوفانا من الشائعات عن سير المفاوضات.

ونعطي مثالا على ذلك شائعة عالمية خطيرة سرت عام 1977 عندما ألقي القبض في موسكو على المراسل الصحفي الأميركي روبرت توث من صحيفة لوس أنجلس تايمز بتهمة الحصول على أسرار رسمية حول الأبحاث السوفيتية في حقل الإدراك الحسي. وعقب ذلك نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالا في صفحتها الأولى ألمحت فيه إلى احتمال وجود علاقة بين حادثة إلقاء القبض على المراسل وبين تصريح أدلى به رئيس الحزب الشيوعي السوفياتي بريجينيف (أشار فيه إلى سلاح جديد غامض أكثر هولا من أي سلاح عرفه العالم حتى الآن. وهناك دليل على أن بريجينيف كان يشير إلى الأبحاث حول الإدراك فوق الحسي.). ولكن بالنظر إلى العلاقة السوفياتية الأميركية المتوترة في ذلك الحين. فإن تصريح بريجنيف كان غامضا بما فيه الكفاية ليطلق شائعات مفادها أن الاتحاد السوفياتي هو في سبيله للتحضير لشيء ما يمكن تسميته بـ حرب العقل. وقد تختفي مثل هذه الشائعات لسنوات ثم تظهر في يوم ما وتجتاح البلاد.

ومن الأمثلة المثيرة على مثل هذه القصص قصة مزحة الملفوف الكبرى. وهي شائعة انطلقت في واشنطن في الأربعينيات من هذا القرن كردة فعل على حملة ضبط الأسعار خلال الحرب العالمية الثانية. وتقول القصة إن مكتب ضبط الأسعار أصدر مذكرة حول تحديد أسعار الملفوف. ولم يكن هناك شيء غير عادي في المذكرة سوى أن المذكرة كانت تتألف من 26911 كلمة. وانتشرت قصة المذكرة في الأوساط الحكومية لفترة من الزمن مسببة الإحراج الذي سببته لآهل البيروقراطية الإدارية ثم اختفت وعادت القصة إلى الظهور عام 1951 في مؤتمر عقدته رابطة صانعي الألبسة الجنوبية، عندما قدم عريف المؤتمر مدير مكتب تثبيت الأسعار وقال مازحا أن خطاب غيتيسبيرغ كان يتألف من 266 كلمة وكانت الوصايا العشر تتألف من 2997 كلمة وتضمن إعلان الاستقلال 1348 كلمة بينما تضمنت مذكرة مكتب تثبيت الأسعار 26911كلمة، وظهرت القصة خلال الأشهر التالية في عشرات الصحف مع بعض التحريف أحيانا. فقد قالت بعض الصحف أن مكتب تثبيت الأسعار أصدر مذكرة من 26911 كلمة لضبط أسعار أبواب الضباب. و قد عاشت كلتا الروايتان عن مذكرة الملفوف لبضع سنوات ثم اختفت لتعاود الظهور في نيسان 1988 عندما عادت الشائعة إلى الظهور ثانية. وكان ظهورها هذه المرة في إعلان لشركة موبيل نشر في صحف مشهورة ويظهر في الإعلان شكل كرتوني يدعى بابيلدني بيت وهو يعد كلمات الصلاة و خطاب غيتيسبرغ وإعلان الاستقلال ثم تساءل كيف إذن تحتاج الحكومة الاتحادية إلى 26911 كلمة لتصدر مذكرة لضبط أسعار الملفوف؟!

وكان للصحافة دورها إذ ذكر والتر كرونمكايت، الرواية في نشرة الأخبار المسائية في أحد التلفزيونات المحلية التابعة لشبكة سي بي أس، وفي هذه المرة اتخذت الشائعة أبعادا دولية ومرت بتحول جديد. وقد نقلت جريدة لندن كلاما لأحد الخطباء في مؤتمر غذائي جاء فيه "إن في الصلاة 56 كلمة و في الوصايا العشر 297 وفي إعلان الاستقلال الأميركي 300 كلمة أما في التوجيه الإداري للسوق الأوروبية المشتركة حول تصدير بيض البط فهناك 26911 كلمة.

إن هذا النمط الدائري لشائعة الملفوف يعكس المد والجزر في الحيرة والقلق اللذين ينتابان المجتمع الأميركي. فحيثما يكون هناك شعور بالقلق من الحكومة وحيرة حول نواياها ومصداقيتها تعود الشائعة إلى الظهور وهذا ما حصل بعد فضيحة ووترغيت. حيت قصة الملفوف تعزز المخاوف القديمة من عدم كفاءة الأجهزة الحكومية ومات الأسلوب البيروقراطي في إصدار التعليمات ذات الكلمات الجوفاء الغامضة وتكرار سماع الشائعة يعزز إمكانية تصديقها في بداية الأمر، ولكن هذا التكرار يؤدي إلى عكس ذلك عندما تنخفض حدة الحيرة والقلق. وعندما يصل القلق إلى نقطة دنيا تختفي الشائعة ولكن مؤقتا.

في العادة **تتراجع الشائعات عندما يصبح المجهول معلوما** وتزول أسباب الغموض. ولكن المواضيع والأفكار العميقة المتضمنة في بعض الشائعات تبدو كأنها لا تموت وهي تصبح جزءا من البنية الاعتقادية للمجتمع وانعكاسا لما يشغل بال الناس ولما يحلمون به. إن طرفة الملفوف شائعة حديثة العهد نسبيا ولكن أمثالها تعمر طويلا. ومن المحتمل أن تعيش طالما كان هناك بيروقراطيون **وكان توماس كارلايل قد وصف التاريخ بأنه عملية تقطير للشائعات:** وإن أوهامنا تتفاعل مع احتياجاتنا وآمالنا وينتج عن هذا التفاعل ظروف خصبة تعيش فيها الشائعات التي تنتشر الآن بسرعة أكبر من ذي قبل بواسطة الراديو و التلفزيون ووسائل الإعلام المتطورة. فحينما يتم

الإبلاغ عن مشاهدة صحن طائر مجهول الهوية في مكان ما من البلاد نجد آن ذلك ينتج سلسلة من البلاغات عن مشاهدات مماثلة في أنحاء أخرى. وعندما يصل الناس في نفاذ الصبر من البيروقراطية الحكومية إلى حد ما تعود قصة الملفوف إلى الظهور من جديد وتأخذ الصحف والتلفزيون والراديو في نقلها من أقصى البلاد إلى أقصاها في ظرف ساعات معدودة.

إن فعالية وسائل الإعلام قد أوجدت طاحونة شائعات متمادية من شأنها إما أن تقرب الناس من بعضهم البعض أو ترفع من حدة قلقهم وأوهامهم وفي كلتا الحالتين نجد أن تكرار الشائعات التي لها جذور ممتدة في القرون الماضية يرينا أن الناس لم يتغيروا كثيرا عبر التاريخ. قد تكون أساليب حياتهم مختلفة الآن عما مضى إلا آن قلقهم وأوهامهم لا تزال كما هي.

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 20على الويب

22 عاما من الكدح... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2021.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** *** ***

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعي....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بانساننا، فترقى مجتمعاتنا فأوطاننا، فامتنا

*** *** ***

"نحو لياقة نفسانية أفضل لحياة طيّبة"

الصفحة العلمية للدكتور جمال التركي

تسجيل الاشتراك

www.facebook.com/turky.PsyFitness

قـــراءات في الفكـــر السيكولوجـــي والسياســـي النابلســـي

الصدمـــة النفسيـــة (علـــم نفـــس الحـــروب و الكـــوارث)

مجموعـة من الباحثيـن

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

الناشر : دار النهضة العربية 1991

مقدمـة الكتـاب

إن المكتبة العربية يفتقر من المراجع النفسية المتعلقة بأوضاع الحروب والكوارث وعلاج انعكاسات هذه الأوضاع على الصعيد الصحي العام وعلى الصعيد النفسي– الاجتماعي بصورة خاصة. هذا علنا بأن مراجعتنا للدراسات الأجنبية المتوافرة في هذا المجال نلاحظ أن علم نفس الكارثة والطب النفسي العسكري قد نحولا إلى إختصاص متفرد نظرا لتداخل وتشعب إنعكاسات الكارثة انتشار هذه الإنعكاسات محلي شكل أوبئة نفسية وجسدية وإجتماعية. وفيما يلي نسرد محددا من الأمثلة حول هذه الأوبئة.

1– على الصعيد الجسدي

أ– يذكر الأطباء الألمان، عن فترة الحرب العالمية الأولى، إصابة أعداد كبيرة من الناس [المقاتلين خاصة] بداء الإرتجاف الذي يمنع المرء من القيام بمجموعة مترابطة من الحركات. ويؤدي بالتالي إلى الإعاقة. وهذأ الداء لم يكن عضويا بدليل

أن العلاج النفسي وحده كان فعالا في علاجه.

ب– تذكر التقارير الإنجليزية أن إصابات القرحة قد ازدادت بنسبة 455% إبان الغارات الألمانية على لندن خلال الحرب الثانية.

ج– تفيد تقارير الأميركيين عن زيادات ملحوظة في نسبة المصابين بالذبحة القلبية والأمراض الإنسدادية بين المقاتلين في حرب فيتنام

د– تشير دراسات الفرنسيين إلى معاناة أسرى الحرب العالمية الثانية لعدد من الاضطرابات النفسية والجسدية. بعض هذه الاضطرابات كان حادا أما بعضها الأخر فقد تأخر ظهوره عشرات السنوات. و إلى جانب العصاب الصدمي وارتفاع الضغط والقرحة والسرطان ينقل الأطباء الفرنسيون حالات الهرم المبكر التي أصابت أولئك المتعرضين لكارثة الاعتقال طويل الأمد.

2 – على الصعيد النفسي

من الصعوبة بمكان استعراض النظريات المطروحة في هذا المجال، لذلك فإننا سنعمد في هذه الفقرة إلى تعريف المظاهر النفسية التي تلازم أوضاع الكارثة باتفاق غالبية العياديين.

وفي المقدمة نتناول العصاب الصدمي حسب تسمية المحللين أو وضعية الكارثة بحسب الأطباء النفسيين أو الصدمة النفسية بحسب علماء النفس العياديين.

وباختصار فإن الكارثة الأكبر، بالنسبة لشخص ما، إنما تتمثل بموته الشخصي. وهكذا فإن وضعية الكارثة هي تلك الوضعية التي تهدد حياة الشخص وتسلبه الأمان النابع من اعتقاده بأن موته مؤجل. فالإنسان في الوضعية الاعتيادية يعلم أنه صائر إلى الموت ولكنه يختبئ خلف فكرة "إني سأموت حقا ولكن ليسر الآن ". فإذا ما وجد هذا الشخص نفسه في وضعية الكارثة انقلب هذا الشعور لديه ليصبح متلخصا بفكرة: 9 إني سأموت حتما والآن ".

إن هذه المواجهة مع الموت (من خلال الكارثة) تؤدي إلى حدوث تغييرات عميقة في شخصية المتعرض لها. كما أنها تخلف لدى هذا الشخص ردود فعل عشوائية سواء على صعيد سلوكه الشخصي أو على الصعيد الفيزيولوجي. وعن هذا الاضطراب النفسي الفيزيولوجي تنجم أحاسيس جسدية– وظيفية (أحيانا عضوية) تدفع بالشخص إلى محاولة تعقيل خوفه من الموت. وبالتالي فإنه يحاول أن يبحث عن سبب منطقي يبرز خوفه هذا من الموت. فيلجأ إلى الخوف من المرض وبهذا يصل إلى مرحلة عصاب الوساوس المرضية (المراق). وتفصيل ذلك أن هذا الشخص يحاول أن يكبت خوفه من الموت فيتبدى هذا الخوف على أنه خوف من المرض. ولكن وجود الأحاسيس الجسدية المزعجة (الناجمة عن اضطرابات وظيفية بحتة وليس عن مرض حقيقي) تجعل الشخص صادقا في خوفه من

المرض وبالتالي من الموت المحتمل. وهكذا تكتمل دائرة العصاب دون أن يدرك المريض أنه هو الذي اختار هذا العصاب كي يتخلص من خوفه ولكي يكبته.

3- على الصعيد الاجتماعي

إن وضعية الكارثة مع ما يستتبعها هن قلق الموت تؤدي إلى إهمال الشخص للعالم الخارجي وتركيز كاهل تفكيره على عالمه الداخلي. وذلك بحيث يتحول الشخص إلى حالة عن الشلل الاجتماعي التام.

وفي حالات الكوارث العامة (الحروب، الزلازل، الانفجارات الكبرى، الأمراض الوبائية المميتة... الخ) فإن هذا الشلل الاجتماعي يأخذ طابع العمومية فيصيب أعدادا كبيرة من الناس بحيث يؤدي إلى شلل اجتماعي عام. ومثل هذا الشلل يهدد المجتمع عامة وقيمه على وجه الخصوص. وعندما يصل مجتمع ما إلى هذا الدرك من الشلل الاجتماعي تبدأ الحرب النفسية التي يشنها أعداء هذا المجتمع [أعداء خارجيون أو من داخل المجتمع). فعندما تهتز القيم و تنعدم المقاييس يصبح أفراد المجتمع مستعدون لتقبل أي إيحاء يوهمهم بالمساعدة وباستعادة الآمان والقدرة على الفعل.

كما رأينا فإن وضع الكارثة يمكنه أن يكون ذاتيا، كأن يصاب الشخص بمرض خطر أو بحادثة تهدد استمراريته في الحياة، كما يمكنه أن يكون عاما كأن تكون الحرب أو الزلازل أو غيرها مصادر لكوارث جماعية تصيب الآلاف في وقت واحد. وهذا الكتاب مخصص للحالات الأخيرة. نظرا لأنها باتت معاشة في وطننا العربي. وإن كنا، نحن اللبنانيين، قد عايشناها منذ أكثر من خمسة عشر عاما ولغاية الآن.

ويعرض هذا الكتاب للصدمة النفسية وللحرب النفسية ولعلم نفس الكوارث والحروب إلى جانب عرضه لأدوار الطبيب النفسي في مثل هذه الحالات. وهو يعرض لهذه المراضع انطلاقا من الفصول التالية:

الفصل الأول: "الصدمة النفسية وتطور مفهوم العصاب الصدمي"

وفيه عرض للتطور التاريخي لمفهوم العصاب الصدمي وصولا إلى مناقشة هذا المفهوم لدى المدارس التحليلية والنفسية المعاصرة مع التركيز على مفهوم الجمعية الأميركية للصدمة النفسية وانتقاد ثغرات هذا المفهوم

الفصل الثاني: دور الطبيب النفسي في حالات الكوارث والحروب".

يقسم هذا الدور إلى ثلاثة مراحل زمنية هي: 1- قبل الكارثة، 2- أثناء الكارثة، 3- بعد الكارثة. ويختلف دور الطبيب ومسؤولياته باختلاف هذه المراحل.

الفصل الثالث: "مناهج البحث العلمي في حالات الكوارث والحروب ".

يجيب هذا الفصل على أسئلة من نوع: " كيف يمكن للمعالج التدخل في مثل هذه الأوضاع "؟ وما هو الأسلوب المتبع في دراسة حالات الصدمة النفسية الناجمة عن وضعية كارثية ؟، وغيرها من الأسئلة.

الفصل الرابع: " الاختبارات النفسية المطبقة في أوضاع الكارثة".

وفيه تعرض لعدد من الاختبارات الموضوعة خصيصا بهدف تحديد الآثار النفسية التي تخلفها الكارثة في نفس المصدوم.

الفصل الخامس: " الأمراض الناجمة عن الكوارث ".

من هذه الأمراض ما هو نفسي بحت أو جسدي بحت ولكن غالبيتها تنضوي في خانة الأمراض النفسية- الجسدية وفي مقدمتها أمراض المناعة التي تحدثنا عنها البروفسورة موسون. ثم نأتي لعرض عصاب الوساوس المرضية وعصاب القلق وأمراض القرحة والذبحة وارتفاع الضغط.... الخ.

الفصل السادس: " الانفجارات الكبرى- أنموذج السيارة المفخخة".

تبقى الإثارة السمعية من أشد الإثارات الحسية تسببا في استنفار الجهاز النفسي وحثه لمقاومة الإرهاق النفسي الناجم عن تهديد الموت الكامن في صرت الانفجارات. وفي هذا الفصل نعرض لتجربتنا في الآثار النفسية الناجمة عن المعايشة القريبة لكارثة انفجار السيارة المفخخة. هذه الصدمة التي عايشها غالبية اللبنانيين.

ونأمل أن يأتي هذا الكتاب على مستوى طموحاتنا الهادفة إلى المساحة الفعلية في سد حاجات الإنسان العربي ومساعدته على مواجهة شدائده بالطرق العلمية. كما نأمل أن يتمكن هذا الكتاب من سد هذه الثغرة الضخمة في مكتبتنا العربية التي عاش قراؤها ولا يزالون حالة حرب شبه دائمة وحالة كارثة باتت تهدد مجتمعات كاملة بأفرادها وجماعاتها وتقاليدها ومقدساتها

عـرض د. جاسـم محمد الخواجـة

هذا الكتاب هو أول عمل من حيث الموضوع يعالج اثر الحروب والكوارث على الإنسان العربي.و هذا كان واضحا في المقدمة التي عرضها د. محمد النابلسي حيث أشار الكاتب إلى حاجة المكتبة العربية لكتاب يناقش الآثار المترتبة عن الحروب العديدة التي مر بها العالم العربي. فالحروب والكوارث لها تأثيرات سلبية على الجوانب الجسدية و الجنسية والنفسية والاجتماعية. والباحث المتفحص في الوطن

العربي يجد أن الوطن العربي قد طاف بكوارث وحروب طويلة ولكن لم يساهم أي من الباحثين بإجراء أية دراسة حول تأثير الحروب على الإنسان العربي وهنا يتساءل المرء: هل أن عدم الاهتمام في هذا الميدان يقع على الباحث العربي أم أن الباحث لم تتح له الفرصة المناسبة لدراسة هذا الميدان لوجود العوائق السياسية والاقتصادية التي جعلت هذا الميدان محرماً على الباحثين.

نترك الإجابة على هذين السؤالين للقارئ، بينما الآن نتجه إلى عرض محتوى الكتاب الذي جاء في 311 صفحة مقسمة على ستة فصول.

أن المقدمة قد قسمت إلى ثلاث فقرات رئيسية...

وهنا نرى أهمية إعداد هذا الكتاب الذي يتناول الصدمة النفسية الناتجة عن الحرب والكوارث وهذا ما تحتاجه المكتبة العربية ليس الآن ولكن منذ زمن بعيد.

إما الفصل الأول: فيدرس الصدمة النفسية وتصور مفهوم العصاب الصدمي من تأليف د. محمد النابلسي. يرتكز البحث في هذا الفصل حول مفهوم عصاب الصدمة وهنا نجد إن أول من تحدث عنها هيرودوتس عندما وصف حالة المحارب الاثيني الذي أصيب بالعمى، ثم يتناول الكاتب أول من قام بالتجارب عن تأثير حالة التهديد أو الخطر على الكائنات الحية. فالعالم ابن سينا عندما قام بربط حمل وذئب في غرفة واحدة دون أن يستطيع أحدهما مطاولة الآخر فكانت النتيجة هزول الحمل وضموره ومن ثم موته مع العلم أن ابن سينا كان يقدم نفس كمية الطعام التي يتناولها الحمل في ظروفه الطبيعية.

وتلت هذه التجربة دراسات وتجارب عديدة في المجتمع الغربي وهذه الدراسات أظهرت تصنيفات عديدة لتشخيص حالات العصاب الصدمي - منها ما قدمته الجمعية الأمريكية للطب النفسي حيث وضعه تحت قسمين :

هذا الاضطراب النفسي/ القلق يمكن أن تشخص الفرد الذي يصاب بـ P.T.S.D) Post Traumatic Stress Disord) إذا ظهرت عنده الاضطرابات التالية :

1 - التأكد من وجود الحديث الصدمي. على أن الصدمة ليست من الأحداث التي تقع في حياة الإنسان بشكل طبيعي.

2 - تكرار معيشة الحدث الصدمي.

3 - استمرار تجنب الجماعة.

4 - اضطرابات في النوم.

تطرق الكاتب لمجموعة أخرى لمعنى عصاب الصدمة ولكن سينتهي في نهاية الفصل بالإشارة إلى التصنيف المستخدم الآن في العالم العربي وهو ما قدمته الجمعية الأمريكية للطب النفسي، وخاصة في غياب المدرسة العربية للطب النفسي.

يعالج **الفصل الثاني** دور الطبيب النفسي في مواجهة حالات الكوارث والحروب من تأليف د. محمد احمد النابلسي. هنا سيتطرق الباحث إلى دور الطبيب النفسي وكيف يتأثر هذا الدور في خدمة الأغراض السياسية ويضرب أمثلة عن ما حدث من قبل بعض الأطباء العرب لتسجيل آثار الحرب والكوارث التي آثرت على الإنسان العربي.

في **الفصل الثالث:** محاولة مناقشة مناهج البحث العلمي في حالات الكوارث والحروب. من تأليف رافييل - توم لوندين - لارس وينراث.

وهي دراسة قام بترجمتها محمد البدوي كما قام بمراجعتها د. محمد احمد النابلسي. هذا الفصل يتعرض لأهم النقاط التي يجب أن يأخذها بعين الاعتبار كل باحث يدرس تأثير الحروب والكوارث على الإنسان فمن الاعتبارات العامة التي يجب إن يراعيها الباحث على سبيل المثال:

أولا": يجب توافر بعض المعطيات أو التقديرات حول خلفية الموقف في الفترة السابقة للكارثة.

ثانيا": صعوبة التعرف على المجموعة البشرية المتأثرة بالكارثة الخاضعة للدراسة.

ثالثا": ماذا نقيس ومتى ولماذا وكيف - ثم يتطرق الفصل إلى أهم الأسئلة التي يجب أن يجيب عليها الباحث : منها على سبيل المثال :

1 - ما هي أبعاد الكارثة التي أصيبت بها تلك المجموعة السكانية المتأثرة بالكارثة.

2 - السلوك خلال الكارثة.

3 - ما هي ردود الفعل المباشرة للكارثة ولأبعادها المختلفة وبعد أن نحدد الاعتبارات العامة والأسئلة التي تحتوي على المعلومات التي نود أن نحصل عليها لكي نجيب على التساؤلات، وبعد هذه العملية نحدد الأساليب الإحصائية التي يستعين بها الباحث لكي يتحقق من الفرو ض التي وضعها الباحث.

أما في الفصل الرابع فقد قام د. محمد النابلسي بترجمة مقابلة حول الاختبارات النفسية المستخدمة في أوضاع الكارثة من مجلة Acta psychiarica Scandinavica و هذا الفصل مقسم

إلى 17 ملحقا" يحتوي كل منها على أحد الاختبارات التي تقيس تأثير الكوارث والحروب على الإنسان.

ونورد نماذج من هذه الملاحق.

ملحق أ لقياس الشدة النفسية.

ملحق ب قائمة الخبرات الكارثية.

ملحق ج القائمة العامة للخبرات الكارثة، وغيرها من الاختبارات.

والباحث هنا قام بترجمة الاختبارات ولكنها تحتاج إلى دراسات عديدة حتى يتمكن الباحث العربي من استخدامها. إذ يجب تحديد الثبات والصدق لكل من الاختبارات خاصة إذا عرفنا ان هذه الاختبارات قد وضعت في الأصل لقياس مجتمعات غير عربية إسلامية.

أما موضوع الفصل الخامس، الأعراض الناجمة عن الكوارث فكتبته موسون P وسيلي B وقام بمراجعته د. محمد النابلسي. وهنا دارت الأفكار حول الأمراض النفسية والفسيولوجية التي تظهر بعد تعرض الإنسان بعد تكرار الكارثة على الفرد ملاحظا" بعض الدراسات أن هناك أنواعا" معينة من الأمراض تظهر عند بعض الأشخاص تبعا" لاختلاف الشعوب وعاداتها وتقاليدها وكيف يستطيع الفرد أو المجتمع إدراك الوقائع فأثناء الحرب العالمية الأولى أصيب الجنود الألمان والحلفاء بالقرحة أما الجنود الأمريكيون فقد أصيبوا أثناء حرب فيتنام بمرض انسداد الشرايين وارتفاع ضغط الدم.

ثم يعرض الكاتب لنظرية Selye وسماها تناذر التكيف، وتسمى أيضا" بنظرية التكيف العام حيث لاحظ Selye بان الإنسان تظهر عليه تغيرات فسيولوجية عديدة نتيجة لتعرضه لضغوط نفسية، وتمر النظرية في ثلاث مراحل:

1 – مرحلة الإنذار.

2 – مرحلة المقاومة.

3 – مرحلة الإنهاك.

وانتهى الفصل بعرض مجموعة من الأمراض الجسدية والنفسية التي ظهرت أثناء الحرب في لبنان فمن ضمن الأمراض الجسدية للحرب بعدد ارتفاع ضغط الدم والقرحة. أما الأمراض النفسية مثل حالات القلق والانهيار والهستريا.

أما الفصل السادس والأخير، فقد استخدم د. محمد النابلسي مثالا" وهو نموذج السيارة المفخخة وتأثيره على اللبنانيين.

يقسم الباحث ردود الفعل الأولية أمام الانفجار إلى أربع نقاط:

أ – ردود الفعل الأولية.

ب – ردود الفعل قريبة الأمد.

ج – ردود الفعل متوسطة الأمد.

د – ردود الفعل طويلة الأمد.

المرحلة الأولى إشعار الفرد بالتخدير الحسي عندما يسمع الانفجار ثم ينتقل إلى عدم استيعاب ما يحدث حوله ويتبع ذلك مرحلة من الهستريا من الصراخ والبكاء وتتنابها مظاهر نفسية وجسدية.

بعد المرحلة الأولى ردود الفعل قريبة الأمد وهي صعوبات التفكير وحالة من القلق واضطرابات التعقيل.

أما مرحلة ردود الفعل متوسطة الأمد ففيها يبدأ الإنسان بالشعور بعدم الاطمئنان وأحيانا" بالذنب لعدم قدرته على تقديم المساعدة، وقد تنتاب الفرد حالة من الغضب ناتجة عن مشاعر العجز أما الحدث وهذا يؤدي إلى حالة الانتكاسات النفسية والجسدية تظهر على شكل بعض الأعراض الجسمية والنفسية. أما ردود الفعل طويلة الأمد فهي تعتمد على الخصائص والقدرات التي يمتلكها الفرد لكي يتكيف مع الأحداث.

وهذا ما سوف يؤدي إلى ردود الفعل المرضية مثل ظهور الأمراض السيكوسوماتية مثل القرحة وانسداد الشرايين وأيضا ظهور الأمراض النفسية مثل الحالات العصبية وقد تنتقل إلى الحالة الذهانية، وهنا يدخل دور الطبيب النفسي لتقديم المساعدة المناسبة لكل فرد في المجتمع.

هذا الكتاب محاولة مختارة لعرض أحد الموضوعات التي تؤثر على حياة المواطنين التي تمر في كل مكان – نتمنى أن يكون فقط بداية ومقدمة لنتاج المزيد من الكتب التي تتناول هذه الآثار لإثراء المكتبة العربية بالكتب التي يستطيع أن يستفيد منها الباحث والقراء على حد سواء

شبكة علوم النفس العربية
نحو لياقة نفسانية أفضل
مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد

نحو رؤية تكاملية لموضوع المخدرات في الوطن العربي

ورقة مقدمة إلى مؤتمر اتحاد العربي للجمعيات غير الحكومية لمكافحة الإدمان/القاهرة 2001

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

لسنا بحاجة للعودة إلى حرب الأفيون بين بريطانيا والصين كي نبرهن الأبعاد السياسية والاقتصادية لموضوع المخدرات. هذه الأبعاد التي تجعل من الخطأ معاملة موضوع الإدمان على انه ظاهرة مرتبطة بعوامل اجتماعية بحتة. وتجربتنا في المجتمع اللبناني تدعم ضرورة مقاربة الموضوع عبر رؤية تكاملية تجمع أبعاد الظاهرة وتربطها بالعوامل الاجتماعية والنفسية المصاحبة. ففي رأينا الشخصي أن إهمال هذه الأبعاد هو المسؤول عن فشل المحاولات العلاجية للإدمان. وسنقدم في هذه الورقة ما يدعم هذا الرأي مستعرضين الحالات العيادية التي عاينها لمدمنين لبنانيين وغير لبنانين. وكذلك نعرض لإسهامات مركز الدراسات النفسية ومجلته الثقافة النفسية المتخصصة في هذا المجال. لنخلص إلى نتيجة مؤداها أن علاج الإدمان لا يقتصر على الوجه الطبنفسي بل يتخطاه إلى استيعاب الوجوه الأخرى للظاهرة الإدمانية.

المقدمة

يدخل الطب النفسي في ميدان علاج الإدمان من منطلق مسؤوليته في دعم مستوى اللياقة النفسية في المجتمع. عبر العمل على إعادة المدمن للمجتمع كعضو فاعل متكامل ونافع للمجتمع مع ملكية القدرة على تحقيق السعادة الذاتية دون الأضرار بالآخرين. إلا أن هذا الدور العلاجي يصطدم بجملة معوقات غير مألوفة في الاختصاصات الطبية الأخرى. فالمرض الجسدي هو انعكاس لاعطال عضوية منفصلة عن الأبعاد السياسية والاقتصادية على عكس الإدمان الملتصق بهذه الأبعاد. فلدى تحرينا لدوافع الإدمان و أسبابه وظروف التعاطي للمرة الأولى وجدنا ،في لبنان، انه من الممكن توزيع المدمنين على فئات عديدة منها ما هو غير مألوف في التصنيفات المعروفة. لذلك نبدأ ورقتنا باستعراض تصنيف المدمنين اللبنانيين.

تصنيف المدمنين في لبنان

جرت العادة على تصنيف المدمنين وفق مواد إدمانهم والكميات التي يستهلكونها من هذه المواد. لكن عودة إلى أصول الظاهرة تمكننا من طرح تصنيف يستند إلى ظروف التعاطي للمرة الأولى. حيث نلاحظ أول ما نلاحظ أن الإدمان يستقر تدريجيا" بدءا" بمواد اقل خطورة (مهدئات،كحول،حشيش...الخ) وصولا" إلى المواد الأخطر وإلى المزج بينها في بعض الأحيان. لكن هذا التدرج في التعاطي كاد ينعدم خلال فترة الحرب الأهلية اللبنانية. حيث يمكن تصنيف بدايات التعاطي على النحو التالي:

1- **الانسياق وراء الشباب المحارب في التعاطي:** حيث كانت بعض الميليشيات تعتبر أن تحويل أعضائها إلى مدمنين من شأنه أن يرسخ ولاءهم. ويجعلهم اكثر استعدادا" لتقبل الأوامر وأقل قدرة على نقد الزعامات. لذلك كان سوق الوافدين إلى هذه الميليشيات نحو التعاطي خطوة من خطوات أعدادهم.

2- **التعاطي القسري:** مارست بعض الميليشيات أسلوب الإجبار على تعاطي الهيروبين على معتقليها ومعارضيها. وذلك قبيل إطلاق سراحهم.

3- **التعاطي الجاهل:** بينت التحقيقات أن غالبية منفذي العمليات السوداء (مجازر،سيارات مفخخة،) كانوا ينفذونها وهم تحت تأثير المخدر. كما بينت التحقيقات انهم يجهلون نوع المخدر المعطى لهم لاكتساب القدرة على تنفيذ هذه العمليات.

4- **التعذيب بالتعاطي:** كان بعض المعتقلين يتعرضون لتجربة الإجبار على الإدمان ليتحول تعذيبهم من الأشكال التقليدية إلى تعذيب بالحرمان من مواد الإدمان.

5- **الإغواء عن طريق التعاطي:** حيث تستدرج الفتيات إلى تجربة التعاطي لتحويلهن لاحقا" إلى مواضيع جنسية تابعة.

6- **الأشكال التقليدية لبدايات التعاطي.**

وهذا التصنيف ليس حكرا" على مجتمع الحرب اللبنانية إذ تمكن مصادفته في أجواء المجتمعات المختلفة. وهو يشير إلى عبثية محاولات تحديد الشخصية السابقة للتعاطي. خصوصا" في الأجواء الاجتماعية المضطربة. فإذا ما تخطينا المجتمع اللبناني إلى المجتمعات العربية لوجدنا أن التعاطي يأخذ شكل الفولكلور أو التقليعة بغض النظر عن مدى انتشاره. مثال ذلك تعاطي القات في اليمن وتعاطي الحشيش في بعض الدول العربية ومثلها الكحول. من هنا تنبع في رأينا بعض أسباب فوارق نسب الإدمان بين دولة عربية وأخرى. أما الأسباب الأخرى فإنها على علاقة بمستوى الدخل وبالوضع السياسي العام.

الإدمان والسياسة في لبنان

يصرح مسؤول المخدرات في الأمم المتحدة برنار فاهي في العام 1989 أن لبنان هو بلد مصدر للمخدرات وليس مستهلكا" لها. وهذا التصريح جاء متعارضا" مع حملة محلية جارفة تحذر من انتشار الإدمان الوبائي بين اللبنانيين. وترافقت تلك الحملة مع نشر إحصائيات لا تستند إلى أية وقائع أو مراجع علمية. ليتبين لاحقا" أن موضوع المخدرات في لبنان يكاد يكون موضوعا" سياسيا" خالصا". إذ أن غياب سلطة الدولة أثناء الحرب جعل لبنان يأخذ لنفسه حصة متضخمة في سوق المخدرات الدولي والسوق الأميركي بصورة خاصة. مما احدث هزات عميقة في بورصة المخدرات العالمية. التي تحتاج إلى بعض التفسير قبل التطرق لبحث انعكاسات هذه البورصة على الوضع السياسي اللبناني.

تشير إحصائيات مكتب المخدرات في الأمم المتحدة إلى أن حجم تجارة المخدرات يبلغ حاليا" حدود ال 350 مليار دولار سنويا" وانه مرشح للزيادة إلى 450 مليار دولار سنويا" العام 2006 فلو نحن قارنا هذا الحجم مع المبلغ الذي خصص للعام 2000 (بوصفه عام مكافحة المخدرات) والذي حدد ب 6مليارات دولار فقط لوجدنا أن مكافحة المخدرات تتحول إلى فولكلورية!. خصوصا" بعد ما تسرب من وثائق تفيد اعتماد السياسة على التواطؤ مع أباطرة المخدرات لتأمين موارد إضافية غير ملحوظة. الأمر الذي يحول موضوع المخدرات إلى سياسي صرف. وتزداد حدة هذا الطابع مع قدوم العولمة الاقتصادية وشركاتها الضخمة التي لا يمكنها أن تتجاهل تجارة بمثل هذا الحجم. ولتوضيح دور المخدرات في السياسة نذكر بحرب المخدرات في كولومبيا حيث فشلت الولايات المتحدة في القضاء على زراعة المخدرات فيها. وبينت الإحصاءات زيادة حجم تجارة المخدرات الكولومبية بعد هذه الحرب. وتجدر هنا الإشارة إلى أن المزارع لا يحصل سوى على نسبة 5% من الثمن الذي يدفعه المدمن لتتوزع ال95% الباقية على تجار المخدرات بدرجاتهم المختلفة. وهكذا يتضح أن هذه التجارة كانت أولى الشركات العملاقة العابرة للقارات. وهي تمارس أثرا" اقتصاديا" بالغا" عبر عمليات غسيل الأموال أو تبييضها كي تتحول إلى أرصدة بيضاء يتم تحريكها بالتواطؤ بين جهات عديدة. مما يعطي لتجار المخدرات سلطة اقتصادية تضاف إلى سلطة الجريمة المنظمة بحيث يمكنهم التدخل في أسعار العملات وفي البورصات. بما يحولهم إلى التأثير الاقتصادي والسياسي. فهل يمكن نكران هذه الأدوار أو تجاهلها؟.

من خلال هذا العرض المقتضب للتداخل بين عالم المخدرات والسياسة والاقتصاد يصبح من السهل تفسير ما حدث من تداخل المخدرات بالسياسة اللبنانية. إذ اعتمدت بعض الفصائل اللبنانية على تامين استمراريتها في الحرب الأهلية على هذه التجارة. التي أشارت الإحصاءات لبلوغها حدود ال8 مليارات دولار سنويا". ثم توقف هذا العائد بصورة فجائية وغير مدروسة مع تطبيق اتفاق السلم الأهلي (اتفاق الطائف). وهذا ما يفسر واقعة أن الاقتصاد اللبناني كان أقوى أثناء الحرب منه بعدها!.

و إيرادنا لهذه المعلومات إنما يهدف إلى رفع المسؤولية عن عاتق الاختصاص فالعلاج لا يمكنه أن ينجح ما لم تكسر الحلقة الجهنمية المؤلفة من مدمن يتعاطى لأنه يجد من يبيع له المخدر ومن تاجر يهرب المخدرات لأنه يجد من يشتريها منه. بل اكثر من ذلك فان الاختصاص يتنحى جانبا" عندما يحصل التواطؤ بين هذه العوالم ورموزها. لدرجة يمكن معها اعتبار علاج المدفوعين قسرا" للتعاطي بمنزلة التحدي للسلطة الدافعة بهم لذلك. بما يمكنه أن يهدد حياة الطبيب المعالج في بعض الأحيان.

انتشار الإدمان في الوطن العربي

من الطبيعي إلا تتوافر الإحصائيات الدقيقة حول هذا الانتشار. لذلك يتم اللجوء إلى تقدير حجم المخدرات المستهلكة بالمقارنة مع كمية المخدرات التي تكتشف السلطات تهريبها. مما يجعل من محاولة تقدير نسب انتشار الإدمان عملية تقريبية.

ويمكننا الحديث عن انتشار انتقائي لبعض مواد الإدمان في دول عربية دون غيرها. مع الإشارة إلى الانتشار الوبائي لعادة التدخين في

معظم الدول العربية. لكن الخطورة تكمن في ازدياد ملفت لنسب الإدمان في بعض المجتمعات العربية في مقابل استقرار هذه النسب في بقية الدول العربية. بل أن بعضها منخفض بشكل يفضل معه عدم التطرق للموضوع. وهذه الاختلافات تجعل من العبث مجرد الحديث عن استراتيجية عربية لمكافحة المخدرات. إذ أن لكل بلد منها خصائصه الإدمانية. سواء لجهة نسبة الانتشار أو لجهة نوعية المواد أو لجهة التوزيع الاجتماعي للمتعاطين على طبقات المجتمع وفئاته. لذلك فإننا نعتمد الإحصاءات المعلنة من قبل الدول احتراما" لواقعة تداخل هذه الإحصاءات المعلنة مع عوامل داخلية خاصة ومعقدة كما أشرنا أعلاه. وعلى أساس هذه الإحصاءات يمكننا تقسيم هذه الدول إلى:

1- دول لديها نسبة إدمان في الحدود المقبولة أو دونها.
2- دول لديها نسبة إدمان عالية.
3- دول لديها ميل لزيادة نسبة انتشار الإدمان.
4- دول متكيفة مع نسبة إدمان عالية لمادة محلية.

وهذا التقسيم في رأينا هو الأفضل كونه يضع خطوطا" تمنع تورط الاختصاص في متاهات خارجة عن حدود الاختصاص. بحيث يستجيب الاختصاص للحاجات التي تحددها السياسة الصحية للدولة. إضافة إلى دوره التقليدي في تقديم المساعدة العلاجية لطالبيها.

على هذا الأساس تعاطت مجلة الثقافة النفسية المتخصصة والمركز مع موضوع الإدمان. فقاما بنشر البحوث والدراسات وبعض خطوات التوعية والتثقيف الأساسية. لكن دون التطرق إلى الجوانب الإحصائية والخطوات المتعلقة بالسياسة الصحية.

إسهامات المركز في مجال علاج الإدمان

بالإضافة إلى البحوث المنشورة في الثقافة النفسية المتخصصة والتي سنوردها أدناه قام مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية بطباعة بعض المطويات الهادفة لتثقيف الجمهور وأهالي المدمنين ووزعها في المناسبات المختلفة. أما البحوث المنشورة فهي التالية:

- محمد احمد النابلسي (1991): الإدمان وحش يهدد المجتمع- العدد الخامس.
- غسان يعقوب (1991): الماريجوانا والحشيش- العدد السادس.
- جوزيف مزهر (1991): مطالعة في قانون المخدرات اللبناني- العدد الثامن.
- غسان يعقوب (1991): الأعلام وأخطار المخدرات- العدد الثامن.
- محمد احمد النابلسي (1991): علاج الإدمان ومعوقاته- العدد الثامن.
- انطوان البستاني (1991): الإدمان مشكلة فردية واجتماعية- العدد الثامن.
- فايز الحاج (1993): الإدمان على التدخين وعلاجه_ العدد السادس عشر.
- بيترمان.هـ(1995): استهلاك المدمنات لدى الأطفال والمراهقين في لايبزغ-العدد الثاني والعشرون.
- فايز الحاج (1995): تعاطي المخدرات وأثره على الصحة النفسية-العدد الرابع والعشرون.
- محمد حمدي الحجار/عرض كتابه (1995): العلاج النفسي للإدمان- العدد الرابع والعشرون.
- بيترمان هـ(1996): تعديل استهلاك السجائر لدى التلاميذ- العدد السابع والعشرون.
- تقرير(1996): تشخيص الاعتماد على النيكوتين- العدد السابع والعشرون.
- مصطفى سويف/عرض كتابه (1996): المخدرات والمجتمع- العدد الثامن والعشرون.
- سليم عمار (1997): إدمان الخمر- العدد الحادي والثلاثون.
- وليد المصري (1999): الطفل في ظل الأسرة الكحولية- العدد السابع والثلاثون.
- محمد حمدي الحجار (1999): علاج الإدمان على المخدرات والمؤثرات العقلية – العدد السابع والثلاثون.
- فطيم والجارجي ورشاد (1999): قائمة تشخيص سوء الاعتماد على العقاقير والكحول- العدد المزدوج 39-40.
- فيصل الزراد (1999): دراسة لبعض حالات الإدمان على العقاقير والكحول- العدد المزدوج 39-40.
- محمد احمد النابلسي (2001): الإدمان مشكلة غير قابلة للتجاهل- ملف العدد الخامس والأربعون.
- محمد احمد النابلسي/تقرير (2001): اقتراحات جديدة لعلاج الإدمان- ملف العدد الخامس والأربعون.
- مصطفى زيور/ معادة النشر (2001): التحليل النفسي لشخصية متعاطي الحشيش -ملف العدد الخامس والأربعون.

- وليد المصري (2001): دور العوامل النفسية في إدمان المراهقين– ملف العدد الخامس والأربعون.

- محمد رشاد (2001): خطر الإصابة بالإيدز لدى مدمني الهيروبين– ملف العدد الخامس والأربعون.

- لطفي فطيم ومشاركوه (2001): قائمة سوء استخدام المواد– ملف العدد الخامس والأربعون.

الإدمان وجهة نظر اختصاصية

إن الطب النفسي، والعلاجات المرتبطة به، لا يمكنه أن يقر المبدأ الروماني القائل **بضرورة الجنون في المجتمع المجنون**. وهذا ما يضع الاختصاص ،ولو نادرا"، في مواجهة السائد والشائع من القناعات الخاطئة.

لكن المواقف من هذه القناعات تختلف باختلاف المدارس الطبنفسية ففي حين تعتمد المدرسة الأميركية منطلقات براغماتية تحصر هدفها في الوصول إلى التكيف (مع محاولة تجاهل إشكالية التكيف مع القناعات الخاطئة) نجد المدرسة الدينامية مصرة على مناقشة المواضيع عبر الصندوق الأسود (العقل). ولكل من هذه المدارس اقتراحاتها الوجيهة للحلول. إذ تدعو السلوكية إلى كسر حلقة **مهرب–مدمن–منتفع خفي** عبر السماح تدريجيا" ببيع المخدرات. وهي تجربة طبقت في هولندا مثلا" فأزالت الدافعية التي يختلقها المهربون لترويج مخدراتهم. أما المدرسة التحليلية فتتوزع عموما" على تيارين. الأول يربط متعة المخدر بالمتعة الجنسية وبالتالي بمجموعة العقد الجنسية. والثاني يربط بين الإدمان وبين غريزة الموت.

ومع قناعتنا التامة بحيوية وضرورة التكامل بين مختلف هذه الاقتراحات فإننا نعتمد مبدأ الربط بين الإدمان وبين غريزة الموت. حيث يدرك المدمن ،خارج فترات احتياجه للمادة، الآثار التدميرية لإدمانه. ويترافق هذا الإدراك مع مشاعر الذنب والندم والرغبة بالإقلاع عن الإدمان. فإذا ما جاءت فترة الاحتياج يعود الشخص للتعاطي في نزعة تدمير ذاتي تتطور مع تكرار حلقة الإدراك– الندم– التعاطي. وذلك وصولا" إلى سيطرة نزعة التدمير على الاقتصاد النفسي– الجسدي للمدمن. وهنا تتدخل ثنائية العواطف لتفجر الرغبة في تجميد الزمن ،عند لحظة النشوة بالمخدر، في مقابل نزعة التدمير. وهي حالة شبيهة بما يسميه التحليل النفسي بالعودة إلى الصفر (أي إلى الفردوس الفقود في بطن الأم). حيث تتم مواجهة الخوف من الموت عبر فكرة "**ليتني أموت**" (غريزة موت) بفكرة "**ليتني لم أولد**" (العودة إلى الصفر). ورغبة تجميد الزمن عند لحظات السعادة هي رغبة نرجسية عامة لدى الجميع. حيث يمارسها الرسام عبر لوحته والشاعر عبر قصيدته. وبمعنى آخر فان كلا" يمارسها على طريقته الخاصة. فإذا ما تدخل الاعتياد على المواد فانه يصبح البديل السهل لتنفيذ هذه الرغبة. وبهذا نصل إلى كتاب فرويد "**قلق في الحضارة**" وفيه يشير إلى ان الحضارة تحمل معها زيادة مستوى القلق الفردي. وهذا ما يعبر عنه اليوم بتعابير شتى منها الإرهاق بأنواعه المولد لما اصبح يعرف ب"**أمراض العصر**". وبمعنى آخر فان علينا ألا نهمل ضغوطات الحياة اليومية في تصدينا للحديث عن الإدمان.

ملاحظات ختامية

نحن لا نوافق على الميل السائد لتحميل الاختصاص أوزار علاج الظواهر الإدمانية ومسؤوليات هذا العلاج. وذلك لقناعتنا الراسخة بان موضوع المخدرات متداخل مع نظم القيم الاجتماعية والسياسية. التي غالبا" ما تشكل دوافع إدمانية اكثر وجاهة من الدوافع النفسية المفترضة. مثال ذلك أن التهميش الاجتماعي لشخص ما يجعل من الإدمان حلا" ملائما" لتخطي الفراغ الوجودي المصاحب لهذا التهميش. ومثله فقدان الاعتراف (بالمعنى الهيغيلي). ولعل هذا الرأي يجد دعمه عبر مراجعة بسيطة لخارطة تجارة المخدرات العالمية. حيث تنتج الدول الفقيرة المخدر لتصدره إلى الدول الأغنى عبر الدول المتوسطة الدخل. وهو واقع تؤكده سياحة المخدرات (سفر المدمنين إلى البلدان المنتجة للمخدر بهدف استهلاكه بأسعار أدنى). وهذا ما يفسر زيادة عدد المدمنين في العالم بمقدار 12 مليونا" كل سنة. وهي زيادة لا يتحمل وزرها الاختصاص بل تتحمله الأبعاد الأخرى للمخدرات. وعليه فإننا ندعو إلى حصر مسؤولية الاختصاص في نطاق علاجه للحالات الفردية وفي تقديمه الاستشارات المساعدة في السيطرة على الظواهر الإدمانية.

قـــــراءات في الفكـــــر السيكولوجـــي والسياســـي النابلســـي

سيكولوجيـــة التظاهـــــر

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

تحدد الأدبيات الأساسية في علم النفس السياسي التظاهر وتعرفه على انه سلوك جماعي علني يطغى عليه الطابع الإنفعالي ويمكنه أن ينتشر بالعدوى على شكل تقليد هيستيري الطابع. وهذا الطابع يمكنه أن يأخذ منحاً تصعيدياً ليصل الى حدود الشغب أو المبالغة في الإنفعالية. ويعبر التظاهر عادة عن رسالة تحدد موقفاً من اتجاه أو إجراءات سياسية معينة. ذلك هو التعريف العلمي لأركان التظاهر

كما وتشير الدروس الأولية في علم النفس الاجتماعي إلي أن مثل تلك المساندة ،احتجاجا أو تأييدا، تعد من ضمن ردود الفعل الطبيعية للفرد منذ طفولته الأولى. إذ تبدأ مظاهر الإحتجاج لدى الطفل مع صرخاته احتجاجاً و رفضاً, و ضحكاته و تصفيقه تقبلاً و تأييداً. ومع نمو الطفل و بزوغ السلوك الجماعي تتخذ المظاهرة طابعها الممارس من قبل البالغين في الساحة السياسية .

ولقد حظي سلوك التظاهر بقدر وإهتمام كبيرين من دراسات علم النفس الاجتماعي والسياسي. بحيث أمكن تتبع تاريخ الظاهرة و جذورها واستخلاص القوانين السلوكية التي تحكمها, بل وفي توظيف تلك القوانين في تطوير أشكال المظاهرات. وكذلك في تطوير أساليب التعامل معها. سواء لجهة تنظيمها أو تقنينها أو السيطرة على مجرياتها التصعيدية. واستفادت دول و شعوب العالم من مكتشفات العلوم السلوكية والتكنولوجية على حد سواء في تسارع ذلك التطور. ومن ثم عمدت الى توظيف هذه المعطيات العلمية.

وهكذا استفادت الدول فطورت من أساليب تعاملها مع المظاهرات داخل حدودها, بل ومن أساليب توجيهها – بل و تمويلها أحيانا– للمظاهرات في دول أخرى وفقا لمصالحها. وهكذا حصل استنساخ للمظاهرات السياسية العفوية التقليدية وأعيد إنتاجها مخابراتياً لإسقاط أنظمة الحكم أو لنشر الفوضى في البلد. وذلك سواء من قبل جهات داخلية أم خارجية. مثال ذلك الدعم المخابراتي الأجنبي لمظاهرات تيميشوارا وبوخارست وجورجيا واوكرانيا وفنزويلا وغيرها. واستفادت الشعوب والجماعات والأحزاب بدورها من جهتها فطورت أساليبها في التظاهر وأدركت أن نجاح تظاهرة ما يرتبط بإنتاج فكرة تظاهرية محورية واحدة جامعة بين فئات المتظاهرين.

التظاهرات العربيـة

لقد عرفنا في الدول العربية وفي لبنان خصوصاً المظاهرات متعددة الدوافع. ونظراً لسيل المظاهرات المبرمجة في مخطط تغيير دول الشرق الأوسط فإننا سنأخذ المثال اللبناني نموذجاً للحديث عن نمط هذه المظاهرات حيث نبدأ بسرد تاريخي لمظاهرات الإحتجاج على إقامة لبنان الكبير (1920 – 1936) وطلب البقاء في وحدة جغرافية مع سوريا. وبعدها المظاهرات المطالبة بإستقلال لبنان (1936 – 1943) عن الإنتداب الفرنسي. وبعدها المظاهرات التي أسقطت بشارة الخوري (1952) ودفعته للتنازل عن الفترة المتبقية له كرئيس جمهورية بعد تجديد ولايته.

ومع بروز الزعيم العربي عبد الناصر إرتبطت المظاهرات اللبنانية ، والعربية عموماً، بالمد القومي. فكانت تخرج تاييداً لعبد الناصر في مواقفه المختلفة (1956 و1967 و1970 وعام وفاته 1971). وللثورة الجزائرية ضد الفرنسيين (1960) وللفلسطينيين في صراعهم مع إسرائيل ... الخ من المناسبات العربية والإسلامية التي لا تزال مستمرة.

ثم جاءت الحرب الأهلية اللبنانية لتنهي سلوك التظاهر وسط علاقة إشكالية بين الميليشيات والمواطن. وهي علاقة ثنائية العواطف يتمازج فيها الخوف مع التواطوء. وهو ما حول الإحتجاج من سلوك التظاهر الى سلوك المجازر. مثال ذلك ردود الفعل على الإغتيالات السياسية الحاصلة خلال الحرب.

وها هو لبنان يعيش اليوم ردود الفعل الشعبية المجسدة لإحتجاجات الشعب اللبناني على وقائع ضاغطة على معيشته وعلى حياته اليومية. وإنطلقت هذه التظاهرات كردة فعل على إغتيال الرئيس رفيق الحريري. إلا أنها تخطت هذه الإنطلاقة للمطالبة بالخروج السوري من لبنان. وذلك بعد حملة إعلامية طويلة الأمد وسخية

التمويل مدعومة بالخطاء والإهمال السوريين. وبهذه المناسبة إستعاد المواطن اللبناني سلوك التظاهر بعد أن كاد يفقده في ظل الحرب. ومن بعدها في ظل الوجود العسكري السوري. والوجود العسكري على أشكاله لا يحتمل التظاهر الإجتماعي والسياسي.

والواقع أن هذه التظاهرات أربكت كل المتابعين للشأن السياسي اللبناني. فالراسخ في ذهن اللبنانيين أن المظاهرات غير المسيسة في إطار مطالب محددة تكون مسبقة التحضير. وهي بالتالي ممولة بصورة مشبوهة. إلا أن التخطيط الجيد لهذه التظاهرات إنطلق من مبدأ التفاوض الرئيسي. وهو القائل بتجاهل نقاط الإختلاف بين الأطراف والتركيز على نقاط الإلتقاء بينهم. حيث تمكن المنظمون من إقامة هذه التظاهرات على المحاور الجامعة التالية:

-المطالبة بالخروج العسكري السوري: دون الخوض في تفاصيل خلفيات ودواعي هذه المطالبة بين الفئات المشاركة. فهذه المطالبة ليست عقائدية بل هي تستند الى دواعي متناقضة تمام التناقض. فعتب الحريري على السوريين ينبع من تفضيلهم للرئيس لحود عليه. ومن هنا إنسحابه الإحتجاجي من رئاسة الوزارة وعمله على تصعيب مهمة لحود ورئيس وزارته عمر كرامي.

-المطالبة بمعرفة الحقيقة حول إغتيال الحريري: وهنا لا بد من التساؤل عن سبب إختيار هذا الأسلوب الفج والدرامي في عملية الإغتيال. فلو إقتصر الهدف على إغتيال الحريري فقد كان بالإمكان إغتياله على طريقة جون كينيدي (قناص ورصاصة واحدة.(

-الخوف من الإنتقام السوري: رغم الحملة الدولية المطالبة بالخروج السوري والمتحدية للسياسة السورية (القرار 1559 وقانون محاسبة سوريا والتهديد بحصارها إقتصادياً...الخ) فإن المتظاهرين كانوا يدركون أن التواجد السوري لا يقتصر على الظاهر بل يتخطاه الى مشاركة سورية في نسيج المجتمع اللبناني على مختلف الصعد الاجتماعية والعائلية والإقتصادية وغيرها. ومن هنا ترداد قيادات المعارضة لتلميحات الخوف والتخويف من الخوف.

-تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب قبل تفجر خلافات المتظاهرين: ومن هنا دعوات الإستعجال والتهالك غير المبرر على جملة خطوات يمكنها أن تكون مؤذية بتسرعها وتعجيلها. فاللبنانيون مختصمون مثلاً على قانون الإنتخاب منذ قيام الدولة ولغاية اليوم. ومع ذلك يصر المتظاهرون ومنسقيهم على إستنساخ قانون جديد خلال بضعة أيام لمجرد تأمين ما يعتبرونه فوزهم المؤكد في الإنتخابات إن هي جرت تحت وطأة المظاهرات. ولا يهم بعدها الإنعكاسات السلبية المحتملة لمثل هذا القانون.

على الوجه الآخر وجدنا حزب الله يخرج بتظاهرة لا تقل حجماً أو تأثيراً عن مظاهرات ما يسمى بالمعارضة. إلا أنه خسر في المقابل رفعته عن الدخول كطرف سياسي مباشر. وهو تريث كثيراً قبلها لكنه إضطر لذلك أمام التصعيد المبالغ للطرف المقابل. وهكذا وجد لبنان نفسه أمام تهديد حقيقي لإستقراره وأمام سيرورة يمكنها أن تقود لإعادة إشعال نزاعه الأهلي الداخلي. وكان لا بد للجميع من التراجع بضع خطوات الى الوراء. ومن هذه التراجعات إعادة خلط أوراق الموالاة – المعارضة بما إستتبع عمليات تسرب عديدة بين الفريقين. إلا أننا وقبل الحديث عن هذه التسربات نود تقديم عرض تحليلي للتظاهرات اللبنانية الأخيرة وللنتائج المباشرة المترتبة عليها.

قراءة تحليلية للمظاهرات اللبنانية

بالمقارنة مع المظاهرات السابقة الممولة أميركياً في الدول النامية (ومنها مظاهرات رومانيا وجورجيا واوكرانيا وفنزويلا ... الخ) نجد أن للمظاهرات اللبنانية مميزاتها ونتائجها الخاصة. وأهم هذه المميزات التالية:

1. أنها لم تؤد الى سقوط الحكم كما في رومانيا وجورجيا وأوكرانيا وغيرها.

2. أن إستقالة حكومة كرامي أتت في سياق تقليد سياسي عريق وليس في إطار هزيمة سياسية. وهي مسألة تطاول على شخص الرئيس كرامي.

3. أنها عجزت عن طرح موضوع الإستفتاء كما في فنزويلا مثلاً. فالإستفتاء يشكل حساسية لدى المسيحين اللبنانيين. وطرحه كان كفيلاً بتفجير البلد وليس المعارضة لوحدها.

4. أنها تركت البلد بدون دفاعات أمنية مع المطالبة بخلق فراغات أمنية بإقالة رؤساء الأجهزة. دون تقديم البدائل الأمنية لمواجهة الصدامات المحتملة في ظل هذا الإنقسام الذي عمقته التظاهرات وأضافت اليه أحلافاً عابرة ومؤقتة تنهار لمجرد إقتسام المغانم .

5. إعتماد المظاهرات على مبدأ التصنيف المصطنع الى معارضة وموالاة. وهو تصنيف لم يقاوم لغاية إتمام الخروج السوري. مما إستدعى إعادة خلط الأوراق. مما يعني إعطاء تعريف جديد لحركة التظاهرات.

6. سذاجة المحاور المعتمدة كعقيدة تظاهرية. خاصة بعد خروج سوريا وقبول لجنة التحقيق الدولية اللذان أسقطا هذه العقيدة لتتفجر بعدها التناقضات المخيفة بين مختلف الأفرقاء. وسنذكرها في النقاط التالية.

7. أن جميع المعارضين الموارنة هم مرشحون لرئاسة الجمهورية. وهم متنافسون بحدة ستظهرها الإنتخابات القادمة.

.8أن الحضور السني في المظاهرات المعارضة إقتصر على آل الفقيد وبعض التكنوقراط من تيار الحريري. وبدا واضحاً أن هؤلاء لا يتقنون السياسة. في حين غابت أو غيبت الزعامات السنية الكبيرة والتقليدية.

.9 أن الحضور الشيعي إنعدم في تظاهرة المعارضة وتكثف في تظاهرة حزب الله.

.10 أن مواقف الزعيم الدرزي ترتبط كالعادة بمصلحة الطائفة التي يمثلها في نظام طائفي. وهو تمثيل لا بد له من التعارض مع مصالح طوائف الأكثرية.

.11 أن مسألة إقالة رئيس الجمهورية تواجه بنقض (فيتو) ماروني صادر عن رأس الطائفة.

.12 غياب البدائل السياسية. حيث قادة المجتمع المصنعين بعد الطائف لا يتمتعون بمقومات وشروط القيادة وفق اللاوعي الشعبي اللبناني.

وهم وصلوا عن طريق المال السياسي. بحيث يمكن الشك في إستمراريتهم لو إستعاد الناخب اللبناني قناعته بأنه قادر على فعل التغيير.

هذه العوامل تبين فشل أميركي سياسي لمخطط التظاهرات اللبنانية. فهي لم تغير نظام حكم ولم تسقط رئيساً كما أنها لم تطرح إستفتاءً. بل أن مظاهرتها ووجهت بأخرى مثيلة حجماً وإندفاعاً ولكن بجرعة حقيقية من العقائدية الراسخة. وعلى المراقب أن يخشى أي إحتمال تصادم بين الطرفين. خاصة وأن التظاهرة العقائدية قابلة للتكرار بدون تمويل أو طقوس مرافقة. في حين إحتاج إستمرار التظاهرة المقابلة للتمويل السخي ولإقامة مسرح وحفلات غنائية.

تحالفات ما بعد الخروج السوري

بعد الانسحاب السوري من لبنان أصبح الحديث متاحاً عن جوانب العلاقة بين سوريا وبين السياسيين اللبنانيين عامة. ومن أهم هذه الجوانب ،التي سوف ترسم تحالفات ما بعد الخروج السوري، نذكر التالية:

.1 أن غلاة المعارضين الطامحين لرئاسة الجمهورية قد مروا بدمشق وطلبوا دعمها وموافقتها على توليهم الرئاسة الأولى. والرفض السوري كان من أهم أسبابا تحولهم الى معارضين.

.2 كان التدخل السياسي السوري في لبنان عميقاً ومتخطياً للحدود. إلا أنه حصل بضغط السياسيين اللبنانيين الذين كانوا يحملون خلافاتهم الى دمشق ويطلبون تدخلها تحت طائلة تفجر الوضع الداخلي والإستقرار السياسي. ودفع السوريون ثمن هذا التورط في تناقضات البلد الداخلية.

.3أن الزعامات الحقيقية (المستندة الى رصيد شعبي فاعل) لما سمي بالمعارضة كانت متعاونة مع الأجهزة الأمنية السورية على مدى عقود. وهي تراجعت بعد أن أبلغت بالرغبة الأميركية والفرنسية بالدخول السريع على الخط اللبناني.

.4 حاول الطامحون ركوب حصان التظاهرات المعارضة طمعاً في تحقيق طموحهم. لكن الزعامات المعارضة أسقطتهم عن ظهر الحصان بمجرد بداية خلط الأوراق بينهم وبين الفريق الآخر.

.5 بقاء سوريا لاعباً رئيسياً (لكن ليس وحيداً كما قبل) الى جانب كل من الولايات المتحدة وفرنسا وإسرائيل. وهذا الواقع يجعل عداء سوريا ممنوعاً على اي سياسي لبناني. لأنه يعني عداوة لاعب رئيسي في الساحة السياسية اللبنانية.

.6 تجهد السعودية للحفاظ على دور لبناني إكتسبته عبر الرئيس الحريري. وهي لا تريد فقدانه بفقدان الأخير. إلا أن هذا الطموح يواجه بطموح إيراني مماثل. الأمر الذي يفتح أبواب لبنان أمام سلسلة من اللاعبين الفرعيين. وهذا يعني تجدد الحرب الأهلية فهل هذا هو المطلوب؟. أم أن باب اللاعبين الفرعيين يبقى مواراباً بإنتظار تطورات الوضع الأميركي في العراق؟.

.7 إن نكتة تقسيم لبنان الى معارضة وموالاة تحولت الى السماجة. مما يستدعي خلط الأوراق لإيجاد صيغة تصنيفية جديدة للبلد ولمتظاهري المظاهرات القادمة.

.8 يبقى إنتظام هذه العوامل مجتمعة مرتبطاً بالمفاجآت القادمة قريباً الى لبنان. ذلك أن الوضع الحالي هو وضع فوضى محدودة لكنها مهددة بالإتساع والتفجر. ومن هنا ضرورة حدوث مفاجآت غير منتظرة للخلاص من إحتمالات الفوضى التي لا تبدو مطلوبة من أي من الأطراف الداخلية أو الخارجية أقله لغاية الآن.

.9 قانون الإنتخابات هو المرشح البارز للتصنيف اللبناني الجديد. وذلك بحيث يتوزع المتظاهرون القادمون على مؤيدين لتعجيل أو تأجيل الإنتخابات. ومنهم مؤيدي القضاء والدائرة الوسطى والكبرى. وبذلك يكون لبنان قد عاد الى سيرته السابقة. حيث شعب مسيس ومتوزع حول محاور سياسية تحددها مصالح الزعامات والطوائف.

تحولات الجمهور اللبناني بعد المظاهرات

بالرغم من التحفظات الواردة أعلاه فإن تحولات عديدة طرأت على الجمهور اللبناني بعد هذه المظاهرات. وهذه التحولات وإن لم تكن إيجابية في جملتها إلا أنها ساعدت جيل ما بعد الحرب على التموقع في سياسة البلد وإن هو لم يبلغ التصورات المثالية المناسبة لعمره

في هذا التموقع. إلا أن هذه التحولات ستترك أثرها على الإنتخابات القادمة أو على الأسباب التي قد تعوق هذه الإنتخابات. ومن هذه التحولات نذكر:

1. إستعادة الشعور بالقدرة على الفعل والتغيير بدل الشعور بالضآلة واللاجدوى. وإن كان السؤال يطرح حول إحتمالات إستمرارية هذا الشعور في حال إصطدامه بلعبة خلط الأوراق في التحالفات الإنتخابية الآتية.
2. إعادة إحياء رموز الحرب وزعاماتها في ظل العجز عن تخليق زعامات بديلة مقابلة.
3. القبول بعودة التدخل الأجنبي المباشر في الشؤون الداخلية للبلد.
4. فتح الأبواب أمام تصنيع قادة مجتمع على الطريقة الأميركية.
5. معاودة طرح التناقضات المذهبية والطائفية.
6. تسجيل سابقة تعطيل الأكثرية البرلمانية وتقييدها بتحركات شعبية.
7. تجاوز إتفاق الطائف الى فراغ سياسي ناجم عن العجز في إنتاج إتفاق بديل له.
8. الإشكاليات اللبنانية المهددة: المديونية وسلاح حزب الله والفلسطينيين..الخ.

مما تقدم لا نبالغ بالقول بأن هذه المظاهرات جعلت من لبنان المدخل الى فوضى المنطقة بكاملها. والدروس المستفادة من هذه المظاهرات ستلقى تطبيقاتها العملية في المظاهرات المقبلة في البلدان الأخرى في المنطقة. بل أن الشراكة الظاهرية بين الفئات المتظاهرة ستتحول قريباً الى مشاعر الخداع والإضطهاد. بل أن هذا التدريب المكثف على التظاهر سوف يمارس لإعادة إحياء الصراعات القديمة وأخطرها الصراعات داخل المذهبية.

الخلاصة

إن التظاهر هو سلوك إنساني – إجتماعي وهو عرضة كغيره من السلوكيات الإنسانية لإساءة التوظيف والإستخدام. وبخاصة عندما يأتي سلوك التظاهر قبل طرح الأسئلة وقبل إنتظار الأجوبة عليها. وفي المثال اللبناني نسأل هل تحل التظاهرات الإشكاليات الرئيسية المطروحة على الساحة السياسية اللبنانية كمثل:

1. المديونية البالغة 45 مليار دولار؟.
2. الطائفية السياسية؟.
3. الخطر الإسرائيلي؟.
4. مشكلة توطين الفلسطينيين؟.
5. التناحر الطائفي الكامن في لا عدالة توزيع مقدرات البلد؟.
6. عدم الإتفاق على دستور نهائي للبلد؟.

إن التحليل الموضوعي لنتائج التظاهرات الأخيرة يبين أن المتظاهرين حققوا ظاهرياً هدفاً مشتركاً واحداً. إلا أنهم إنقسموا الى جماعات حقق كل منها أهدافه الخاصة. الأمر الذي سوف يبرر غضبة الفئات الأخرى وإحساسها بانها كانت موضع إستغلال من قبل الرفاق في التظاهرات. حيث تم الإيحاء لكل فئة منهم بأنها هي صاحبة التظاهرة. وفي هذا مقدمة لإنقسامات داخل صفوف الشباب المشارك في هذه المظاهرة. لذلك نأمل ألا يستمر سلوك التظاهر الممول والموجه خارجياً سلوكاً معتمداً للوصول الى المناصب السياسية. وهذا ينطبق على لبنان كما على بقية دول المنطقة المعنية التي قد تراجع التجربة اللبنانية الراهنة وتستفيد منها لتوسيع أطر شعور الشباب بالقدرة على الفعل والتغيير بدون الإنسياق وراء الإيحاءات المفبركة خارجياً

قـــــراءات في الفكـــــر السيكولوجـــي والسياســـي النابلســـي

-سيكولوجيـــة السياســـــة - محمد أحمد النابلسي
-الهارب الى ضوء الشموع -محمد أحمد النابلسي
-الإنتخابات وبرمجة العقول -محمد أحمد النابلسي
-العناية بضحايا العنف: السياسة وأخلاقيات الطب النفسي -محمد أحمد النابلسي
-الإسلام والطب النفسي الوقائي -محمد أحمد النابلسي
-ملامح الشخصية العربية -محمد أحمد النابلسي
-العلاج النفسي للأسرى وضحايا العدوان -محمد عبد الظاهر الطيب

سيكولوجيـــة السياســـــة

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

ترتبط السياسة بالسيكولوجيا عبر علاقة عضوية تعود الى البدايات الاولى للفكر الانساني . اي الى ما قبل تشكل المفاهيم النظرية لاي منهما . و بالعودة الى ارسطو نجده يصنف السيوكولوجيا و السياسة و الاقتصاد في اطار العلوم التطبيقية . معرفا الاخلاق على انها علم دراسة السلوك الشخصي ، و الاقتصاد على أنه علم تدبير معيشة العائلة و السياسة على انها علم تدبير المدينة (الدولة) . لكن الطابع العضوي لهذه العلاقة يعود عمليا الى حاجة السياسة الماسة لاية وسيلة تسهل الاتصال الذي يحتاج بدوره الى اية معلومة تساهم في اكمال فعاليته و تدعيمها.

هذا وتعود البدايات الحديثة لعلم السياسة إلى مطلع الخمسينيات وهي إقترنت ببدايات علم النفس السياسي. فقد نشرت منذ مطلع هذا القرن العديد من البحوث النفسية –السياسية. التي بدأها فرويد بعودة إلى ما قبل الحضارة البشرية لينتقل بعدها إلى دراسة الأساطير وتحديدا مناقشة الأساطير اليهودية ومسألة التوحيد في كتابه "موسى والتوحيد"ليدخل بعدها مباشرة إلى السياسة في مقالته "أفكار لأزمنة الحرب والموت".ثم كانت دراسات يونغ الشهيرة حول الأساطير واللاوعي الجماعي وعلاقتهما باللاوعي الفردي. وبعدها أتت محاولة إتباع فرويد والمنشقين عنه للتوفيق بين التحليل النفسي والسياسة والنظرية الماركسية خصوصا. كما تجدر الإشارة إلى الكتاب الذي نشره غراهام والاس في العام 1921 تحت عنوان " الطبيعة الإنسانية في ميدان السياسة".

لكن البحث العلمي الحقيقي في ميدان السيكولوجيا السياسة بدأ في الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية. خين تدعمت هذه البحوث بهجرة مكثفة لعلماء االنفس الأوروبيين الهاربين إلى أميركا من الحرب. فبدأت هذه البحوث من منطلقات اتنية (عرقية) وسخرت هذه البحوث لدراسة اللاوعي الجماعي والشخصيات الأممية لأصدقاء الولايات المتحدة وأعدائها. في محاولة لتسخير سيكولوجية الرأي العام في الإتجاه السياسي المناسب. وهكذا بحيث يمكن إعتبار ولادة السياسة واليكولوجيا السياسية في مطلع الخمسينيات ولادة توأمية. لكن هذه الفترة وتحديدا العام 1952 سجلت ترسيخ العلوم النفسية كعلم له منهجيته الطبية الصارمة. إذ شهد هذا العام ظهور دواء الكلوربرومازين (دواء معقل) الذي كان مقدمة لإرساء الطب النفسي كأحد فروع الإختصاصات الطبية مما أذكى الصراع بين هذا الفرع المستجد (الذي وجد لنفسه التطبيقات في الميادين السياسية والعسكرية والحضارية....الخ) وبين بقية الفروع المعنية بهذه الميادين. بل إن الطب النفسي بدا وكأنه يحاول وضع النظم الأخلاقية لهذه الفروع وخصوصا السياسية منها. إذ يرى الطب التفسي ضرورة الإفادة من معارفه(وضرورة مساعدة بقية الفروع له) لكي يحقق الضوابط الأخلاقية التالية:

1- إن أية أبحاث تعمل على إحداث تغييرات في الإنسان (مثل التربية العبقرية وأبحاث الهندسة الوراثية والإستنساخ والجراحة الدماغية....الخ). ويجب أن تكون خاضعة لسياسة إجتماعية صارمة تهتم بتوجيه هذه الأبحاث لتحسين شروط معيشة وسعادة الإنسان.

2- أن مثل هذه الأبحاث يجب أن يمنع توجيهها بإتجاه تحقيق تفوق أفراد أو جماعات أو شعوب على حساب غيرها من البشر.

3- يجب النظر إلى جميع محاولات (تحسين) السلوك الإنساني على أنها إعتداء على حرية الشخص. بإستثناء الحالات التي تتم فيها

هذه المحاولات بطلب من الشخص نفسه لإستشعاره الحاجة إليها. على أن تدعم الآراء العلمية–الموضوعية هذا الإستشعار.

4- إن "اللانسنة" المتمثل بإستبدال أعضاء بشرية هامة بأعضاء حيوانية هي مسألة تطرح إشكاليات أخلاقية خطيرة.

5- أن الرغبة الشخصية بالإستفادة من تقنيات معينة لإستغلالها لتحقيق أهداف شخصية من شأنها أن تنسف قواعد السياسة الإجتماعية وأخلاقياتها. الأمر الذي يقتضي التريث في تشريعها لقياس مدى قدرة هذه السياسة على إستيعاب التعديلات. مثال على ذلك أن الدعوة العالمية للحد من زيادة السكان (ومعها دعوة الشعوب لا يتجاوز متوسط أعمارها الأربعين عاما للحد من التكاثر) تصطدم بالرغبات الشخصية في الإنجاب بإستخدام تقنيات طفل الأنبوب أو الإستنساخ أو غيرها.

6- إن أية محاولة لتعديل الشخصية يجب أن تخضع لتحري دوافع هذه المحاولة سواء من قبل شخص أو من قبل الإختصاصي الذي يتولى عملية التعديل.

7- إن تطور تقنية الإتصال (ومعها التجسس على الأفراد) يؤمن مراقبة دقيقة لسلوك الأشخاص مما يزيد من إحتمالات إساءة الإستغلال السياسي لهذه المراقبة (خصوصا بعد أن نعلم أن دولا نامية عديدة تخضع بشكل جماعي لهذا النوع من المراقبة!).

8- أن موضوع ولادة بدون رحم ومعها موضوع الإستنساخ هي مواضيع تلامس حساسيات تحديد الإنتماء العائلي. الأمر الذي يهدد مفاهيم البنية العائلية في المجتمع البشري. وهو تهديد يستحق الدراسة والمناقشة المعمقة.

9- إن محاولات زيادة الذكاء السكاني (نسبة 20%) أو مايعرف بمحاولات إنتاج جيل من العباقرة , وأيضا محاولات زيادة متوسط أعمار البشر بحوالي عشرين بالمئة إضافية , هي محاولات محفوفة بمخاطر الإحتكار الذي يؤدي إلى التفرقة والتمييز العنصريين(العلميين) مما يجعل تكاليف هذه الأبحاث الأخلاقية خارج إطار قدرة البشرية على تحملها. فهي تشجع فرز البشر إلى أذكياء وأغبياء بكا يعني ولادة نوع جديد من الأسباب الممهدة لإنتهاك حقوق الإنسان.

10- ترتبط كرامة الإنسان بقاعدة ذهبية تقول: إن البشر يكونون أكثر فعالية وعطاء(أي أكثر إنسانية) عندما نعاملهم كأحرار مسؤولين متمتعين بإستقلاليتهم الذاتية وبفرادتهم.

11- إن مسألة الحفاظ على التنوع الإنساني (الجيني والثقافي) هي مسألة حيوية –محورية. ومحاولة إنتاج مخلوقات مثالية جينيا (أو ثقافيا عن طريق العولمة) هي محاولة تحرم الإنسانية من هذا التنوع.

12- يجب أن تبقى العائلة الواحدة الرئيسة لتكاثر البشر ويجب الإصرار على عدم إستبدالها بأي من الوحدات المقترحة. وحول حبة الرمل هذا(أي العائلة) أي تطور اللؤلؤة التي تشكل التنوع الثقافي الإنساني. الذي لم تستطع الإقتراحات المطروحة لغاية اليوم أن تأي ببديل له.

وبهذا تبدو العلوم النفسية , الطب النفسي خصوصا , وكأنها خط الدفاع الضابط للأخلاقيات. لكن هذا الضابط لا يشكل سوى قمة جبل الجليد. فمن ناحية يقع الطب النفسي ومعه العلوم النفسية والإنسانية كافة تحت تأثير علوم أخرى مثل الإقتصاد والإتصال والإحصاء. وهذا الأخير بات قادرا على فبركة النتائج بأي إتجاه كان , وباتت الإحصاءات لعبة بدون قواعد(أنظر فصل العرب والعولمة في هذا الكتاب).

ومن ناحية أخرى فقد وقعت العلوم النفسية في أسر الفكر السياسي. فعلاقة هذه العلوم بالفلسفة علاقة قديمة وعضوية ومتبادلة. فلو راجعنا التصنيفات المقترحة للأمراض النفسية لوجدنا أنها متأثرة لدرجة التوحد بالفكر السياسي السائد. فالتصنيف الأمريكي يعتمد المبادئ البراغماتية والظواهرية من خلال تحديده للتشخيص من خلال العوارض. حتى إعتبر بعض المؤلفين بأن التصنيف الأمريكي هو حصان طراودة الذي يحاول الفكر الأمريكي النفاذ من خلاله إلى عقول الأطباء النفسيين حول العالم. فإذا ما أضفنا الوقائع المتوافرة حول أساءات إستخدام الطب النفسي فإنا نجد أن الفن المسمى بالسياسة قد إمتلك القدرة على السيطرة وعلى تسخير العلوم لمصلحته مع بقاء قواعده سرية وعصية على الأرصان في مناهج أكاديمية خاضعة للمنطق العلمي وقابلة للتجريب.

الهاربة الى ضوء الشموع

قتلناك يا آخر الأنبياء... قراءة نفستحليلية

الشاعر نزار قباني وعودته إلى الأوديبية

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

في ذكرى وفاة الشاعر نزار قباني وعودته إلى الأوديبية نتذكر أبا توفيق يرثي إبنه فيقول : ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وأنت غائب ... وينتقل إلى سيارة ابنه لياجيها في نكوص شعري جامح يذكرنا بوقوف الشاعر الجاهلي على الأطلال !!

في هذه الذكرى تلوح لنا معالم قصائده ودواوينه بديلة لسيارة ابنه . فهل نقف على أطلالها ؟ أو نترك ذلك لجيل تعلم الحب على يديه أو

نسخ عشقه أغاني يرددها المطربون ؟ وبغض النظر عما يفعله هؤلاء وأولئك ، أليس حرياً بنا السؤال عما أمسى عليه شعره بعد وفاته ، نشعر نزار كان مرتبطاً بشخصه بصورة عضوية وهو خسر كثيراً بوفاة الشاعر .

إلى هذه الخسارة تضاف خسائر أخرى أبرزها أن مجمل الأعمال الإبداعية لا تملك ذات مستوى الحصانة تجاه الزمن . فقصائد الشاعر نفسه تتفاوت في مستواها الإبداعي وفي حدثيتها وقدرتها على الاستمرار . ولا شك في أن قصائد نزار المغناة تكتسب زاداً إضافياً يدعم استمراريتها ولكن هل يقتصر إبداع نزار على الغزل وهل يقنع بعد وفاته ببقائه شاعر المرأة . وهو لقب اكتسبه لدوافع سيكولوجية أكثر منها إبداعية فقصائده الغزلية تتضمن رصداً لسيكولوجية المرأة ودراسة معمقة لأحاسيسها ومعايشة لأفكار حميميتها. وهذا الطابع السيكولوجي يضفي على غزليات نزار صفة القدرة على اجتياز عواطف المرأة وتشجيع اسقاطاتها لتصبح هي الحبيبة أو لتتمنى أن تكونها . إلا أن قباني لم يهرب إلى ضوء الشموع إلا بعد أن أحرقه ضوء الشمس فهو تعاطى السياسة في حياته وفي شعره حتى اليأس . وهو لم يلجأ إلى المرأة إلا كملاذ وكلحظة كان يود أن يجمد الزمن عندها . فلحظة المرأة في شعر نزار هي لحظة تمرد أرادها نزار خارج الزمن المعيوش فأحوال الأمة لا تسر ومستقبلها ينذر بالأسوأ ومثقفوها موزعون بين عضوية ناقصة في حاشية السلطة وبين فقر الخروج من دائرة السلطة والعمل على رضائها ، وبين باحثين عن الحلول لأوضاع أمتهم واقعين في فخ البحث عن حلول لأزماتهم الشخصية متورطين في اتجاهات بعضها يبدو مأمونا وبعضها لايبدو كذلك .لكن أحداً لا يعرف إذا كان ظاهر هذه الإتجاهات يعكس خلفياتها ؟ وربما كان هذا الغموض هو دافع نزار قباني للهجرة إلى عالم المرأة .

لكن المهاجر كان يعود من مهجره إلى موطنه في الأحداث المفصلية وغصة في حلقه . إن هذه الأحداث كانت كلها مأسوية .. فانتجت بكائيات .. ويوم وفاة عبد الناصر عاد من مهجره ليبكي الزعيم وكانت عودته أوديبية في هذه المرة ...

إذ يعود أوديب ليفقأ عينيه إنتقاما من ذاته قاتلة الأب إنه محور مسرحية أوديب ملكاً ومرتكز العقدة الأوديبية الذي بنى عليه فرويد نظريته في التحليل النفسي حيث يؤكد فرويد بأن مأساة أوديب حاضرة دائماً في اللاشعور . ويأتي يونغ ليؤكد حضورها في اللا شعور الجمعي . فرغبة الطفل باختفاء الأب والاختفاء معادل للموت في وعي الطفل تعادلها رغبة المثقف بالتمرد على السلطة . لكن المأساة تجتاح الشعور وتحتله وتشل اللاشعور وعناصره .. فالشعور بالخسارة ينسينا مكاسب المرض ويدفعنا لمواجهة واقع قاس وطاغ وغير ممكن التجنب .

لقد مات الزعيم فجأة من دون أن يترك لنا فرصة القلق على صحته ، أو تصور كارثتنا من دونه ، أو تخيل الفراغ ومن يملؤه لقد مات الزعيم فعاد أبناؤه الضالون يمزقون عيونهم في جنازته ومن بينهم صرخ ابن شديد الضلالة وعميق الابحار في بحور النساء صرخ نزار قباني : " قتلناك يا آخر الأنبياء " .

وهذا الضليل المصدوم هو ابن بيت دمشقي عريق ومحافظ . وفي ذاكرة نزار مشاهد من طفولته تترجم هذه المحافظة المألوفة تزمتاً . وصدمته الأولى كانت وفاة أخته ، فجاءت صدمة وفاة الزعيم لتحرك كوامن الصدمة القديمة ولتريح نزار من عبء كان يحمله على صدره وينغص عليه سعادته وتوازنه . فالزعيم هو رمز السلطة بالنسبة للبالغ أما رمزها لدى الطفل فهو الأب وهذا ما يجعل الزعيم بديلاً للأب . فإذا كانت الصورة الهوامية للأب سيئة (و هي حالتها لدى نزار الذي يحمّل أباه ذنب وفاة أخته المحبوبة) فإن التوافق مع السلطة ومع الزعيم يتدنى بالتوازن مع سوء صورة الأب ويتبدى خفض هذا التوازن مع مدى سوء صورة الأب . ويتبدى خفض هذا التوافق عبر مواقف التمرد النرجسي . حيث معاكسة السلطة تبقى في حدود التمرد على بعض ثوابتها . فالتمرد النرجسي يمكنه أن يبلغ حدود الثورة . فهو يمثل الجانب غير الناضج من الشخصية ، وكان هذا الجانب عاطفياً لدى نزار الذي بقي عاشقاً مراهقاً حتى مماته.

لكن الصدمات والرضوض النفسية تؤدي إلى وقف سيرورة التمرد وإبدالها بسيرورة النكوص النرجسي أيضاً التي تفجر العواطف الإيجابية وتلغي رغبات التمرد . وبهذه الطريقة يقوم النكوص بإصلاح الصور الهوامية السيئة محولاً الموضوعات من سيئة (بدرجات مختلفة) إلى حسنة (بدرجات مختلفة أيضاً) .

لكن صدمة نزار بوفاة عبد الناصر لم تكن صدمة عادية أو محتملة . ونستدل على ذلك من خلال عنف عملية النكوص التي ترتبت عليها . فقد قاد النكوص بشاعرنا إلى بدايات العروبة وينابيعها الأولى ، فرأى أننا اعتدنا إيذاء ذاتنا واغتيال رموزنا منذ السنوات الأولى لحضارتنا العربية – الإسلامية .

ليس جديداً علينا
اغتيال الصحابة والأولياء
فكم من رسول قتلنا
وكم من إمام ..
ذبحناه وهو يصلي صلاة العشاء
فتاريخنا كله محنة
وأيامنا كلها كربلاء ...

هكذا يراكم قباني فجائع الفقدان في تاريخنا بدءاً بسيدنا عمر عليه السلام مروراً بسيدنا الحسين عليه السلام وبالأئمة والصالحين وصولاً إلى عبد الناصر . حتى يبدو الأمر في ذهن الشاعر وكأنه فجيعة من فصول متعاقبة تبرر وتفسر خسائرنا التاريخية من الأندلس وحتى فلسطين .

وعلى غرار ما يجري في كافة الأحداث الصدمية نجد أن قباني يعاني مشاعر الذنب لدى الناجين من الكارثة ، فسجل مقطعاً من الاعترافات التي تبرئ الضحية وتذنب الناجين (المقطع الثاني من القصيدة) :

تركناك في شمس سيناء وحدك أما المقطع الثالث من القصيدة فيخصصه نزار لمحاولة تعقيل الحدث الصدمي . وهذا التعقيل يتم عادة باسترجاع الملابسات والظروف التي تسببت بالصدمة في محاولة للإقتناع بأنها كانت النتيجة الطبيعية لهذه الملابسات والظروف . وهذا التعقيل يهدف في الغالب لمواجهة الميل إلى عدم تصديق الحدث . ومن هذا المقطع :

رميناك في نار عمان .... حتى احترقت
أريناك غدر العروبة حتى كفرت

ويتبدى الميل الأوديبي لفقء العينين ، بعد اكتشاف ارتكاب جريمة قتل الأب من دون معرفة في المقطع الرابع من القصيدة ومنه :

وكنت أبانا ...
وحين غسلنا يدينا .... اكتشفنا
بأننا قتلنا منانا

وبذلك نصل إلى المقطع الخامس والأخير من القصيدة وفيه يحاول قباني إظهار حزنه عله يستنفذه فيقوى على مواجهة الحدث بعد أن أقنع نفسه بتصديقه . وهكذا يظهر الشاعر عواطفه وراء الفقيد فيطلق العنان لمشاعر الحزن والخسارة والفقدان ويتحول إلى رثاء الراحل عبر انفعالات متداخلة تتكامل فيها وتتكثف كل أوليات وسيناريوات المقاطع السابقة حيث تتبدى آلية النكوص في قول الشاعر :

كل الأساطير ماتت ....
بموتك ... وانتحرت شهرزاد .

أما مشاعر الذنب فيبديها نزار بقوله :

وهذا يريق الدموع عليك وخنجره ، تحت ثوب الحداد .
وهذا يجاهد في نومه ...
وفي الصحو ...
يبكي عليه الجهاد ...

أما تعقيل كارثة الفقدان فيتبدى في الأبيات الأخيرة حيث يقول قباني :

أنادي عليك أبا خالد وأعرف أني أنادي بواد
وأعرف أنك لن تستجيب
وأن الخوارق ليست تعاد .

وتسلسل الآليات اللاشعورية بمثل هذا الإنتظام إنما يدل على صدق معاناة قباني وعلى الطابع الذاتي – الصدمي للحدث ذلك أن تعاقب النكوص والفجيعة ومشاعر الذنب والتعقيل والحزن الحاد بهذا الترتيب هو تعاقب لا شعوري وهو يقع خارج صنعة الشعر ومهاراتها . فهذا الترتيب هو عينه ما يسمى " التنظيم " بلغة التحليل النفسي وعملية مثل هذه لا يمكن للشخص ترتيبها حتى على محتوياته الشعورية من دون مساعدة محلل نفسي . أما عندما تنتظم محتويات اللاشعور وفق المبادئ الدقيقة للتنظيم (بمفهومه التحليل – نفسي) فإن ذلك لا يمكنه أن يأتي إلا عن طريق صدق العاطفة ، بما في هذا الصدق من خضوع لمبادئ التداعي الحر للأفكار والمشاعر وتحريرها من الرقابات على مختلف مستوياتها ولو أراد محلل ما تنظيم هذه المشاعر وفق المبادئ التحليلية فإنه سيجد نفسه مضطراً لإطلاقها من حيز اللاشعور إلى حيز الشعور قبل أن يحاول الشروع بتنظيمها .

لقد كان فقدان عبد الناصر صدمة قومية كبرى وقاسية لقد كان الحدث الذي حمل معه مرارة الفقدان وأيقظ تجاربه في الوجدان . وعند نزار وفي وجدانه حوادث الفقدان متراكمة وطاغية فمن انتحار أخته الحبيبة إلى موت ابنه . ورثائه له عبر سيارته التي ناجاها في قصيدة ذكرى مرور سنة على وفاة ابنه . عداك عن كوارث الفقدان المعنوية التي زادت صورة الأب– السلطة تشويهاً في وعي نزار حتى راح يهجوها ويهجوها إلى اللحظة . فماضي نزار مملوء بالصدمات والرضوض العاطفية ومستقبله خال من " أنا مثالية " . لذلك لم يبق أمامه سوى معانقة اللحظة . والحب أفضل رفيق لهذه المعانقة ، فالحبيبة تهرب من ماضيك لأنه قد يحمل ذكرى غيرها وتفضل أن تتخيل المستقبل على أنه مجرد استمرار للحظة . وإذا أردت تعويضاً نرجسياً فإن الحب يصبح هو الحدث فيكفيك مؤونة النكوص – التثبيت وبالتالي تفجير ألغام الماضي وأحزانه . كما هو يجنبك قلق المستقبل وهكذا فإن نزار لم يكن شاعر المرأة ، حتى وصفه بعض السوقة بالقواد لكنه كان شاعر اللحظة – الحدث . وفراغ لحظاته جعل من المرأة حدثه المفضل فراح يعرض معايشاته للحظاته بأسلوب اللحظة وهو أسلوب يفهمه معاصرو اللحظة بسهولة فائقة . لكنه يصبح أكثر صعوبة كلما ابتعدنا عن اللحظة . لذلك تجد أن اللحظة معذبة بدورها فهي غير

مستقرة وأحداثها متمردة فهي سرعان ما تتحول إلى ماض في اللحظة التالية . لكن العيب الأكبر في اللحظة هو عبوديتها للحدث . فقد يهيأ لنا أننا قادرون على إلباس لحظتنا الثوب الذي يناسبنا وعندها نكون في غيبوبة تنسينا أننا ولدنا في لحظة ونموت في لحظة ونستفيق في لحظة . ولقد أفاق نزار في لحظة موت الزعيم فكانت هذه القصيدة ومن بعدها العجز عن الاستمرار في وهم صناعة اللحظة . والعجز استتبع تفجر قلق المستقبل . وبعد الزعيم بدا أن نزار يكرر نفسه وينمطها حتى الملل بل حتى وفاته .

الإنتخابـــات وبرمجـــة العقـــول

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

ما الذي يحدث عندما يشاهد المرء برامج التلفزيون السياسية والغبية أو السخيفة؟ إنها ببساطة تقوم بتدريب وتمرين عملية التفكير لدى المرء .

ويستنتج الباحثون أن التلفزيون يقود الى غسل أدمغتنا. وغسيل الدماغ الذي يجري عبر مشاهدة التلفزيون مغاير عن غسل الدماغ التقليدي .ولا أحد ينتبه اليه عندما نصبح مربوطين بالتلفزيون. ومع ذلك دعونا نتمعن ونتحسس ما يحدث لنا كمشاهدين أمام برنامج ما .

ألا نجد أننا نبتسم أو تظهر على ملامحنا علائم الحزن أو الانفعال حين نكون منغمسين بانتباهنا نحو مشاهد محددة ومختلفة؟ هذا هو النوع الذي يطلق عليه غسيل دماغ (سوفت). أي عبر التأثر بالمشاهد وما توحي به وتحركه من ردود أفعال داخلية. ولأن التلفزيون أصبح موجوداً في كل بيت فقد تكونت قاعدة أو أساساً لعملية غسل أدمغة المواطنين .

وهذه العملية تجري من خلال مبدأ «التوتير» وما فيه من شحنة انفعالات ثم «إطلاق» هذه الشحنة .

ولا شك أن خلق توتير ما ضمن مناخ مسيطر عليه عادة ما يزيد من نسبة التوتر وهذه الخطوة تتلوها خطوة أخرى توفر سلسلة من الخيارات التي تؤدي إلى إطلاق شحنة التوتر التي يشعر بها المرء أمام مثل هذه الحالات .

وطالما أن المشاهد / الضحية يعتقد أن الخيارات المقدمة هي الخيارات الوحيدة المتوفرة فإنه سيجد نفسه مضطراً لتقبل أحدها حتى لو لم يكن يقبل به للوهلة الأولى .

وفي ظل هذه الظروف التي تجري فيها عملية غسل دماغ المشاهد وضمن المناخ المسيطر عليه لا يمكن اعتبار ما يختاره ضمنياً يرتقي إلى التجربة العقلانية .ومثل هذه الحالة لا تتضمن استخدام المرء لقواه الذهنية الخلاقة ويصبح خاضعاً للشرط الواقع أمامه مثل الحيوان لأنه يرد على التوتر بالبحث عن المخرج وإطلاق توتره نحو المخرج نفسه . ويمكن القول أن المخططين للبرامج التلفزيونية وعرضها يطلقون على المناخ أو الأجواء المليئة بالتوتر تسمية: «الاضطراب الاجتماعي». وهذا «الاضطراب الاجتماعي» يولد أزمات في داخل مفاهيمنا ويتسبب بفقدان التوجه الذي يستبدل التفكير بتقبل الأفكار الجاهزة التي يعرضها التلفزيون. فحين يكون المرء مستسلماً داخل هذه المشاهد والبرامج والتوترات التي تثيرها لا يتوفر له الوقت للجوء إلى دراسة عقلانية أو تأمل عقلاني لهذه المشكلات المعقدة، فالتلفزيون أمامه يصبح الناقل الحساس في تقديم التوتر وخيارات الخروج منه. فهو الذي يعرض لنا صور التوتر ويقدم الأجوبة البسيطة عليها. فيصبح التلفزيون في عالمه شبه الواقعي وبعالم الوهم والهروب من الواقع هو بحد ذاته المخرج الوحيد والهام من وجودنا المتوتر .

ويعرب الاختصاصي في غسل الأدمغة عبر التلفزيون (بيكر) عن اعتزازه بنفسه لأنه يعرف عقول ضحاياه من مشاهدي التلفزيون. ولذلك يطلق عليهم اسم «الساذجين» وفن غسل الأدمغة بواسطة التلفزيون يجري من خلال قوة «الإيحاء» وتلعب قوة الاعتياد عليه بشكل تدريجي بعد تواصل الإدمان عليه قابلية لدى الجمهور في تقبل ما يعرض من صور وأخيلة كواقع. فما يوحي به التلفزيون على أنه «الواقع» يتحول إلى واقع فعلي في أذهان المدمنين المتلقين .وبمراجعة الحملة الإنتخابية التي إستندت على الإتجار بدم الرئيس الحريري نجدنا أمام حملة إنتخابية ترتكز على غسيل الأدمغة وتصرف ملايين الدولارات الانتخابية لهذا الهدف .حتى أمكن القول أن المال السياسي في هذه الإنتخابات قد صرف مقدماً في هايد باركات المعارضات اللبنانية المتنافرة. التي لا تلتقي إلا بأوامر السفير فيلتمان.

لقد تم إستغلال المناسبة أبشع إستغلال وتم غسل الادمغة عبر مصادر التوتير التالية:

1. خلق مشاعر الذنب لدى الجمهور بالإيحاء بمساهمته في إغتيال الحريري (يسميها الإختصاص مشاعر الذنب لدى الناجين من الكارثة) مع الإيحاء بأن المشاركة في المظاهرات هو التعويض الوحيد لهذا الذنب .

.2تخصيص برامج تلفزيونية لعرض ردود الفعل لدى مرضى هيستيريين على الحدث. حيث الأطباء النفسيين المشاركين لم يقدموا الدعم (طلبوا من المرضى المجيء الى عياداتهم). بل إكتفوا بتعميم الهيستيريا الجماعية. ومن قواعد الإختصاص تجنب عرض هذه الحالات. لأن عرضها يوحي بأنها واجبة الحدوث لدى جميع المشاهدين. الأمر الذي يعني التسبب بالإضطراب لدى قطاعات واسعة من الجمهور بما يخالف أخلاقيات المهن الطبية.

.3 تركيز العدوانية وتوجيها نحو المتهم الجاهز أو المجهز مخابراتياً وهو السلطة برجالاتها ورموزها.

.4 الإيحاء بإحتمال بعودة شبح عودة الحرب الأهلية.

.5 تهجير المشاعر السلبية ضد السلطة بوصفها بديلة للأب الذي يقمع.

.6 التخويف من الإنهيار الإقتصادي.

.7 إصابة القوى الأمنية بالشلل ومنعها عن القيام بدورها في السيطرة على ردود الفعل الخاطئة. وذلك عبر إتهامها بالإغتيال. ما ترك الساحة السياسية اللبنانية مفتوحة أمام المظاهرات الأميركية التصنيع على غرار تيميشورار وجورجيا وأوكرانيا وغيرها.

.8 جلب التعاطف بفتح الساحة مجالاً لطرح كل المطالب الإعتراضية على حساب المناسبة. ما حول المناسبة للإستغلال على شتى الصعد.

.9 تجميع الهامشيين بإيحاء إستمداد القدرة على الفعل عبر هذه الحرب النفسية. خاصة وأنهم كانوا مدفوعي الأجر. ومدعوين لمشاركة الطرف الأقوى المدعوم خارجياً. الأمر الذي خلق منافسة فوضوية بين هؤلاء الهامشيين.

هكذا وعبر هذه الحرب النفسية التي صرف عليها ملايين الدولارات تمت عملية تعميم الهيستيريا الجماعية في لبنان. ما قمع طرح الأسئلة ومحاولة التفكير وبات على اللبنانيين أن يبدلوا أفكارهم وقدراتهم العقلية بالآراء الإيحائية الصادرة عن التلفزيونات وبقية وسائل الإعلام. فإذا ما جاءت الإنتخابات تحولت الهيستيريا الى سلطة بديلة تقوم بتعيين النواب بدون إنتخاب. وهنا سؤال لا يقبل الإهمال وهو: هل يجوز إستبدال السلطة (على علاتها) بالهيستيريا؟. فإذا ما حدث فكم تدوم هذه الهيستيريا وماذا نفعل بعدها؟.

الجواب في هذه الحكاية: كان أحدهم يخاف القطط فهرب من غرفة فيها قطة الى غرفة أخرى فوجد فيها ذئباً. فما كان منه إلا أن عاد الى غرفة القطة. لكن الذئب لعب لعبة ليلى والذئب وأقنع سكان المنزل بالبقاء في غرفته. وهو يستعد لإفتراسهم ...!!!

الجمهور اللبناني سيدرك عاجلاً أم لاحقاً أن الذئب ليس جدته وأنه لايسعى سوى لإفتراسه. فهل يدرك الجمهور ذلك قبل فوات الأوان؟. فالذئب يريدنا ان نقتتل ونحول بعضنا الى جثث كي يتمكن من افتراسها بصورة مشروعة دون ان يتهم هو بقتلها. فمحاصرة دوري شمعون هي تكرار لإغتيال داني شمعون بصورة أخرى. وإستهداف عمر كرامي بقانون الألفين هو إغتيال جديد لرشيد كرامي وبقية إغتيالات الذئب آتية فهل نتفكر في بلد تصل ديمقراطيته الى إعلان قياداته عجزها عن تقرير موعد الإنتخابات وتعديل قانونها وسيرورة إجرائها لغاية تسليمها الى المال السياسي المتحالف مع الذئب.

ما هو مصير الديمقراطية في بلد يقع تحت السيطرة الإعلامية الكاملة فتترك رسم سياساته للمذيعين والمذيعات المبرمجين مخابراتياً مع إقصاء زعاماته السياسية والعمل على تدميرها دون إعطائها حق الرد!. فالحزن على الحريري لا يعني بحال القضاء على الرموز الفاعلة في السياسة اللبنانية. والبحث عن الحقيقة في إغتياله لا يعني إهدار دم رشيد كرامي .

ها هو الجنرال عون منبوذ لمجرد سؤاله عن المسؤولين عن إغتيال الإقتصاد اللبناني. وها هي الزعامات الكبيرة مثل كرامي وسلام والحص وفرنجية وشمعون... الخ تعزل لحساب هيستيريا الذئب والمال السياسي .

ولم يعد للرأي الآخر من وجود في لبنان فالجرائد اليومية ومعظم التلفزيونات ترفض أي رأي مخالف. وتسايرها في ذلك بقية التلفزيونات.

المسألة تستأهل دراسة حول تكتيكات الحرب النفسية المعتمدة في هايد باركات ساحة الشهداء لأنها فتحت الأبواب أمام تدفق الهامشيين الى السلطة عبر إنتخابات مدفوعة سلفاً.

العناية بضحايا العنف: السياسة وأخلاقيات الطب النفسي

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

يروي القديس اوغسطين قصة الاسكندر. حيث دافع القرصان عن نفسه امام الاسكندر قائلا: "انت تسرق العالم فتدعى امبراطورا" وأنا اسرق سفينة فأدعى لصا" !.

قصة هذا القرصان، تختصر نسبية تعريف الصراع وتفرعاته من عنف وارهاب وضحية وغيرها من المصطلحات. هذه النسبية التي تربك موقف الطبيب النفسي من هذه الوضعيات وتجعل دوره والتزامه بالقسم الأبقراطي موضوعا" نسبيا" بدوره. في خضم هذا الارتباك على الطبيب أن يقدم الدعم والعناية لطالبيهما. فيزيد هذا الارتباك من انعدام الدقة في التصنيفات السيكياترية المطروحة وخصوصا" التصنيف الأميركي لاضطرابات الشدة عقب الصدمية (P.T.S.D). والدليل الاميركي للاضطرابات العقلية عموما." »

2- ثغرات التصنيف الأميركي

يعجز التصنيف الأميركي ومعه التصنيفات الأخرى المطروحة عالميا" عن الاجابة على قائمة طويلة من الأسئلة، نختصرها بالواقعة التالية :

أثناء الحرب العالمية الأولى سجّل الأطباء الألمان ردود فعل كارثية لدى الجنود الألمان من نوع الهيستيريا ومنها داء الارتجاف الهيستيري. أما في الحرب العالمية الثانية فقد سجل هؤلاء الأطباء ردود فعل كارثية لدى الجنود الألمان من نوع القرحة وارتفاع الضغط وغيرها من ردود الفعل البسيكوسوماتية .

السؤال هنا: **لماذا تبدلت ردود فعل الجندي الألماني واختلفت بهذه الصورة؟**

3- البعد الثالث

ان الاجابة على مثل هذا السؤال تقتضي استبدال النظرة المسطحة التي تنظر الى الصراع على أنه عنف وضحية بنظرة أخرى "هولوغرافية" أي ثلاثية الأبعاد. **والبعد الثالث الذي نقترحه هو طريقة وعي ومعايشة الظروف الاقتصادية – السياسية**، وهذا ما سنسميه باللحظة الاقتصادية – السياسية. فلو نحن نظرنا الى الوضع الألماني في لحظته الاقتصادية – السياسية إبان الحرب الأولى لوجدنا أنها كانت تمتاز **بحس وطني عال** هو الذي جعل الجندي بحاجة الى **المكسب الأولي للهيستيريا** كي يهرب من الحرب بدون أن يشعر بالخجل والعار. أما في الحرب الثانية فقد طغى **الحس العنصري** على الحس الوطني وعندها اقتصرت الاصابات الهيستيرية على الجنود العنصريين .

4- تشخيص الآثار الصدمية

نخلص مما تقدم الى أن تشخيص الآثار الصدمية مرتبط مباشرة بتشخيص الصراعات، التي نقترح لها التصنيف التالي:

ب- **الكيانات المنفصمة Schizoide:** و هي الكيانات التي تعاني تناقضات عرقية و /أو دينية و/ أو فكرية. وهي تهدد بانفجار نوبات عنف من نوع الشيزوفرانيا الاقتصادية- السياسية المتمثلة بالحروب الأهلية وعمليات العنف والاغتيالات وغيرها .

أ- **الكيانات الانهيارية Depressive:** وتعاني من تهديد هويتها وشخصيتها القومية مما يدفعها الى اليأس بحيث يمكنها أن تعمل على ايذاء ذاتها والآخرين بطريقة عشوائية، وصولا" الى قيام الأفراد بارتكاب أعمال انتقامية ضد العدو المفترض حسب اللحظة الاقتصادية-السياسية .

الكيانات الهوسية Manic: حيث يتظاهر الصراع من خلال هوس التطرف القومي أو العرقي أو الديني. هذا الهوس الذي يتفشى في مجموعات صغيرة نسبيا"، لكنها تملك القوة غير العادية التي يتمتع بها المهووس.

د- **الكيانات الهيستيرية Hysteric:** حيث لا خلفيات امراضية حقيقية وانما هو الصراع على السلطة أو على السيطرة على الآخرين وعلى مقدراتهم.

في هذه الحالة علينا أن لا نهمل مسألة الاغواء الهيستيري ونجاحاته في السيطرة على الآخرين. كما أنه علينا أن نمهل احتمالات بداية الذهان تحت ستار الهيستيريا.

1- تشخيص الحالات الصدمية

في رأينا أن التشخيص الأمثل لحالات الصدمة عقب الكارثية يجب أن يتضمن البنود التالية :

أ-ديد البنية الشخصية الأساسية بما فيها من اختلالات نفسية وجسدية .

د- ب-ديد علائم السلوك الاعتيادية .

د- ج- تحديد علائم السلوك الراهنة والمقارنة بينها وبين تلك الاعتيادية لتحديد التغيرات التي أحدثتها الصدمة، وتحديد خلل التوازن الذي أحدثتها البنية الشخصية الأساسية من حيث حدة هذا الخلل واحتمالات تطوراته المستقبلية.

الاستراتيجية العلاجية

لا بد لها من أن تستند الى معرفة وثيقة بهيكلية الاضطراب الصدمي، التي نختصرها على النحو التالي :

ان **وضعية الضحية هي وضعية بارانوياية** بمعنى الكلمة. والمشاعر الاضطهادية المرافقة لهذه الوضعية تدفع بالمريض الى توقع ظلم القدر له بتعجيل موته فتنفجر لديه الوساوس المرضية. لكنه يعجز عن تعقيلها بإدراك طبيعتها الوسواسية فيتحول خوفه من المرض الى خوف من الجنون، ثم يتراوح المريض بين الخوف من الموت والخوف من الجنون. هذه الهيكلية الامراضية المختصرة هي

التي نصادفها في عيادة الصدمة. أما عن تعقيداتها فهي متشعبة ويمكننا اختصارها بـ :

أ–قيدات سيكياترية .

د– ب–قيدات سيكوسوماتية .

د– ج– تعقيدات اجتماعية– مهنية .

ونأتي الى العلاج حيث تتركز استراتيجيتنا العلاجية وتتمحور حول النقاط التالية :

أ–ف مضاد للقلق/ Anxiolytique للحد من التطورات البسيكوسوماتية غير المنتظرة .

د– **ب–عمل على تصريف الانفعالات وتوجيهها إيجابيا"**، وتلافي تراكم الانفعالات غير المعبّر عنها

د– د– في حال وجود مؤشرات أمراض جسدية يجب العمل على **العلاج الوقائي لهذه المؤشرات ولاحتمالات تطورها وتعقيدها.**

بهذا ننهي حديثنا عن رعاية ضحايا الصدمة ونحن نتساءل عن مدى التزامنا بالقسم الأبقراطي وعن الضوابط الأخلاقية القابلة للتعميم والتي تحدد دور الطبيب النفسي في حل الصراع وفي التدخل في الحالات الكارثية. مع تسجيل تحفظنا على توريط الاختصاص والاختصاصيين في القضايا التي تحتمل مصطلحاتها اللبس وإساءة الإستخدام. كما هي حال مصطلحات : الإرهاب والصراع والعدالة والحقوق وغيرها.

الإسلام والطب النفسي الوقائي

منهج الإسلام في الوقاية النفسية – الجنسية

محمد أحمد النابلسي – الطب النفساني ، لبنان

يقتصر العرض على فقرة من فقرات بحث الإسلام والطب النفسي الوقائي. وهي فقرة الوقاية النفسية–الجنسية. وكان النابلسي بمشاركة زميله عبد الفتاح دويدار قد عرض هذا البحث في مؤتمر الجمعية الإسلامية العالمية للصحة النفسية / الأقصر 1994

تناول القرآن الكريم العلاقات الزوجية بكل تفاصيلها من بدء الاختيار والخطبة ثم في الاتفاق والتعارف على الزواج، ثم أسلوب المعاشرة الزوجية وما يجب على كل طرف في سلوكه حيال الطرف الآخر، ثم في افتراق الزوجية سواء بالطلاق أو الوفاة. ولا عجب في ذلك فالإسلام أراد بالمسلمين مجتمعا" متماسكا" صالحا"، ولا تماسك لمجتمع ولا صلاح إلا بتماسك الأسرة وصلاحها، فالأسرة هي الخلية الأولى لأي مجتمع وفي سلامتها سلامته. ففي اختيار الزوج المسلم لمن ستكون شريكة حياته، يأمره الله بأن يحسن الاختيار فيختار المسلمة المؤمنة ويحرم عليه الزواج من مشركة، كما حرم على المؤمنة الزواج من مشرك. والحكمة في هذا التحريم هي أولا" تنشئة جيل مسلم على تربية إسلامية صحيحة لكل ما يعنيه الدين الإسلامي من عبادات وسلوك قويم، ولا يتأتى هذا إلا إذا كان الأبوان مسلمين مؤمنين. ثانيا" تحاشي افتتان المؤمن أو المؤمنة والاستسلام والانقياد للطرف المشرك. مما قد يؤدي به أو بها إلى زعزعة الإيمان بل قد يؤدي إلى الردة والكفر بعد الإيمان.

وكيف يأمن المسلم إلى مشركة أو مسلمة إلى مشرك على أولادهما؟ وكيف يسكت كل منهما للآخر ويأمن إياه ؟ فلا اتفاق بين الخير والشر ولا التئام للطهر مع الجنس. ولنفس الأسباب حرمت الشريعة الغراء زواج مسلم صالح من زانية، كما حرم الله زواج مسلمة صالحة من زان، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : " الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين (سورة النور، الآية 2). وهذا إيحاء من الله للمؤمنين بفظاعة الزنى وخطره على المجتمع الإسلامي. ووجه الخطورة في هذه المعصية أن يأمن مؤمن صالح إلى مسلمة زانية فيصاب بالغفلة عما قد تأتيه هذه العاصية من فاحشة حتى بعد الزواج وما يترتب على ذلك من النجس واختلاط الأنساب الذي قد يصاب به المجتمع الإسلامي ويبدد كيانه ويدمر أخلاقياته. كما إن نفس الخطورة تقع إذا تزوجت مسلمة صالحة من مسلم زان قال تعالى " ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا" (سورة الإسراء، الآية 17).

إن الإنسان من جسم ظاهر ملموس، وفي داخل هذا الجسم الظاهر المادي قوى أخرى غير مرئية تحرك ظاهر الإنسان المادي وتحدد سلوكه مع نفسه ومع غيره هذه القوى هي الأولى من نوع السلوك الإنساني مستقيما" كان هذا السلوك أو معوجا". وان ما يصيب الإنسان من خير أو شر نابع منه، ومن صنع هذه القوى الخفية الكامنة في داخله، وكذلك الحال في الأمة، فما أصابها من خير أو شر كان نابعا" من داخلها، فالأمة مجموع الأفراد، وإذا ما استقام كل فرد استقام أمرها،

وبقدر نسبة المستقيمين الصالحين في الأمة بقدر ما يكون صلاحها أو فسادها. فسلوك الإنسان إذن نوعان سلوك عادي ظاهري، وسلوك معنوي باطني. والسلوك الظاهري مجال جسم الإنسان وأعضائه ويظهر لنا هذا السلوك واضحا" ملموسا" في حركة جسمه أو عضو من أعضائه. والسلوك الباطني مجاله الغرائز والعقل والضمير، وهي عوامل دائمة النشاط والحركة داخل الجسم لا يحس بها سوى صاحبها. وما السلوك الظاهري إلا انعكاس مادي للسلوك الباطني وبقدر سلامة الثاني وصلاحه بقدر ما تكون سلامة الأول وصلاحه. وكما أن للجسم المادي وأعضائه وظائف حددها الخالق، كذلك الأمر بالنسبة للعوامل الباطنية فلكل منها هدف حدده له الخالق... وهي أهداف أراد بها الله خير الإنسان وسعادته في دنياه وآخرته إذا ما هداه الله إلى تحقيق هذه الأهداف. ولا يهدي الله إلا من آمن به واتقاه وسار في حياته الدنيا وفق تعاليمه سبحانه وتعالى. فالغرائز أودعت الجسد لحفظ نوع الإنسان من الانقراض، وهذا الحفظ منوط بنشاط الغرائز مجتمعة ومن هذه الغرائز : غريزة حب البقاء وغريزة الجنس وغريزة حب التملك وغريزة السيطرة وغريزة الثبات على الذات ... وهي كلها متفرعة من غريزة حب البقاء والرغبة في الخلود.

فغريزة حب البقاء تتطلب من الإنسان أن يخلفه من صلبه من يضمن لاسمه الاستمرار، ولكي يولد له ولد لا بد له من أنثى تنجب له هذا الولد، وطريقه إلى ذلك هو الزواج بجميع طقوسه وضوابطه. ويقال أن الغرائز عمياء إذا عملت بذاتها دون ضابط أو رابط، فالغريزة كامنة في جسم الإنسان ولا يمكن مشاهدتها ولا معرفة مكانها، ولكي تنشط لا بد لها من مثير تنفعل به. هذا الانفعال لا يزال كامنا" لا يحس به إلا صاحبه. فإذا قوي هذا الانفعال انطلق من جسم الإنسان في شكل أعمال وحركات ظاهرة. وهذا ما يسمى بالنزاع أو السلوك وهذا ما يحصله جميع الحيوانات العجماوات. أما الإنسان الذي صوره الله وأحسن تصويره فقد أكرمه خالقه فزوده بالعقل والضمير، وبالعقل يتدبر طريقة تنفيذ متطلبات الغرائز وبالضمير يوجه هذا النزاع أو السلوك إلى عمل صالح يفيد صاحبه ومجتمعه فائدة حقيقية جديرة بإنسانيته. والعقل هو تلك الأداة التي أكرم بها الله بين آدم ليكون عونهم في تدبير متطلبات الغرائز وتنفيذها. ويقوم هذا التدبير على عدة خطوات متتالية متصل بعضها ببعض وهي ما تعرف بالعمليات العقلية. وقد تنتهي هذه العمليات إلى التنفيذ الفعلي لمتطلبات الغريزة بما يفيد صاحبها فحسب ولو كان فيها أضرار بمصلحة المجتمع، لولا تدخل الضمير.

والضمير هو ما يسمى في القرآن الكريم بالقلب أو الفؤاد أو النية، وهو الذي يوجه الله سبحانه وتعالى إليه الحكمة والموعظة الحسنة، فمن كان ضميره حيا" ويقظا" تعاون مع العقل فيلبيه متطلبات الغرائز بالتي هي أحسن. والضمير الحي هو الذي يهدي الإنسان بنور الهداية الربانية يميز بين الخير والشر وبين الحق والباطل فيأخذ من هذا وذلك أحسنه، مما يرضي الخالق والخلق ويصلح به حال صاحب هذا الضمير وحال المجتمع الإنساني. والإنسان الكامل من وهبه الله جسما" سويا" وعقلا" سليما" وضميرا" حيا". والضمير النقي الصافي هو قمة الكمال الإنساني، وهو الحارس الأمين الذي يقف أمام أهواء

النفس البشرية ونوازعها، يردها إلى الحق والصراط المستقيم إذا ما نزغ فيها الشيطان بالغواية والمعصية، والضمير الحي هو الملهم والمرشد للعقل إلى اختيار أمثل الوسائل للسلوك القويم والفعل السليم، ومن تحكم ضميره في فكره وقوله وعمله كان مركز إشعاع الخير للبشر أجمعين. " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكّاها. وقد خاب من دساها" (صورة الشمس، الآيات 7- 10). " يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا" كثيرا" وما يذكر إلا أولو الألباب" (سورة البقرة الآية 269)

ولولا هذا الضمير لازالت عن الإنسان كل الصفات الإنسانية الجديرة به ولظل الإنسان ملكا" لغرائز بدلا" من أن يكون هو مالكها. والغرائز هي أضعف نواحي النفس البشرية وأسرعها استسلاما" لغواية الشيطان. ورغم محاولات العقل كبح جماع هذه الغرائز وتوجيهها وجهة الخير لصاحبه وللمجتمع. فانه قد ينجح حينا" ولكنه يفشل أحيانا" بل قد يبلغ بالعقل القصور على أن يقوم بمهامه على أفضل وجه. ووضعت نماذج جديدة للتكيف والمرض، ومع الاهتمام ببحث شبكة العوامل العضوية والنفسية والاجتماعية المسببة للمرض، ولذا أصبح من الصعب الحديث عن نموذج واحد جامد للسواء نظرا" لأثر البيئة وتغير الأدوار في تحديد مفهوم السواء، الذي يعد نسبيا" إلى حد بعيد.

ومن هنا ركزت الاتجاهات الأحدث في الطب النفسي على فكرة تعدد الأسباب، وعلى التفاعل بين العوامل العضوية والنفسية والبيئية، وعالجت موضوعات الصحة والمرض على أنها تكيف ناجح أو فاشل من الكائن العضوي لبيئته.

وهذا ما يوضحه الباحثان في المحور الخامس حول الإسلام والوقاية النفسية من إدمان الخمور والمخدرات ومشاكلهما من أنواع المسمات والنواتج المترتبة على الإدمان ووقاية المؤمن منها.

ملامـــح الشخصيـــة العربيـــة

سيكولوجية السياسة العربية / العرب والمستقبليات

محمد أحمد النابلسي

علم المستقبليات من أحدث العلوم الإنسانية وهو مرتبط مباشرة بالعلوم النفسية. فالتعرف إلى نمط سلوك فرد أو جماعة معينة من شأنه أن يساعدنا على توقع ردود الفعل المحتملة لصاحب هذا السلوك.بهذا تتبين لنا العلاقة الوثيقة والعضوية بين السيكولوجية وبين المستقبليات. لكن هذه الأخيرة لم تظهر إلى حيز الوجود إلا بدعم من السياسة وتحديداً بسبب حاجة السياسة إلى علم ضابط ومعياري للاقتراحات الاستراتيجية المبنية على قواعد التحليل الذاتي للعاملين في مجالها. وبما أن السياسة لا تتحمل الأخطاء الاستراتيجية فقد كان من الطبيعي أن تسعى جاهدة للبحث عن وسائل قياس وحكم موضوعيين للطروحات الاستراتيجية.

وإذا ما استثنينا بعض الترجمات العربية لعدد محدود من كتب المستقبليات (مثل تحول السلطة وصدام الحضارات .. الخ) يمكننا القول بأن المكتبة العربية خلو من هذه الدراسات والكتب. ونحن نرى في المقابل اكتظاظ هذه المكتبة بمئات الكتب التي تناقش العولمة وتتوزع مواقف قبولها ورفضها ثم الإقبال عليها بشروط .. الخ.

أمام هذه الوقائع رأينا لكتاب "سيكولوجية السياسة العربية – العرب والمستقبليات" أهمية فائقة. خصوصاً وأن مؤلفة الدكتور محمد أحمد النابلسي هو أحد أهم الأطباء النفسيين العرب وأكثرهم اهتماماً بفرع الطب النفسي – الاجتماعي بمتفرعاته بما فيها الطب النفسي السياسي.

بداية يقوم النابلسي بتعريف القارئ العربي بقائمة من أهم وأشهر كتب المستقبليات. فيعرض لها ولأفكارها الأساسية ولمنطلقاتها النظرية. ثم ينتقل لإبداء رأيه بهذه المنطلقات. السؤال الذي يطرح نفسه هنا : " هل يمكن للمؤلف أن يختصر مثل هذه الكتب في عدة صفحات بالرغم من حداثة طروحاتها وصعوبتها؟ .

ونجد الجواب في مجلة " شؤون خارجية" وتحديداً في مقالة نشرتها المجلة في أربعة صفحات فقط وكانت بعنوان " صدام الحضارات" لصموئيل هنتنغتون. وكانت هذه الصفحات كافية لتلخيص الرؤية المستقبلية للمؤلف، وعندما وسعها المؤلف وأصدرها في كتاب فإنه لم يضف إضافات أساسية هذه المقالة. لكنه استغل مساحة الكتاب للدخول في شروحات تفصيلية. وبهذا تتأكد لنا امكانية اختصار هذه الكتب وعرضها في وذلك على غرار ما فعله المؤلف الذي يعرض للكتب التالية: "تحول السلطة" و "على طريق حضارة عالمية جديدة" و " صدام الحضارات" و "تآكل المصالح الأميركية" و " الألفية الجديدة" و " خرافة المواجهة" و" نهاية العلم" و " الصراع الداخلي" و "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" و "مثلث الشؤم" و " قراصنة وأباطرة" و "الأنظمة العالمية – قديمها وحديثها" و" إله المعارك – الحروب المقدسة" و " العولمة" و" النظر غير المتساوي".

بعد هذا العرض الشامل لأهم النظريات المستقبلية ينتقل المؤلف لعرض الراهن السياسي العالمي الذي تنطلق منه هذه الدراسات المستقبلية. حيث يعتمد هذا الراهن على عنصرين أساسيين هما:

3. المعلوماتية وثورة الاتصالات.
4. العولمة بوجوهها المختلفة والاقتصادي منها خصوصاً.

فيتطرق إلى مناقشة سيكولوجية للمعلومات ولإمكانية توظيفها في اتجاهات خاطئة وبالتالي إمكانية إساءة استخدامها. ثم يربط النابلسي بين المعلوماتية وبين العولمة فيرى أن مزيجهما يمكنه أن يكون قاتلاً. ويمكن تبسيط وجهة نظره بالقول بأن عولمة المعلومات المختصة ببيئة معينة يمكنه أن يجلب الأذى إلى البيئات الأخرى المتعولمة. والمؤلف يناقش هذه المواضيع على صعيد نظري–اختصاصي لكنه صعيد لا يقبل الفصل عن الصعيد السياسي.

ويأتي الكتاب إلى محاولة تطبيق هذه المعطيات المتحكمة بالسياسة العالمية في مجال الصراع العربي – الإسرائيلي. فنراه يناقش مواضيع: سيكولوجيا الأسطورة في الإرهاب الصهيوني والأساطير الإسرائيلية المؤسسة للقرار 425. كما يتطرق لمناقشة أزمة الانتماء لدى اليهود الإسرائيليين والقوة النووية الإسرائيلية كما عرض هذا الفصل لمشروع المؤرخين الإسرائيليين الجدد بوصفه مشروعاً لما بعد الصهيونية.

وقضية الصراع بين العرب وإسرائيل تعيد طرح أزمة الاتصال بين العرب والنظام العالمي الجديد وإشكاليات هذا التواصل. حيث يرى المؤلف عبثية الخطاب العربي العاجز عن التوجه في زمان العولمة. ويشير إلى أزمات الخطاب السيكولوجي العربي. وذلك انطلاقاً من قناعة المؤلف بأن البراغماتية هي من نتاج الفكر السيكولوجي.

وبالتالي فإن النابلسي يعطي للسيكولوجيا دور البديل العملي للإيديولوجيات. وهذا البديل وإن كان قاصراً ولكنه سائد وصالح للاستخدام في زمن العولمة. ومن هنا أهمية مناقشة أزمات الخطاب السيكولوجي العربي. وعلى الطرف الآخر يجهد المؤلف لتقديم صورة

موحية وموضوعية عن واقع الولايات المتحدة. فهو يرى أن استيعاب هذا الواقع ضروري لإقامة علاقة حد أدنى مع القطب الأوحد. لذلك نراه يتطرق لمواضيع من نوع: انحرافات الرؤساء الأميركيين والميليشيات الأميركية البيضاء (العنصرية) والقوة اليهودية في أميركا ومن ثم فهو يقدم تحليلاً نفسياً لشخصية الرئيس كلينتون. لينهي فصله بمناقشة التهمة الملصقة بالعرب وهي تهمة "الإرهاب". وهو موضوع لا يزال مثار نقاشات على أكثر من صعيد. الفصل السادس يخصصه المؤلف لدراسة سيكولوجية للكوارث العربية متخذاً من الكوارث اللبنانية نموذجاً لدراسته. ويليه فصل سابع بعنوان : " الشخصية العربية في عالم متغير" وثامن بعنوان "سيكولوجية الشائعات". أما الفصل العاشر والأخير فيحمل عنوان " السيكولوجيا في مجال التجسس" .

والكتاب يعتمد منهجية مخالفة بعض الشيء وهو يخرج على مألوف ما يسمى بكتب المقالات المجمعة. حتى يبدو أن هذا الطراز من الكتب سيكون غالباً خلال الفترة القادمة. فالمؤلف يعرض لثلاثين كتاباً من أهم كتب الفكر السياسي المعاصر ويقدم رأيه في طروحاتها. ولم يكن المؤلف ليواجه صعوبة تذكر لو أنه حاول صياغة هذه العروض بحيث يحول آراءه وانتقاداته إلى محور ويحول الكتابالمعني إلى مرجع. إلا أن هذه الحيلة قد لا تكون نافعة في عصر الاتصالات. ولعل المؤلف أراد إبقاء المقالات على الحال التي نشرت فيه، مع ذكر مكان النشر وتاريخه، للحفاظ على أسبقيته في نشر بعض التوقعات المستقبلية والآراء المعارضة لطروحات سائدة. مثال ذلك تساؤله عما إذا كانت الولايات المتحدة سوف تصر على العولمة أن هي رأت فيها أضراراً بالمصالح الأميركية؟ وأيضاً تساؤله هل يتخلى كلينتون عن سياسة " الاحتواء المزدوج" ليبدلها ب " سياسة التفتيت العنقودي؟ وهو تفتيت تتبدى علائمه حالياً في يوغوسلافيا وإندونيسيا والقوقاز .. الخ

العلاج النفسي للأسرى وضحايا العدوان *

محمد عبد الظاهر الطيب**

عن مركز الدراسات النفسية بلبنان صدر للدكتور محمد احمد النابلسي كتاب بعنوان " العلاج النفسي للاسرى ولضحايا العدوان ". والمؤلف يعتبر المؤسس لفرع دراسات الكوارث في الوطن. اذ عايش مآسي الحرب اللبنانية والاجتياح اسرائيلي والاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على لبنان طيلة ربع قرن. عاين خلاله ضحايا هذه الصدمات المتنوعة في عيادته الخاصة. فالنابلسي يجمع بين الممارسة العيادية للطلب النفسي وبين التدريب الجامعي والبحث والتأليف العلمي. ويعتبر كتابه " دراسة في مجتمع الحرب اللبنانية " اول المراجع العربية في الميدان. حيث اعتمد مرجعا لغالبية دراسات الحرب اللبنانية واعتمد للتدريس في الجامعة اللبنانية وجامعات عربية اخرى. كما استخدم مرجعا لدراسة الكوارث العربية في العديد من الصراعات العربية. بل ان الكتاب لا يزال يحظى باهتمام خاص بالرغم من صدور طبعته الاولى في العام 1985. كما قام المؤلف بترجمة عدد خاص بالصدمة النفسية اصدرته مجلة " فصول في الطب النفسي الاسكندينافي " ونشر هذه الترجمة تحت عنوان " الصدمة النفسية – علم نفس الحروب والكوارث ". ولعل اهم دراساته الاكاديمية في المجال هي اطروحته لنيل الدكتوراه في طب الامراض النفسية والعقلية والتي كانت بعنوان " العقابيل النفسية والعقلية والسيكوسوماتية للاوضاع الشدية ".

ايضا شارك المؤلف في عرض المآسي اللبنانية في العديد من المؤتمرات العربية والدولية اضافة لاقامته عدة ورشات عمل لتدريب الاطباء والاختصاصيين للتعامل مع ضحايا الصدمات. وللتدريب على تطبيق بعض الاختبارات الصدمية.

وبذلك يأتي كتاب علاج الاسرى ليتوج هذه الخبرة التراكمية وليطرق موضوعا طرحه الانسحاب الاسرائيلي من الجنوب اللبناني. الذي ترافق مع تحرير اسرى معتقل الخيام. حيث من المتوقعاستقبال بقية الاسرى وتحريرهم. والمطالبة بالتحرير تخص جميع الاسرى العرب لدى اسرائيل وليس فقط اللبنانيين منهم. مما يخرج الكتاب من اطاره اللبناني الى اطار عربي اشمل. حيث يبدأ الكتاب بعرض لروايات الاسرى عن تجاربهم في الاسر على طريقة الجيشتالت. وهي طريقة تتيح للمستمع تحديد المفاصل الاكثر انفعالية في الرواية. اذ ان الراوي. ودون وعي منه، يركز على هذه المفاصل. بما يمكن المستمع – المعالج من استكشاف نقاط المعاناة الاكثر سخونة وتسببا باضطراب صاحب الرواية. ولقد احسن المؤلف انتقاءه للروايات المعروضة بحيث جاءت كلا منها تعبيرا عن خصوصية في المعاناة. كما تمكن ومن خلال هذه الانتقالية ان يبرز الفروق الفردية بين الاسرى. حيث تختلف المعاناة باختلاف عوامل عديدة مثل السن والجنس والتوقع والتدريب المسبق والشخصية السابقة للتعرض الى

الاسر... الخ من الفروق التي تلعب دورا رئيسيا في تحديد اضرار الصدمة وآثارها المستقبلية. وهذا العرض انما يثبت لنا اهمية دراسة هذه الفروق مستقبلا. لكن الاولية تبقى الاهتمام بعلاجهم من شدائد الاسر. وهذا هو الموضوع الرئيسي للكتاب. حيث يمكننا تلخيص الاقتراحات العلاجية المقترحة من النابلسي على النحو الآتي: تأتي الرعاية الطبية وعلاج الامراض العضوية في المقدمة لتليها مرحلة علاج اضطرابات الوعي (المشوش تحت ضغط الاسر) في المرحلة الثاني. ثم يأتي العلاج النفسي الداعم والمساعد على التكيف والعودة للحياة العادية في المرحلة الثالثة. مع الانتباه الشديد لضرورة متابعة تطورات الحالة في المستقبل. وفي جولة سريعة في المحتويات نجد ان الكتاب يبدأ بعرض لروايات الاسرى حول تجاربهم لينتقل الى شرح تقنيات التأثير على الوعي ولتوقف عند التقنية المعتمدة اسرائيليا والمسماة بالجرجدة. حيث توضع وسادة تحت راس الاسير لترتج بصورة متواصلة تمنعه من تحقيق فترات نوع طبيعية. وذلك بحيث يؤدي اضطراب النوم الى اضطراب الوعي. دون ان يخلف ذلك آثارا ممكنة الملاحظة فاسرائيل شديد الحساسية في ما يتعلق باخفاء عدوانيتها واستعارة الاقنعة لها.

بعد ذلك ينقلنا الى عرض مسلسل الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على لبنان مناقشا دور الطب النفسي في التصدي لها. لاكمال الصورة يخصص الكتاب فصلا للتعريف بعصاب الحرب بصفته احد الاشكال الاكثر حدة للعصاب الصدمي. ويتم هذا التعريف عبر متابعة تاريخية لنشأة المصطلح واستخداماته المختلفة والخلط بينه وبين العصاب الصدمي. ليصل الى مناقشة التصنيف الاميركي لهذا العصاب وليبين وجود ثغرات عديدة في هذا التصنيف. ولكن ماذا عن مصير الصدمة؟ هل هي تنتهي بانتهاء العوامل الضاغطة؟ وهي تتظاهر خلال مدة محددة؟ وهل تميل بعض اشكالها للازمان؟ ... الخ من الاسئلة التي يجيب عنها الفصل الثالث ليعتبر ان عصاب الوساوس المرضية هو الشكل الاكثر انتشارا للصدمات المزمنة. ثم يأتي المؤلف لمناقشة موضوع الاسرى بعد هذه الفصول التمهيدية التي تضع القارئ في اجواء المعاناة الصدمية بكافة صورها وتفاصيلها. فيعرض للعلاج التنويمي الذي يجري على شكل دورات. وهو متبع في علاج حالات الاكتئاب والرغبات الانتحارية وسائر انواع تشوش الوعي. اما على صعيد العلاج النفسي فيعرض الكتاب لمبادئ التيارات العلاجية التالية: 1 - تقنية ازالة التحسس المهنجي و 2 - تقنية ترميم البنية المعرفية و 3 - تقنية العلاج النفسي التخيلي و 4 - تأكيد الذات و 5- الاسترخاء المراقب البيوفيدباك و 6 - تقنية العلاج التنويمي الذاتي و 7 - التفريغ الانفعالي و 8 - العلاج النفسي الجماعي و 9 - المتابعة العلاجية و 10 - العلاج الواقعي. واستفاض الكتاب في شرحة لهذه التقنية العلاجية التي قننها الباحث الكويتي بشير الرشيدي بحسب ظروف البيئة العربية.

ان هذه الكتاب يشكل اضافة هامة الى المكتبة العربية في مجال دراسات الصدمة. فهو عبر تصدية لاحد اصعب اشكال الصدمة او اكثرها تهديدا يقدم امكانيات التعمق في الاشكال الصدمية الاقل حدة.

وتلفتنا هنا المقارنة التي يعقدها المؤلف بين مريض السل - نزيل المصح وبيه الاسير. اذا تتشابه التجربتان من حيث التهديد الصاعق بالموت واحتمال عدم الخروج حيا من المصح او المعتقل. وتختلفان رصدمية مختلفة جذريا من حيث مصدر التهديد. وبمعنى آخر فان المؤلف يقرر وجود علاقة تبادلية بين مختلف انواع تهديدات الحياة بما يسمح للباحث وللمعالج باستعارة الخبرات ونقلها من ميدان لآخر. وعبر الاشارة الى بحث النابلسي حول معاناة مريض السل يتبين لنا ان علاقة المؤلف مع الحالات الصدمية يعود الى ما قبل معايشته للحرب اللبنانية. اذ بدا دراساته في المجال من خلال الحالات الخطرة للمصابين بداء السل. كما لاتفوتنا دراساته حول المعاناة النفسية لمرضى السرطان وحول التعامل مع عائلات المرضى المدنفين على الموت. مما يجعلنا نعيد تعريف الكتاب كما اورده الناشر على صفحة المرضى المدنفين على الموت. مما يجعلنا نعيد تعريف الكتاب كما اورده الناشر على صفحة الغلاف الاخيرة. يسجل للمؤلف سبق اصداره لاول الكتب العربية الباحثة في موضوع الحروب وضحاياها على المستويات النفسية و السيكوسوماتية ... و هذا السبق متعدد الصعد يكرس الدكتور محمد احمد النابلسي كمؤسس لفرع سيكولوجية الحروب و الكوارث في الوطن العربي .

*المؤلف: محمد احمد النابلسي
الناشر: مركز الدراسات النفسية 2001
** جريدة الكفاح العربي

" بصائر نفسانية"
العدد 23-24 (شتاء & ربيع 2019)
الملف " التطرف والارهاب والصحة النفسانية "
المشرف: د. ماجد الياسري
الفهرس والافتتاحية (تحميل حر)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=362&controller=product&id_lang=3
تسوّق المجلة من المتجر الالكتروني (نسخة رقمية)
www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=363&controller=product&id_lang=3

البقاء لله

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي

صدق الله العظيم

وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا:

إنا لله وإنا إليه لراجعون

.... فملاقيه

The Arab Journal
NAFSSANIAT
Psychology & Psychiatry
75
Spring
Summer
2022

Edited by ArabPsyFound All rights reserved - Copyright (c) 2022 - arabpsynet@gmail.com